جامعة سعد دحلب البليدة

كلية الآداب و العلوم الإجتماعية

قسم اللغة العربية و آدابها

مذكرة ماجستير

التخصص : لـغـوي

في آليـات تحليـل الخطــاب القرآنــي

أنموذج في التحليـل الصوتي لسورة القيامـة

من طرف

حورية صـالحي

أمام اللجنة المشكلة من:

بوعبـد الله لعبيدي	أستاذ محـاضر أ، جـامعة البليدة	رئــيســـــا
عمـــار ســاسي	أستاذ التعليم العـالي، جامعة البليدة	مشرفا ومقررًا
حفيظ ملواني	أستاذ محـاضر أ ، جامعة البليدة	عـضوًا مناقشـا
هشـام خالـدي	أستـاذ محـاضر أ ، جـامعة تلمسـان	عـضوًا مناقشًا

البليدة ، مـارس 2011

ملخص

لقد شرّف الله سبحانه و تعالى اللّغة العربية بحمل الخطاب القرآني فسخّر لها علماء يهتمون بدراساتها للوقوف على إعجازه وأسراره التي لا تنتهي، من بينهم نذكر أبا الأسود الدؤلي الذي وضع النقط على الحروف فسميت نقط الإعراب، ثمّ جاء بعده نصر بن عاصم ويحي بن يعمر فوضعا نقط الإعجام للتفريق بين الحروف المتشابه .

وجاء من بعدهم الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي طّور أبي الأسود فوضع علامات الإعراب المعروفة اليوم وهي الضمة والفتحة والكسرة، كما وضع السكون وتذوق الحروف العربية بمعرفة مخارجها وبعض صفاتها، وجاء من بعده تلميذه سيبويه وأدخل تعديلات على المخارج وأضاف صفات جديدة على ما وضعه أستاذه الخليل .

وكانت هذه بوادر الدراسات الصوتية القديمة علما أنّهم أخلطوها مع الدراسات النّحوية والبلاغية والمعجمية والصرفية، إلى أن انفصل الدرس الصوتي وأصبح علما قائما بذاته، ولا تزال الدراسات الصوتية قائمة إلى يومنا هذا، و على هذا ارتأينا أن ندرس سورة من سور القرآن الكريم وهي سور القيامة؛ بإحصاء صفاتها فلاحظنا ارتفاع بعض الأصوات منه : المجهورة والبينية وأصوات القلقلة والانحراف في حين انخفضت بعض الأصوات منها المهموسة والرخوة وأصوات الصفير وغيرها، فكان ذلك دالا على العلاقة الوطيدة بين الأصوات والدلالة الكلية للسورة، فوافق هذا الارتفاع شدّة أهوال يوم القيامة مع ارتفاع لهجة التهديد والوعيد للإنسان الكافر الذي تفرّد بحبّ الدنيا تاركا وراءه الآخرة، أما انخفاض بعضها فراجع إلى لمسة الرّحمة والعناية اللّتين خُصّ بهما نبي الرحمة .

أمّا فواصل السورة فقد بلغت ستّ وثلاثون منها أربع مكرّرة ما ساعد على تقوية المعنى وتأكيده وقد أحدثت جرسا موسيقيا عذبا ومتنوعا ممّا ساعد على استمرار وقوع الإيقاع العام للسورة في نسق صوتي متجانسا أطرب الآذان وأخشع القلـــوب .

الحمد و الشكر أولا و آخرًا لله سبحـــانه وتعالى عز وجلَّ؛ الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانـــا الله، فهو الذي يسَّر لنا طريـــقَ البحث، و سخَّر لنا أشخاصًا طيبـــين متعـــاونين .

إلى أستاذي المشرف الدكتور عمـــّار ســـاسي ، أتقدم بخالص الشكر والامتنان والعرفان لإرشاداته و توجيهاته ونصائحه ، و إخلاصه وتفانيه في العمل .

إلى كل من أمدّنـــا بيد العون في هذا العمل : بكتاب ، أو فكرة ، أو تشجيع ، أو دعاء، أو أمنية بالتوفيق، إلى نضيرة و جميلة و فوزية و فتيحة .

وجزيل الشكر و التقدير إلى الأساتذة الأفـــاضل ، أعضاء لجنة المنـــاقشة ، على صبرهم وتحمُّلهم عناء وعبء قراءة المذكرة وتقييمها و تقويمها ، فجزاهم الله عنّا كلّ خير .

قائمة الأشكـــال

الـــرقم		الصفحة
1)	الصوائت الطويلة والقصيرة عند القدماء	54
2)	الصوائت الطويلة والقصيرة عند المحدثين	56

قائمة الجداول

الـــرقم		الصفحة
1ا	إحصاء الأصوات المجهورة (المقطع الأول	112
2ا	إحصاء الأصوات المهموسة (المقطع الأول	112
3ا	إحصاء الأصوات المجهورة (المقطع الأول	112
4ا	إحصاء الأصوات المهموسة (المقطع الثاني	115
5ا	إحصاء الأصوات المجهورة (المقطع الثاني	115
6ا	إحصاء الأصوات المهموسة (المقطع الثاني	115
7ا	إحصاء الأصوات المجهورة (المقطع الثالث	115
8ا	إحصاء الأصوات المهموسة (المقطع الثالث	116
9ا	إحصاء الأصوات المجهورة (المقطع الثالث	116
0.	إحصاء الأصوات المهموسة (المقطع الرابع	119
1.	إحصاء الأصوات المجهورة (المقطع الرابع	119
2.	إحصاء الأصوات المهموسة (المقطع الرابع	119
3.	إحصاء الأصوات الشديدة والرخوة (المقطع الأول	124
4.	إحصاء الأصوات الشديدة والرخوة (المقطع الثاني	126
5.	إحصاء الأصوات الشديدة والرخوة (المقطع الثالث	127
6.	إحصاء الأصوات الشديدة والرخوة (المقطع الرابع	128
7.	إحصاء الأصوات المطبقة والمنفتحة (المقطع الأول	130
8.	إحصاء الأصوات المطبقة والمنفتحة (المقطع الثاني	131

9.	إحصاء الأصوات المطبقة والمنفتحة (المقطع الثالث	132
0:	إحصاء الأصوات المطبقة والمنفتحة (المقطع الرابع	133
1:	إحصاء الأصوات المذلقة والمصمتة (المقطع الأول	134
2:	إحصاء الأصوات المذلقة والمصمتة (المقطع الثاني	135
3:	إحصاء الأصوات المذلقة والمصمتة (المقطع الثالث	136
4:	إحصاء الأصوات المذلقة والمصمتة (المقطع الرابع	137
5.	إحصاء أصوات الصفـــير (المقطع الأول	139
6.	إحصاء أصوات الصفـــير (المقطع الثاني	140
7.	إحصاء أصوات الصفـــير (المقطع الثالث	141
8.	إحصاء أصوات الصفـــير (المقطع الرابع	141
9:	إحصاء الأصوات المتـــفشية (المقطع الأول	142
0:	إحصاء الأصوات المـــتفشية (المقطع الثاني	142
1:	إحصاء الأصوات المتفـــشية (المقطع الثالث	142
2:	إحصاء الأصوات المتفشيـــة (المقطع الرابع	143
3:	إحصاء الأصوات القـــلـــقلة (المقطع الأول	144
4:	إحصاء الأصوات القـــلـــقلة (المقطع الثاني	144
5:	إحصاء الأصوات القـــلـــقلة (المقطع الثالث	145
6:	إحصاء الأصوات القـــلـــقلة (المقطع الرابع	145
7:	إحصاء الأصوات التكريـــر (المقطع الأول	146
8:	إحصاء الأصوات التكريـــر (المقطع الثاني	146
9:	إحصاء الأصوات التكريـــر (المقطع الثالث	147
0.	إحصاء الأصوات التكريـــر (المقطع الأول	148

1. إحصاء الأصوات الانحراف (المقطع الأول 148
2. إحصاء الأصوات الانحراف (المقطع الثاني 148
3. إحصاء الأصوات الانحراف (المقطع الثالث 149
4. إحصاء الأصوات الانحراف (المقطع الرابع 149
5. إحصاء أصوات الاستطـــالة (المقطع الأول 150
6. إحصاء أصوات الاستطـــالة (المقطع الثاني 150
7. إحصاء أصوات الاستطـــالة (المقطع الثالث 150
8. إحصاء أصوات الاستطـــالة (المقطع الرابع 151
9. إحصاء أصوات المـــدّ واللّين (المقطع الأول 152
10. إحصاء أصوات المـــدّ واللّين (المقطع الثاني 153
11. إحصاء أصوات المـــدّ واللّين (المقطع الثالث 154
12. إحصاء أصوات المـــدّ واللّين (المقطع الرابع 154
13. إحصـــاء الصـــوائت الطويـــلة 156
14. إحصاء أصوات الانحراف (المقطع الثاني 156

الفهرس

ملخص
شكر
قائمة الجداول
قائمة الأشكـــال
الفهرس
مقدمة 10
ا . الخطـــاب ومستويـــات التحلـــيل 13
ا . ا . الخطـــاب وتحلـــيل الـــخطاب 13
1.1. الخطـــاب 13
1.1.1. . الخطـــاب لغة 13
!.1.1.1 . الخطـــاب اصطلاحـــ 14
3.1.1.1 . الخطـــاب القرآنـ 20
!.1.1 . تحلـــيل الخطـــاب 22
!.1 . مستويـــات تحليل الخطـــاب 24
2.1. المستوى الصوتـــي 24
1.2.1. . تعريـــف الصوت 25
!.1.2.1 . تعريـــف الحـــرف 27
!.2.1 . المستوى الإفرادي 29
1.2.2.1 . المستوى الصرفي 29
2.2.2.1 . المستوى المعجمي 34
3.2.1 . المستوى التركيبي 36
1.3.2.1 . الجملـــة لغـــة 37
2.3.2.1 . الجملـــة اصطلاحـــا 37
3.3.2.1 . تقسيمـــات الجملـــ 38
2 . في قضـــايا الدرس الصوتي 40
2. الدرس الصوتي نشأة وتطـــورا 40
1.2. . إسهـــامات علمـــاء القراءات 40
!.1.2 . إسهـــامات علمـــاء اللّغـــة 43
3.1.2 . إسهـــامات المحدثـــين 46
!.2 . الصوائـــت و الصوامت :..... 50

2.2.. . الصوائـــت 50
1.2.2.. . الصوائـــت لغـــة 50
1.2.2.! . الصوائـــت اصطلاحـــا 50
1.2.1.2.2 . الصوائـــت عند القدامى 51
!.2.1.2.2 . الصوائـــت عند المحدثـــين 55
!.2.2 . الصوامـــت 58
.2.2.2 . الصوامـــت لغـــة 58
!.2.2.2 . الصوامـــت اصطلاحـــا 58
2.2.2.2.. . وضع الأوتـــار الصوتية 58
!.2.2.2.2 . المخـــارج و الأحيـــاز 58
!.2.2. 2.2.2 كيفية مرور الهـــواء 66
!.2 . الصوت و الدلالـــــة 68
3.2.. . الصوت والدلالـــة عند القدمـــاء 68
!.3.2 . الصوت والدلالـــة عند المحدثين 72
!.3.2 . دلالـــة مصطلح صوت في القرآن الكريم 76
!.2 .!. دلالـــة الصوت اللّغوي في فواتح الســـور 78
4.2 . الصوت اللّغوي في الفواصـــل القرآنية 83
4.2.. . مصطلح الفاصلة في القرآن الكريم 83
1.4.2.. . الفاصلة لـــغة 83
!.1.4.2 . الفاصلة اصطلاحـــا 83
!.4.2 . بين الفاصلة و السجعة 84
!.4.2 . بين الفاصلة و القافيـــة 88
!.4.2 . طرق معرفة الفواصل صوتيـــ 90
5.4.2 . الإيـــقاع في الفواصل القرآنية 91
5.4.2 . بعض الظواهـــر الملاحظة صوتيـــا 95
! . التحلـــيل الصوتي لســـورة القيـــامة 99
مدخـــل : التعريف بالســـورة 99
3.. . البنية الإيـــقاعية للســـورة 101
1.3.. . الصوامـــت 102
1.1.3.. . الصفـــات المتضادة (المميّزة 102
1.1.3.. . الـــجهـــر و الهـــمس 114
!.1.1.1.3 . الشدّة والرّخـــاوة، والتوسط بينهمـــا 114
!.1.1.1.3 . الإطبـــاق والإنفتـــاح – الاستعلاء والاستفـــال 120
!.1.1.1.3 . الإذلاق و الصمـــات 124
!.1.1.3 . الصفـــات غير المتضادة (المحسّنة 126
2.1.1.3.. . الصّفيـــــر 126
!.2.1.1.3 . التفـــشي 129

3.2.1.1.4 . القلــقلــة 134
3.2.1.1.4 . التكريــر 136
3.2.1.1.5 . الإنحــراف 138
3.2.1.1.6 . الإستطــالة 140
3.1.2 . الصوائت الطويــلة 142
3.2.1.2 . المــدّ واللّيــن 142
3.1.3 . دلالة الصوت اللّغوي في فواصل الســور 147
الخاتمة 155
الملاحــق 158
قائمة المراجع 254

مقدمة

اللّغة في مقامها الأول كما عرَّفها ابن جني أصوات يعبــِّر بها كل قوم عن أغراضهم وانطلاقا من هذا العدد المحدود من الأصوات يــولد عدد غير متناه من الجمل و العبارات للتواصل و التبليغ من جهة ، و من جهة أخرى للإبداع و التأثيــر في الآخرين .

و اللّغة العربية شرّفهــا الله تعالى بحمل الخطاب القرآني الذي كان السبب الرئيس في ترسيخ أركانها و تثبيت قواعدها ، و على هذا الأساس ظهرت الدراسات اللّغوية المختلفة لحفظه وحمايتــه من اللّحن و التحريف من جهة، و الوقوف على إعجازه و أسراره التي لا تنتهي من جهة أخرى، فالإعجاز هو سمة الخطاب القرآني الذي استحوذ على اهتمام العلماء و كان دافعا قويا وراء ما بذلوا من جهود يرمــون من ورائها إلى تحقيق هدف ديني أصيل و هو التمكين لدين الله في الأرض و نشر المعالم الدينية السمحة، فكل ذلك كان جديرا بأن يُــبذل في سبيله كل جهد و تستنفذ من أجله كل طاقــة ؛ فظهرت بذلك الدراسات الصوتيــة و النحوية و البلاغية و الصرفية و المعجمية، و نظرا لأهمية الدراسات القرآنية كان دافعنا أن نتناول سورة من القرآن الكريم ندرس مستواها الصوتي، إضافة إلى دافع آخر هو مجال التخصص و هو التخصص اللّغوي .

و المعلوم أن عدد ســور القرآن الكريم هو أربعة عشر و مائة (14) سورة، رغبنا أن نسلط الضوء على واحدة منها فوقع اختيــارنا على سورة " القي ـ امة " و هذا الاختيار يعود إلى الحجم المتوسط للسورة والذي يمكننا من تحليلها صوتيــ .

و هذا ما جعلنا نقف أمام إشكالية إجمــالية أو محــورية و هي :
مــا هو دور الآليــات الصوتية في إظهــار الإعجــاز القرآنــي ؟
انبثــقت عن هذه الإشكالية إشكالات فرعيــة هــي :
هل وافقت الآليات الصوتية سنن العرب في كلامها ؟ و كيف يساهم التحليل الصوتي في إبراز دلالة أصوات السورة ؟ و هل للصوت دلالــة و معنى خارج الخطاب ؟ وهل اختلف القدماء و المحدثون في تصنيفهم لمخارج الأصوات و صفاتها ؟

للإجابــة عن هذه الإشكالات و التساؤلات وضعنــا بعض الافتراضات منها :
أنّ القرآن الكريم وافق سنن العرب في كلامها لأنه يتحدّاهم و يُعجزهم عن الإتيان بمثله، و يُحلل بالتالي وفق آليات الصوت و الإفراد و التركيب التي وردت عندهم،كما نفترض أنّ القدماء و المحدثين اختلفوا في تقسيم الأصوات و في تحديدهم لمخارج و الصفات لأن القدماء اعتمدوا على حِسِّهــم المرهف بينما اعتمد المحدثــون على أجهزة متطــورة ومخابر، كما نفترض أن للصوت معنى و هذا ما نريد الوصول إليه من خلال تطبيقنــا على الســور .

و للتحقق من هذه الفرضيات قسّمنا هذا البحث إلى مقدمة و ثلاثــة فصول و خاتمــ .
بيّنــا في المقدمة - و التي نحن نتحدث بصددها الآن - أهميــة هذا الموضوع و أسباب اختيــاره و النموذج المتناول فيه، و الإشكالية المحــورية و الإشكاليات الفرعية ثــم وضعنا لهــا الفرضيات

الممكنة، و خطته المعتمدة و المنهج المناسب للبحث، و العراقيل التي واجهته، و ختمناها أخيـــرا بشكر و تقدير لكل من مـــدّ لنـــا يد العـــون .

الفصل الأول هو الفصل التمهيدي و يحمل عنوان : الخطاب و مستويـــات التحلـــيل " و هو يتفرع إلى مبحـــثين ؛ الأول تناولنا فيه التعريف بالخطاب لغـــة و اصطلاحا ثم تعريف تحليل الخطاب، أمّا الثـــاني فتناولنا فيه مستويات تحليل الخطاب و تعرضنا إلى مفهوم كل مستوى و ما يبحث فيه .

أمّا الفصلين الآخرين فأحدهما نظري يحمل عنوان : في قضايا الدرس الصوتي " تناولنا فيه أهم القضايا التي تعرض لهـــا الدارسون القدامى و المحدثـــون في الدراسات الصوتية متتبعين في ذلك التطور التاريخي لهذا العلم منذ نـــزول الوحي على النبي – صلى الله عليه و سلم – واتصاله بمختلف العلـــوم الأخرى كالنحو و البـــلاغة و المعـــاجم و الصرف، إلى أن أصبح منفصلا عن بقية العلوم الأخرى يحمـــل مصطلحاته الخاصة به و المعتمدة، أمّا الفصل الأخيـــر فهو التطبيقي الذي كان تحت عنوان " التحليل الصوتي لسورة القيامة حاولنا فيه تطبيق ما جاء في الفصل النظري على سورة القيامة، بإحصاء صوائتـــها و صوامتها و رصد صفاتها ثـــمّ ربطها بالدلالة، فبـــدأنا بالصفات الـــمتضادة كالجـــهر و الهمـــس، ثمّ الصفات غير المتضادة كالصفير و الانحراف ، ثم درسنا أخيـــرا الصوت اللغوي في فواصل السورة مع بيان أنواعه .

و أخيرا أنـــهينا البحث بخاتـــمة أبرزنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها، وقد انقسمت إلى النتائج الرئيسية ثم النتائج الثانـــوية . ثم أوردنا ملحقا لسورة القيامة حتى يتسنى لقارئ البحث ربط التحليل بما توصلنا إليه من نتائج .

أمّا المنهج المتبع في هذا البحث فهو المنهـــج الوصفي الوظيفـــي مع الاستعانة بالتحليل و الإحصاء، إذ هو يساعدنا على وصف نظام اللغة كما يبدو ظاهر النص، و وظيفي لأنه يبيّن لنا وظيفتها الإبـــلاغية، و الإحصاء يكون في الفصل التطبيقي من خـــلال إحصاء أصوات الصورة و تحليل ما يمكن تحليله و تخريـــج ما يمكن تخريج .

و لم تخْـــلُ رحلة بحثـــنا هذا من بعض الصعوبات التي قد تقف في طريق أي باحث والتي توصلنا أحيانا إلى حد الإحباط و اليأس لكنها تدفعنـــا إلى الأمام و تقوي من عزيمتـــنا، و من تلك الصعوبات :

– اختلاف القدامى و المـــحدثين حول بعض المصطلحات الصوتية مثلا : الأصوات الرخوة التي أطلق عليها المـــحدثون مصطلح الاحتكاكية كترجمة للمصطلح الأجنـــبي Fricatives ، فالمصطلحات الصوتية الحديثة تختلف ترجمتها من بـــاحث إلى آخر فقد اصطلح عليها بعضهم بالتسريـــبية .

كما أن المصطلحات الصوتية العـــربية القديمـــة تختلف من سياق إلى آخر فمثلا : الحروف المتوسطة بين الشدة و الرخاوة أطلق عليها سيبويه الترددية و هو صوت العين بينما أطلق عليها علماء القراءات بالبينـــية و أضافوا إليها أصوات أخرى تُجمع في قولنا ' لن عمـــر " بينما أضاف إليها ابن جني أصوات المد الثـــلاثة (ا، و، ى فجُمعت في قولنا لم يروعنا ، و بما أننا أمـــام مدونة من القرآن الكريم فقد اخترنا الصفات حسب ما صنّفها علمـــاء القراءات .

– خصوصية المدونة (الخطاب القرآني) إضافة إلى قلـــة الدراسات التطبيقية فـــي هذا المجال الأمر الذي جعلنا نُحجم كثيرا عن التعمق في التحليل مخافة الوقوع في الزلل .

– و أخيـــرا لا يسعنا في نـــهاية هذه المقـــدمة إلا أن نتـــقدم بجزيل الشكر لأستاذنا المشرف عمّـــار ساســـي الذي قبَـــل الإشراف على هذا البحث، و مدّنـــا بالعون بكل ما استطاع من إرشاد و توجيـــه و نصائح لـــم يبخل بـــها علينا، و قد تجشـــم معنا عناء هذا البحث، كما أعارنا بعض الكتب التي نهلنا منها ما احتجنا إليه في إنجـــاز هذا العمل المتواضع، كما نشكر الزملاء و الأساتذة الذين ساهموا معنا من بعيد أو قريب في إثـــراء هذا البحث منذ أن كان مشروعا صغيرا و مجموعة من الأفكار تـــراودنا إلى أن انتهى إلى ما هو عليه و أخص بالذكر الزميلات : نضيـــر ، فريـــدة و جميلـــة و فوزية .

– كما نشكر السادة الأساتذة أعضاء لُجنة المناقشة الذين منحونا قسطا من أوقاتهـــم الثمينـــة في قراءة البحث و مناقشته و إبداء الرأي فيه، و في آرائهم و إرشاداتهم التي نستقبلها بإذن المـــولى سبحانه و تعالى بصدر رحب و نتمنـــى أن نستفيد من تلك الملاحظات التي تكون سراجا يضئ لنا دربنا في بحوث أخرى إن شاء الله ، و بورك فيهم و جـــزاهم الله عنّـــا كل خـــير .

كما لا ننسى أن نشكر إدارة قسم اللّغـــة العربيـــة و آدابـــها بجامعة سعد دحلب بالبليـــدة التي لقينـــا عندها كل عـــون .

و في الأخير نرجـــو أن نكون قد أفدنـــا بهذا البحث و لو بالنـــزر القليل طلاّب اللّغة العربية و آدابها الذين سيطّلِعون عليه ، و أن نكون قد أضفنا إلى المكتبة ما ينفعهم و يزيدهم علما و فهم .
و الله نسأل التـــوفيق و السداد، فإن أصبنا فمن الله وحده، و إن أخطأنا فمن أنفسنا، و يكفينا أجـــر الاجتهـــاد، و الله من وراء القصـــد و الحمد لله ربِّ العالميـــن .

الفصل1

الخطـــاب ومستويات التحليـــل

1.1 · الخطـــاب وتحليل الخطـــاب

من المفاهيم التي أثبتت جدارتها و فرضت نفسها على الحقلين الأدبي والنقدي ، وباقي الحقـــول التي تشترك مع هـــذين الحقلين مفهوم الخطاب الذي ازدهر بقوّة خاصة بعد ظهور علم اللّسان و ما نتـــج عنه من تطـــورات منهجية ونقدية امتدّت لتشمل حقولا أخرى كعلم النّـــفس و علم الاجتماع وغيرهما من العلوم و المعارف المعاصرة التي جعلت من تحليل الخطاب عمدة لفهم وتحليل ومناقشة النصوص ومختلف القضايا و الأفكار المطروحة وفق ما تـــمليه حدود و آلـــيات التلقي و التأويـــل و التركيب والتفكيك ، وكذا آفاق الحوار والتواصل فما هو مفهوم الخطاب عند العرب ؟ وهل يختلف مفهومه عند الغربيين ؟ و متى ظهر مصطلح تحليل الخطاب ؟

1.1.. – الخطـــاب :

1.1.1.1 الخطـــاب لغ :

للتوصل إلى مفـــهوم الخطاب علينا الانطلاق من الدلالة اللّغوية لـــه ، فإذا حاولنا تأصيل هذا المفهوم فإنّنا سنعود إلى ما أنتجه أولا تراثنا العربي بدء بالمعاجم الأساسية ؛ إذ نجد لسان العرب لابن منظور في تعريفه اللّغوي له يورد أنّ : الخطاب والمخاطبة : مراجعة الكلام ، و قد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان " [ا] ! /55 .

فالخطاب حسب هذا التعريف يتضمّن كلاما متبادلا بين طرفين هما الخطيب و المخاطب، يراجع كلّ منهما الآخر و هو مصدر من خاطب يـــخاطب خطابا و مخاطبة ، كما يكون بين طرفيـــن أو أكثر بحيث يتمّ بينهما تبادل رسائل لغوية .

و المعنى نفسه نجده عند التهانوي حين عرّف الخطاب بأنّه توجيه الكلام نحو الغير للإفها [!] ! /175

أما في القرآن الكريم فقد وردت كلمة الـــخطاب في موضعين اثنين من سو ص ' ، الموضع الأول هو قوله تعالى : ﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [(0!).

وقيل في معناها " هو أن بحكم بالبيّنة أو اليمين، وقيل معناه أن يفصل بين الحقّ والباطل، ويميّز بين الحكم وضدّه، وقيل فصل الخطاب : الفقه في القضاء " [ ] ! /55 . أمّا فصل الخطاب فهو ' ما ينفصل به الأمر من الخطـــاب " [ص70. . أمّا الموضع الثاني فهو في قوله تعالى :

﴿ وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [(3!) جاء في معناها " أي غلبني، يقال عزّ إذا قهر وغلب "

[ ] ! /8 . يتبيّن لنا ممّا سبق أنّ التراث العربي قد تحسّس أهمية الخطاب و دوره في الاستعمال اليومي، فحاول تحديد مفهومه اللّغوي بدقة ، فكيف حدّد المفهوم الاصطلاحي له .

1.1.1.! – الخطـــاب اصطلاحـــا

أول ظهور لمصطلح الخطاب كان عند الغربيين في حقل الدراسات اللّغوية، ولهذا فهو يعتبر مصطلحا غربي النشأة ، و على هذا سيكون التعريف الاصطلاحي لـــه عند الغرب أولا .

2.1.1.1.. – عند الغرب

أو! عند اللّسانيين

إنّ مصطلح خطاب يقابل في اللّغة الفرنسية Discours أما في الانجليزية فيقابل Discourse ، وقد بحث ووجد لباحث دومينيك مانقينو، Dominique Maingueneau ستة تعريفات للخطاب هي :

1 – الخطاب مرادف للكلام عند دي سوسور Ferdinande de Saussure و هو المعنى الجاري في اللّسانيات البنيوية .

. – الخـــطاب هو الوحدة اللّسانية التي تتعـــدّى الجملة و تصبح مرسلة كلّية أو ملفوظ .

. – تعريف هـــاريس arris! بأنّه ملفـــوظ طويل أو هو متتالية من الجمل تتكوّن من مجموعة منغلقة يـــمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية ، وبشكل يجعلنا نظلّ في مجال لساني محض .

. – في المدرسة الفرنسية وخصوصا مع كيسبن guespin تتم المعارضة بين الملفوظ والخطاب : فالـــملفوظ متـــتالية من الـــجمل المـــوضوعة بين بياضـــين دلالـــين، أما الخطاب فهو الملفوظ المعتبر من وجهة نظر حركية خطابية مشروط بها و هكذا فنظرة تلقى على نص من وجهة تبنينه لغويا تجعل منه ملفوظا و أنّ دراسة لسانية لشروط إنتاج هذا النص تجعل منه خطابا .

5– تعريف إميل بنفنيست Emille Benveniste بأنّه كلّ ملفوظ يفترض وجود متكلّم مستمع تكون لدى الأول نية التأثير في الثاني بصورة ما، مع الأخذ بعين الاعتبار مجمل الظروف والملابسات فيه .

ا – تعريف أخيـــر يعارض بين اللّسان و الخطاب ، فاللّسان ينظر إليه ككل منته وثابت العناصر نسبيا ، أمّـــا الخطاب فهو باعتبار المآل الذي تمارس فيه الانتاجية و هذا المآل هو الطابع السياقي (contextualisation: غير المتوقع الذي يحدّد قيما جديدة لوحدات اللّسان [ص2 –3؛ .

من كلّ ذلك يتبيّن لنا أنّ مصطلح الـــخطاب قد نما و تطوّر في ظلّ التحولات و التغيّرات التي عرفتها الدراسات اللّغوية خاصة بعد ظهور مبادئ وأفكار العالم السويسري دي سوسور الذي ميّز بدقة بين اللّغة والكلام ، فاللّغة عنده هي : نتاج اجتماعي لـــملكة الكلام و مجموعة من الـــمواضعات يتبناها الكيان الاجتماعي ليمكّن الأفراد من ممارسة هـــذه الـــملكة " | ص9؛ .
أما الكلام فهو :' نتاج فردي كامل يصدر عن وعي و إرادة و يتّصف بالوعـــي الحـــر " | ص9؛ .

فالكلام حسب دي سوسور يفترض وجـــود شخصين على الأقل يتحدّثان فينقل أحدهما و هو النّاطق أو المتكلم ما يكون في ذهنه من تصورات أو مفـــاهيم إلى المستمع عبر موجات صوتية تنتقل من فمه إلى أذن المستمع ، و بهذا يمكننا أن نستنتج خصائص الخطاب بالمفهوم السوسوري بأنّها تتوافر على عناصر ثلاثة هي : العنصر الفيزيائي الذي يتمثّل في الموجات الصوتية و العنصر الفيزيولوجي وهو النطق بالأصوات بالنسبة للناطق والسماع بالنسبة للمستمع ،و العنصر النفسي الذي يتـــمثل في الصـــوّر اللّفظية و المتصورات الذهنية ، و بهذا فإنّ الكلام هو الكتلة النطقية التي تنتقل من المُخـــــاطِب إلى المُخاطَب فتصبح خطاب .

أما التعريف الثاني فهو المتداول في اللّسانيات الحديثة أي كلّ ملفوظ يفـــوق الجملة . أما هاريس فمن خلال نظريته التوزيعية التي حاول تطبيقها على الخطاب يبيّن بأنّ كل العناصر المتتالية للملفوظ تلتقي بنظام معيّن يشكّل بنية الخطاب و لا تلتقي بشكل اعتباطي، و يحدّد هذا الانتظام بالتوازي الموجود بين عناصر الخطاب و بحسب الترابطات الموجودة بينها [ص8؛ .
وبهذا المعنى يلحق الخطاب بالتحليل اللّساني التوزيعي، فهو يعني في هذه الحالة مجموع تسلسل وتتابع الجمل المكوّنة للملفوظ .

أما بالنسبة لأصحاب المدرسة الفرنسية فالخطاب عندهم يتمثّل في البحث في ظروف و إنتاج النص من حيث كونه بناء لغويا أي ملفوظ .
أما عن تعريف بنفنيست فيتبيّن لنا من خـــلاله بأنّ الخطاب يتضمن الملفوظ الذي يتلفّظ بـــه المتكلّم يضاف إليه وضعية الاتّصال أي المقام الذي قيل فيه هذا الملفوظ ، و بناء عليه يمكن تمثيل الخطاب عنده بما يلي : الخطاب = الملفوظ + وضعية الإتّصال

وقد لخـــّص أصحاب قاموس اللّسانيات " [ص56 –Dictionnaire de linguistique 157 التعريفات المختلفة للخطاب في ما يلي :

1. Le discours est le langage mis en action, la langue assumée par le sujet parlant.
2. Le discours est une unité égale ou supérieure à la phrase ; il est constitué par une suite formant un message ayant un commencement et une clôture.
3. Dans son acception linguistique moderne, le terme de discours désigne tout énonce supérieur à la phrase, considéré du point de vue des règles d'enchaînement des suites de phrases … le terme de discours ne pouvais être de point de vue linguistique que synonyme d'énancé.

إنّ إهم النقاط التي تتضح لنا من كلّ ذلك :

- الخطاب هو الكلام الموضوع لفعل يضطلع بها الفاعل المتكلم ، و هذا يتوافق مع التعريف اللغوي للخطاب عند العرب القدامى .
- الخطاب هو وحدة معادلة للجملة أو تفوقها، وهي مؤلفة من تتابع رسالة مشكلة لها بداية و نهاية .

- مصطلح الخطاب – في نظر اللسانيات الحديثة – يشير إلى كل الملفوظات التي تفوق الجملة ، أما حد الخطاب من وجهة نظر اللسانيات لا يكون إلا مرادفا للملفوظ .

ثـــانيا عند السيميائييـــن

إن مفهوم الخطاب كمصطلح عند السيميائين ينطلق ممـــا انتهت إليه جهود اللسانيين حول تصوراتهم للخطاب، فهو يرتبط بثـــنـــائيات (اللّغة والكلام) و (الكفاية و الأداء الكلامي) غير أنهم يجعلون أنّ استعمال الخطاب مرادفا للنص أو المقـــول من بينهم غريماس Greimas غير أنّ " استعمال هذا الأخير للنص كمرادف للخطاب ليس من باب التبسيط كما يرى بعض الدارسين، لأن غريماس إذ يفعل ذلك إنما يستند إلى اشتراك فعلي للفظتيـــن في أداء المعنى ذاته (ترادف) فبعض اللغات الأوروبية لفظتي "Discours" الفرنسية و "Discourse الإنجليزية [ص –0؛ .

كما يرى بأن الخطـــاب إجراء سيميوطيقي يتمظهر كمجموعة من الممارسات الخطابية فهو تطبيق لساني (ذو خصائص لسانية لفظية) ، و تطبيق غير لساني (ذو خصائص دالة تتمظهر كأصوات و حركات . فالتطبيقات اللسانية حسب غريماس تتمثل في الخطـــاب الذي يكون بين المخَاطِب و المخاطَب بألفاظ معينة دون إشارات أو إيماءات و هذا يكون عادة في النص فالخطاب بين شخصين فقد يحوي إيـــماءات كالغمز أو رفع الحواجب أو غيرها ، أما التطبيقـــات غير اللسانية فتتمثل في الأفلام و الطقوس المختلفة و القصص المرسومة [ص –0؛ .

ثـــالثـــ عند النّـــقـــاد

من النقاد الغربيين الذين اهتموا بالخطاب نجد باختين Bakhtine الذي أخرج الخطاب من مفهومه الضيِّق إلى مجالات واسعة ، فقد لاحظ قصور اللّسانيات في احتواء موضـــوع التلفظ و الابتعاد عن الخطاب و هذا " لأن اللساني يشعر بارتياح أكثر وسط الجملة و كلمـــا اقترب من تُخوم الخطاب من التحدث التام يكون غير مسلّح لتناول الكل ، فليس من بين مقولات اللسانيات مقولة تصلح لتحديد الكل ..." [0 ص50. .

فتوسع في مفهوم الخطاب و أصبح في نظره الكتاب الذي يُعبَّر به عن أسلوب معين فأوضح لنا ذلك قائلا : " ... كذلك الكتاب و هو فعل كلامي مطبوع يشكل أحد عناصر التبادل اللفظي ، إنه موضوع ناشات فعَّالة تتّخذ شكل حوار ، و هو موضوع بالإضافة إلى ذلك لكي يفهم بطريقة فعَّالة ، و لكي يُدرَس بعمق و يعلق عليه و ينتقد في إطـــار الخطاب الداخلي ، و هكذا فالخطاب المكتوب إنما هو شكل من الأشكـــال، و جزء لا يتجزأ من نقاش أيديولوجي يمتد على نطاق واسع جدا ، إنه يرد على شيء ما و يفند و يؤكد و يستبق الأجوبة و الاعتراضات المحتملة و يبحث عن سند " [0 ص29. .

فهو بهذا نجده يراهن على المنهج الاجتماعي في اللسانيات و ضرورة تفسير خطاب الآخرين تفسيـــرا سوسيولسانيا . كما قـــام بتقسيم الخطاب في الفصلين الأخيرين من كتـــابه الماركسية و فلسفة اللّغة إلى ثلاثة أقسام هي : خطاب مباشر و خطاب غير مباشر و خطاب مباشر حـــر ، و هذا التقسيـــم يكون في اللّغة الفرنسية و اللّغة الألمانية و اللّغة الروسية و هي دراسة مقارنة بينها [0 ص55. .

وقد كان بـــاختين نمـــوذجا للّساني الذي يريد التخلص من الجمود و العزلة اللتين كـــانت تعاني منهما اللسانيات ، و قد سار في هذا الاتجاه نـــون فانديك Non Fandik في كتابه Text and context محاولا " بناء نظرية لسانية للخطاب كافية تستطيع تحليل و تفسير كثير من المظاهر الخطابية التي تقف لســـانيات الجملة عـــاجزة أمـــامها من هـــذه المظاهر : موضوع الخطاب ، الانسجام ، البنية الكلّية " [1 ص1! .

أمّا رولان بارث Roland Barthes فهو ينطلق من الجملة فيرى بأنّ الخطاب قد يكون : جـــملة كما يستطيع أن يكون كتابا كاملا .. و يكون الـــخطاب في الأدب مجموعة أشكال و ظواهر علامية في حاجة إلى أن تدرس من الوجهة الدلالية التعبيرية ، وليس دلالية الإبلاغ فقط كما تدرس من الوجهة التركيبية و الأسلوبية في تشكيلها القصصي والشعري " [2ا] ! /0! .

فبـــارث قد انطلق من اللّسانيات التي تعتبر الجملة وحدة أخيرة في اللّغة و هذا يعني أن الخطاب لا يوجد إلاّ في الجملة ، و بما أن اللّسانيات لا يسعها تناول موضوع أرفع من الجملة فمن الواضح أنّ يصبح الخطاب ذاته منتظما ضمن مجموعة من الجمل فتصبح عبر هذا التنظيم رسالة أو كتابا تبعث بها لغة أخرى متفوّقة على لغة اللّسانيين [3 ص' . ثمّ ينتهي إلى أنّ للخطـــاب وحداته و قواعده و قوانينه لهذا يجب أن يكون موضوع لسانيات ثانيـــة [3 ص' .

أمّا تـــزفيتان تودروف Tzvetan Todorov فهو يرى بأن للخطاب حركته الخاصة المستقلة، وبالتالي زمنـــه كما هو حال أجسام العالم، هكذا ينفصل الخطـــاب عن كل ما عاداه و يخضع لانتظام داخلي ، و من وجهة النظر الخـــارجية يتحرك الخطـــاب بحرية و بطريـــقة مستقلة، و في داخله يكون منّظما و خاضعا للانتظا. " [4 ص6! .

2.1.1.1. – عند العرب

أولا عند النحويين واللّغويين

لقد كان مفهوم الخطاب عند النحويين و اللغويين أمثال سيبويه و المبرد و ابن جنّـــي حـــال من حالات الكلام ، و هو قسم التكلم و الغيبة و يأتي في ترتيب الأعرفية ، و الخطاب لا يتحقق إلاّ بالمشاركة، ولمفهومه مدلولان هما :

أولا اللفظ الموضوع لذلك كضمائر الخطاب المتصلة و المنفصلة وهي : أنت و فروعه ، و إياك و فروعه، التاء المتصلة و المنفصلة بأول الفعل المضارع ، التاء المتحركة بالفتحة أو الكسرة مثل : أكلتَ و أكلتِ، و كذلك الدالة على المثنى و الجمع مثل أكلتما، أكلتم و أكلتن .

ثـــانيـــا التركيبات الكلامية التي توجه مضموناتها إلى المخاطبين، و ذلك كشأن أي كلام يوجهه المتكلم لمخاطبه ، و على هذا تكون دلالة الأول على الـــخطاب دلالـــة ذاتية للفظ ، و دلالة الآخر عليه دلالة يعينها السياق و المقام [5 ص9] .

و الكلام عند ابن هشام هو :
القول المفيد بالقصد ، و المراد بالمفيد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه " [6 ص90] .
فالكلام هنا يرادف القول . أمّا الزمخشري فيرى بأن الكلام يرادف الجملة بقوله : الكلام هو المركّب من كلمتين أسندت إحداهمـــا إلى الأخرى ، و ذلك لا يتأتى إلا في اسمين كقولك زيد أخـــوك و بشْر صاحبك، أو في فعل و اسم كقولك ضرب زيد و انطلق بشْر و يسمى الجملة " [7] . /8] .

أما الرّضي الإسترابادي فقد فرّق بين الجملة والكلام بأن جعل الـــجملة أعم من الكلام، لأن الجملة قد تفيد و قد لا تفيد أما الكلام فهو مفيد دائما [8 ص3] .
و هذا ما أشار إليه ابن مالك في ألفيته حين قال : " كلامنا لفظ مفيد كاستقم " [9 ص] .
من كل ما سبق يتبـــين لنا أن الخطـــاب عند اللغويين و النحويين هو الكلام المفيد بالقصد .

ثـــانيا عند علمـــاء الأصـــول

جعل الأصوليون الخطاب مرادفا للكلام من بينهم الإمام الجويني ت 478) الذيّ وضّح ذلك بقوله : " الكلام الخطاب و المتكلم والتخاطب والنطق واحد في حقيقة اللغة، و هو ما يصير به الحي متكلما " [0 ص2] . وهذا المفهوم جعل بعض الأصوليين يطرح سؤالا مفاد : هل يعتبر الكلام النفسي خطابا؟

كما جاء في قوله تعالى ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓ ﴾ [1] (3.) وفي قوله تعالى

﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ ﴾ [2] (4).

فيجيب مفتي الديار المصرية محمد بخيت بأنّه : لا شبهة في تسمية الكلام النفسي خطابا و اتّصافه بذلك هو باعتبار دلالته على المعنى الذي دلّ عليه اللفظي' [3 ص9 –0 .

كما نجد الإمـــام الجويني يوضح مفهوم الخطاب في موضع آخر بأنه ما فهم منه الأمر و النهي و الخبر، فما فهم منه أحد الثلاثة فقد فهمها كلها فكل أمر نهي و خبر و كل نهي أمر و كل خـــبر أمـــر و نـــهـــي [0 ص3؛ . فمثلا يكون الخبر بصيغة الأمر كما في قوله تعالى : ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً ﴾ [4؛] (2؛). فمعنى الآية هنا كما ورد في الأثر عن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قولـــ : " يـــا أيّها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فإنّ أهـــل النار يبكون حتى تسيـــل دموعهم من وجوههم كأنّها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون، فلو أنّ سفننا أجريت فيها لجرت " [ز] ا /85؛ .

ثـــالثاً عند النقاد العرب المحدثون

لقد تأثر الدارسون العرب المحدثون في تحديدهم لمصطلح الخطاب للّسانيات الغربية فالمصطلح عرف منذ القديـــم كما رأينا عند اللغويين والنحوييـــن والأصوليين غير أنّه لم يبرز كمصطلح علمي عملي .

فقد ظهرت في السنوات الأخيرة حركة نقدية نشيطة في العالم العربي تهتم بالخطابات الأدبية و هي إن شقّت اتجاها إلى التطبيق و الممارسة واكتشاف أغوار الخطاب الأدبي إلاّ أنّها لم تخلُ من تأثيرالمناهج و المعارف الغربية كاللسانيات و السيميائيات و غيرها من بينهم النـــاقدة يمـــنى العيـــد التي تعرف الخطاب بأنه : "... كتلة نطقية لها طابع الفوضى و حرارة النفس و رغبة النطق بشيء ليس هو تماما الـــجملة و لا هو تماما النص، بل هو فعل يريد أن يقول " [5 ص2. .

فالخطاب حسب تعريف الناقدة لا هو بالجملة و لا هو بالنص، إنّما هو فاعلية يمارسها المخاطب ليعبر بها عمّا يختلج في نفسه من مشاعر و أحاسيس و غيرها ، و هدفه هو التأثير في الآخرين ، فهو يدخل بذلك ضمن العلاقات الاجتماعية بين النّاس، كما أن الخطاب عندها خطابان : يندرج الأول ضمن نظام اللغة و قوانينها و هو النّص الأدبي و فضاؤه واسع ، بينما يخرج الثاني من اللغة فيندرج تـــحت سياق العلاقـــات الاجتماعية يضطلع بـــمهمة توصيل الرســـالة الجديدة ، و هو يتشكّل ابتداء من عملـــية التركيب - الصياغة) أو (التركيب – العبارة) فيقوم بمحاولة توصيـــل الرســـالة المولودة في سياق هـــذه العلاقات الاجتماعية فيبتعد عن التركيب ويبالغ في خرق النظام باحثا عن المرجع [6 ص8؛ .

يتبّين لنا من ذلك أنّ الناقدة قد قسّمت كلامها إلى : خطاب أدبي و هو خطاب خاص بالطبقة المثقفة حيث ينطلق المخاطب من الكلمة وصولا إلى العبارة ثمّ إلى التركيـــب فهو يخضع للقوانين اللّغوية النظامية من نحو و صرف وتركيب و دلالة ، أما الخطاب الثاني فهو الكلام العادي الذي يكون بين متكلمين بصياغة تعبيـــرية بسيطة و بحسب العلاقات الاجتماعية القائمة بينهما لهدف توصيل رســـالة معيّنة أو لتبادل أفكار و آراء مختلفـــ .

و لعلّ أشمل وأوضح تعريف للخطاب هو الذي قال به سعد مصلوح بأنّه :
رسالة موجّهة من المنشئ إلى المتلقي تستخدم فيها الشفرة اللّغوية المشتركة بينهما، ويقتـــضي ذلك أن يكون كلاهما على علم بـــمجموع الأنماط والعلاقات الصّوتية والصّرفية والنّحوية والدلالية التي تكوّن

نظام اللغة أي الشفرة المشتركة، و هذا النظام يلي متطلبات عملية الاتصال بين أفراد الجماعة اللّغوية وتتشكّل علاقاته من خلال ممارستهم كافة ألوان النشاط الفردي و الاجتماعي في حياتهم [7 ص3؛ .

فالخطاب حسب هذا التعريف يفترض وجود شخصين : منشئ أو مرسل) و متلقي، يوجه الأول إلى الثاني رسالة تحمل شفرة لغوية يفهمها أو يستوعبها كلاهما ، و هذا يستلزم معرفة مستويات النظام اللّغوي المعتمد في الشفرة من نحو و صرف و صوت و دلالة لأن ذلك كفيل بحصول التواصل و التفاهم بين الأفراد، غير أننا نجد بعض الخطابات مستغلقة عن الفهم حتى و إن كنّا نعرف اللغة التي أنشأت بها كبعض الخطابات البلاغية التي تكون محشوة بالألفاظ المتجانسة والاستعارات والسجع، كما أن الخطاب حسب هذا المفهوم قد يكون شفويا وقد يكون كتابيا ، كما قد يكون جملة بسيطة أو مركّب .

و قد يكون الخطاب نصًا و بهذا يتبين لنا أن كل نص خطاب و ليس العكس صحيحا، لأن الخطاب قد يكون جملة أمّا النص فلا يكون جملة فهو يتألف - كما يرى هاليداي و رقية حسن – من أي فقرة منطوقة أو مكتوبة نثرا أو شعراً حوارًا أو مونولوجًا، كما يمكن أن يكون مسرحية بأكملها من نداء أو استغاثة، حتى مجموع المناقشة الحاصلة طوال اليوم في لقاء هيئة [1 ص3؛ .

1.1.1؛ – الخطاب القرآني :

الخطاب القرآني مصطلح يتألف من لفظتين هما لفظة خطاب التي كنّا بصدد التعّرف على مدلولاتها ، و لفظة قرآني المضافة إليه التي تميّز و تصف هذا الخطاب عن باقي أنواع الخطابات الأخرى .
و القرآن اصطلاحا هو الكتاب المنزّل على رسول الله بواسطة أمين « صلى الله عليه و سلّم الوحي جبريل - عليه السلام – لفظا ومعنا وأسلوبا، و هو كلام الله المعجز المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر بلا شبهة، المتعبّد بتلاوته " [8 ص9؛ .

فالقرآن الكريم هو كلام الله – عزّ وجلّ – الذي يختلف عن كلام الإنس والجن والملائكة فهو معجز بألفاظه ومعانيه، فقد تحدّهم بأن يأتوا ولو بسورة مثله في قوله تعالى :

﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ﴾ [9؛] (8؛). كما تحدّاهم بأن يأتوا بعشر سور منه في قوله تعالى :

﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ﴾ [0؛] (3؛). ثمّ تحدّاهم بأن يأتوا بمثل القرآن كلّه

فعجزوا عن ذلك فجاء قوله تعالى : ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾ [1؛] (8؛).

و لا يزال التحدّي به قائما فهو المعجزة الخالدة أبد الدهر .

كما نقل إلينا بالتواتر و هذا ما يخرج ما نقل بطريق الآحاد فهو قطعي الثبوت ، كما أنه متعبد بتلاوته و هذا في الصلاة فهي لا تجوز بالأحاديث الصحيحة أو حتى القدسية، كما أن قراءة القرآن عبادة يثيب الله عليها .

و قد وصفه الرسـول صلى الله عليه وسلم بقولـه : " إن هذا القرآن حبل الله و هو النّـور المبين و الشفاء النّـافع، عصمة لمن تمسّك به و نجاة لـمن تبعه، لا يعوجُّ فيقوم و لا يزيغ فيُسْتَعْتَب ، و لا تنقضي عجائبه ، و لا يخلف على كثرة الر ". يتّضح لنا من هذا الوصف بأنه على المستوى النفسي للإنسان أن القرآن الكريم رغم تقادم العصور و الأزمنة فهو لا يتأثر كما يتأثر الإنتاج البشري و مثال ذلك الشعر الذي قد يتغير و يتجدد أما القرآن الكريم فهو صالـح لكل زمان و مكان .
أمّـا على المستوى الآني فهو وحـي من الله تعـالى إلى النبي الكريم – عليه السلا – ليكون شاهدا على نبـوّته، وهداية للبشري .
فالقرآن الكريم هو : خطاب الله لأفراد النّوع الإنساني فردا فردا و هـذا ما يجعل منه خطابا واجب التفرّد بإعجاز مبين بوسعه إلزام الكلّ بالإهيـته وتحقق انتمائه لله " [2 ص0 .

والخطاب القرآني هو : خطاب إلـهي اختصّ بـه رسول الله صلى الله عليه وسلم المبعوث رحمة للعـالمين " [2 ص0 .
من هذين التعريفين نتوصّل إلى أنّ الخطاب القرآني هو كلام الله أو رسالة من الله سبحانه وتعالى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم موجّه إلى البشرية جمعاء .

كما أنّ الخطاب القرآني يشكّل – من حيث هو رسالة سماويّة توجّت سلسلة الرسـالات التي سبقته – ظـاهرة تواصل مفتوح على شؤون الإنسان في تجددها واسترسـال تطورهـ [3 ص81. .

من هـذه الأوصاف والتعريفات للخطاب القرآني يتبيّن لنا أنّ لـه خصائص تميّزه عن باقي أنواع الخطابات المعروفة (كالخطابات السياسية و الأدبية و الشعرية ..) من أهمّها :

– يدعو الخطاب القرآني إلى تدبّر آياته و الاتعاظ بها ، و هذا يتبين لنا من قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [4] (7 –2 –2 –0ا).

وهذا التدبر يكون دون الاستعانة بكتب أخرى كما هو الحال مع غيره من التوراة التي يحتاج فهمها إلى مشورة الربانيين والأحبار كما جاء في قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ ﴾

[5] (4ا). أما أي خطاب آخر فقد يدعو إلى الموعظة كالخطاب الشعري الديني، ولكنه يركز على التأثير في الآخرين (الوظيفة الجمالية ، كما أنّه قد يقتبس من القرآن الكريـ .

– جعل الله الخطاب القرآني يستوعب الإنسانية قاطبة زمانا و مكانا، عرقا و حضارة، بينما أي خطاب سياسي كان أو أدبي مثلا فهو يختص بزمن أو بيئة معينة .

– تفرّد الخطاب القرآني بحفظ الله تعالى له فلا يطـاله التغيير حذفا أو إضافة أو غير ذلك مصداقا لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [6] (ا)

أما الخطابات التي يقولها البشر أو يكتبونـها قد تتعرض للإضافة أو الحذف بحسب السياق أو المقام الذي تقال فيه، كما قد تتعرض للتحريف لغرض ما كتشويه سمعة قائلها أو لفهم خاطئ لـمقصود .

2.1.1 - تحلـــيل الخطـــاب

بعد تحديدنا لمدلولات مصطلح الخطاب و تعرفنا على نوع الخطاب الذي سنتعرض له في بحثنا نصل إلى تحديد مفهوم ' تحليل الخطاب ' فما هو مفهومه ؟
مصطلح ' تحليل الخطاب ' يتألف من لفظتي تحليل و الخطاب نتعرّف أولا على مدلول لفظة تحليل، ثم على مدلول لفظة تحليل الخطاب .

التحليل لغة مصدر من حلّل يُحلل و قد ورد معناها في لسان العرب : حلّل اليمين تحليلا و تحلّة أي كفّرها " [ ] /50' ، جاء في قوله تعالى : ﴿ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ ﴾ [7؛] (!).

جاء في معناها " يمين تكفّرها " [ ] /500 و قد بيّن لنا سبحانه وتعالى كيف نحلل أو نكفّر أيماننا في قول : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ ۖ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ ﴾ [5؛] (9؛).

أمّـــا اصطلاحا فالتحليـــل يستعمل : ' للدلالة على مجمـــوعة من الإجراءات المستعملة قصد و صف موضوع مـــا، ككل محتو على دلالة شـــاملة ترمي هذه الإجراءات إلى إقـــامة علاقات بين الأجزاء و الموضوع من جهة ، و بين الأجزاء و الكلّ من جهة أخرى إلى أن يستنفذ الـــموضوع ، أي حتى يتم تسجيـــل الوحدات الصغرى غير القابلة للتحليل " [8 ص0!] .

يتبين لنا من هذا التّحديد أن التّحليل هو إتّباع إجراءات محدّدة تهدف إلى تجزئة الموضوع إلى وحدات كبرى مثل الـــجملة أو الكلمة، و وحدات صغرى هي الحروف مع ربط الوحدات الصغرى بالموضوع من جهة و ربطها بالوحدات الكبرى من جهة ثـــانية .

, لعل التعريف الأدق الأقرب إلى العلمية هو التعريف الذي قدّمه بنجاميـــن بلـــوم Benjamin Bloom بقول : هو القدرة على تفكيك الموضوع العلمي إلى أجزاء رئيسية بحيث تظهر العلاقة بين هذه الأجزاء في صورة متكاملة إذ لا يمكن للعملية التحليلية أن تحقق أهدافها إن لـــم تكن تلك الأهداف مرتبطة بقدرة الطالب على تحليل المادة التي يتعلمها " [9 ص1!] .
فقد جعل بنجامين التحليل مرادفا للتفكيك أمام أي موضوع علمي إلى أجزاء و وحدات تربط بينها علاقة و يتحقق كل ذلك بالقدرة على التحقيق .

أمّـــا أصحاب قاموس اللسانيات فلم يقوموا بتعريف التحليل وإنّما اكتفوا فقط بتقسيمه إلى أربعة أقسا :

1- Analyse Grammatica
2- Analyse Logique.
3- Analyse Structurelle.

4- Analyse de contenu. [3]p 31-32.

ويقابلها في العربية على الترتيب التحليل النّحوي ، التحليل المنطقي، التحليل البنيوي، تحليل المحتوى . بعد تحديدنا لمفهوم مصطلح تحليل وما يشير إليه نصل الآن إلى تحديد مصطلح تحليل الخطاب ، المصطلح غربي النشأة يقابله في اللّغة الفرنسية Analyse de discours أما في اللّغة الانجليزية فهو يقابل Descourse analysis وقد جاء معنـــاه في قاموس اللّسانيات ما يلي :

" On appelle analyse de discours la partie de la linguistique qui détermine les règles commandant la production des suite de phrases structurées " [3]p31-32.

المعنى الواضح من هذا الكلام هو أنّ تحليل الخطاب يطلق على قسم من اللّسانيات يتناول القواعد التي تتحكّم في إنتاج مجموعة من الجمل البنيوية، فتحليل الخطاب هو فرع من فروع اللّسانيا وموضوعه هو الجمل التي تشكّل خطابا .

وبعد التطور الذي عرفته الدراسات اللّسانية – كتجاوزها لمفهوم الـــجملة إلى تتالـــي مجموعة من الجمل – كثرت الدراسات حول تحليل الخطاب فقد صنّفت بداية ضمن علوم البلاغة لأنّه " الـــحقل المعرفي الذي اهتمّ بدراسة النّص وتـــحليله، وبعد ذلك كان ظهور علم الأسلـــوب بوصفه علما يهتمّ بتحليل الخطاب، ثمّ أصبح الجهد النقدي في دراسة الأدب كلّه وما رافقه من دراسات بنيويّة لفن القص والسرد وكذلك الشعر " [0 ص7ا .

من خلال كل ما سبق ذكره نتوصل إلى النتائج التـــالي :

– ترك التحليل البنيوي للّغة مجالا واسعا و فضاء رحبا لدراسة الخطاب من مستويات متعددة تتمثل في المستوى الصوتي، و الافرادي ، و التركيـــبي، و الدلالي المرافق للمستويات ســـابقة الذكر، و سنتعرض في دراستنا لنموذج من الخطاب القرآني في المستوى الصوتي .

– ظهرت اتجاهات مختلفة في تحليل الخطاب، كالاتجاه البنيوي مبادئ ديسوسور) ، التحليل السيميائي غريماس) و مـــا تلاها من دراسات و إسهـــامات كدراسة الزمن لجيرارد جينـــات Gérard Genette كالتحليل الأسلوبي لشارل بالي Charles Bally ، و غيره .

– لقد استفاد الدارســـون العرب من الاتجاهات التي سبق ذكرها فاستفاد مثلا الباحث و ليـــد نجار من منهج جيرارد جينات في تحليل الخطاب السردي من خلال كتابه جملة "Figures III و وظف من العناصر التقنية في نقد الكتابة الروائية و طبقها على أعمـــال نجيب محفوظ الروائية في كتابه قضايا السرد عند نجيب محفوظ " [1ا].

أما الباحث محمد طـــول فقد طبّق تحليل الخطاب السردي في القصص القرآني من خلال كتابه البنية السردية في القصص القرآني ' ـ اول فيه مفهوم أ ـ وب السرد في القصص القرآني ، و وقف على الصراع بين الخير و الشّر الذي ينتهي بانتصار الأول على الثان ي [2ا].

2. مستويـــات تحليل الخطـــاب

تشتمل اللّغة على مجموعة من الأنظمة التي تبدأ بالنظام الصوتي بصوامته،صوائته وفونيماته ومقاطعه ، وما يسود فيها من ظواهر النبر والتنغيم وغيرهما ، و تمـــرّ الكلمات من حيث بناؤها ومورفيماتـــها ودلالتها على المعاني المختلفة في أذهان الجماعات اللّغوية التي تستخدمها وتنتهي ببناء بعـــضها على بعض، لأنّ طبيعة اللّغة تتخذ في المقام الأول صورة صوتية منطوقة مسموعة تعبّر عن معان وأفكار ذاتية أو اجتماعية أو عالمية .

وقد أدرك العلماء القـــدامى من الهنود و الإغريق والرّومان والعرب قيمة اللّغة ودورها فكانت نتائج أبحاثهم – على الرغم من تشابهها – عظيمة القدر، غير أن اعتمادهم على الـــملاحظات الذاتية منعهم من الوصول إلى بعض الحـــقائق اللّغوية ، فسعى الدّارسون المـــحدثون إلى تجليتها ، و أ هـــمّ ميدان لفت انتباههم هو الصّوت لأنّه الأساس الذي تنشأ منه لغات العالم ، كما أنّـــه الأساس الذي يقوم عليه بناء مفرداتـــها و صيغها و تراكيبها، وهذا ما أشار إليه الدكتور جعفر دك البـــاب بقولـــ :

".. النّظام اللّـــغوي يؤلّف كلا واحـــدا ، و أنّ المستويات المتدرجة للبنية اللّغوية تـــوجد في علاقة تأثير متبادل فيما بينها، ويحتلّ مستوى البنية الصوتية مرتبة الـــمستوى الأساسي والموجِّـــه بالنسبة لبقية المستويات ، لذا تنعكس خصائصه في المستويات اللّغوية الأعلى " [3 ص9! . و الواضح من كلامه أنّـــه يقصد بالمستويـــات اللّغوية الأعلى : المستوى الإفرادي، و الـــمستوى التركيبـــي بشقيه الثابت النّحوي والـــمتغيّر البلاغي .

ولم تقتصر الدراسات الصوتية و الإفرادية والتركيبية على مال علم اللّغة فحسب، وإنّما امتدّت إلى ميدان الأدب لأنّ مقوّمات الخلق والإبداع ترتكز فيبعض معالمها على تخـــيّر الألفاظ و قوّة نسجها وتنوّع دلالتها وصوره . وهذه المستويات الثلاثة تقوم بالوظيفة البلاغية للّـــغة وهي مجتمعة و كلّ مستوى يحمل دلالة جزئية تكتمل بتلاحم المستويات الثلاثة، وسنتطرق إلى كلّ مستوى على حدة .

2.1. – المستوى الصوتي

يعد المستوى الصوتي من أعمق المستويـــات التي تناولها العرب في دراستهم للغة ، و لعل هذا راجع إلى الدراسات القرآنية فقد شقّ هذا العلم طريقه بدأ من أبي الأسود الدؤلي مرورا إلى الخليل بن أحمد ثم تلميذه سيبويه إلى أن وصل في نضجه على يد أبي الفتح عثمان بن جنّي الذي أفرد لـــه كتابا خاصا سمّـــاه سر صناعة الإعراب ".

و يبحث المستوى الصوتي في أصوات اللّغـــة من حيث مخارجها و صفاتها و طريقة نطقها و قوانين تبدلها و تطورها في كل لغة من لغات العالم القديمـــة و الحديثة [4 ص0 .
و يكون ذلك بدراسة صفات الجهر و الهمس، الشّدة و الرخاوة، الترقيق و التفخيم و غيرها من صفات الأصوات، و كيفية التـــئام الأصوات مع بعضها، و الأصوات اللغوية هي ذات طبيعة مادية لأنّها عبارة عن موجـــات هوائية، و قد تعمقت دراسة الأصوات و تشعبت فأصبحت علما مستقلا يسمى الفونيتيكا أو علم الأصوات [5 ص0 –2! .

1.2.1.. – تعريــف الصوت

الصوت لغــة : ' الصوت الجرس معروف مذكّــر ... و قد صات يصوت و يصات صوتا و أصات و صوّت به كله نادى، و يقال صوّت تصويتا فهو مصوِّت و ذلك إذا صوّت بإنسان فدعاه ، و يقال صات يصوت صوتــا فهو صائت ، معناه صائح ... الصوت صــوت الإنسان و غيره ... أصات الرجل بالرجل إذا شهره بأمر لا يشتهيه و انصــات الزّمان بــه انصياتا إذا اشتهر . و في الحديث : فصل ما بين الــحلال و الــحرام الصوت و الدّف يريد إعلان النكاح و ذهاب الصوت و الذكر بــه في النّاس، يقال له صوت و صيت أي ذكر . وفي الحديث : كان العباس رجلا صيتا أي شديد الصوت، عاليه، يقــال : هو صيت وصائت كميّت ومائت ، وأصله الواو وبناؤه فيعل فقلب وأدغم . و رجل صيت وصائت . و حمار صائت : شديد الصوت . و كلّ ضرب من الأصوات صوت، والــجمع أصوات " [1]؛ /9؛ . يتّضح لنا من هذا التعريف بأنّ الصوت عامّ أي لا يختصّ لا بإنسان – أي عاقل - و لا بحيوان – أي غير عاقل – فهو مشترك بينهما .

و نجد أبا بكر الرازي يثبت بأنّ الصوت عرض وليس بجسم فيقول في ذلك :
" ... والصوت مذكر لأنّه مصدر كالضرب والقتل، والصوت معقول لأنّه يدرك ولا خلاف بين العقلاء في وجود ما لا يدرك، و هو عرض ليس بجسم، ولا صفة لجسم ، و الدليل على أنه ليس بجسم أنّه مدرك بحاسة السمع، و الأجسام متماثلة، والإدراك إنّما يتعلّق بأخصّ صفات الذوات، فلو كان جسما لكانت الأجسام جميعا مدركة بحاسة السّمع " [6 ص42؛ .

أما النظّام المتكلّم فكان يزعم أنّ الصوت جسم، و لــكن العلماء دحضوا حجّته بوجوه منه :
" أنّ الأجسام مشتركة في الجسمية و غير مشتركة في الصوت، ومنها أنّ الأجسام مبصرة أولا وملموسة ثانيا والصوت ليس كذلك، ومنها أنّ الجسم باق والصّوت ليس كذلك " [17] ؛ /9؛ .

نفهم من هــذين القولين أنّ الأجسام ليست كلّها تحدث صوتا، كما أنّ الجسم يمكن أن نشاهده ونلمسه، أما الصوت فلا يــمكننا مشاهدته ولا لــمسه و إنّما يدرك بحاسة السّمع وهذا يدلّ على أثــر الصوت .
كما أنّ الصوت يختفي تماما فور إصداره ولا يعود مرّة أخرى (ما عدا الصدى) أمّا الأجسام فهي تبقى دوما إلى أن يزيلها الإنسان أو يتخلّص منها) ، فالصوت إذن ليس جسم .

الصوت اصطلاح : إذا ما بحثــنا عن التعريــف الاصطلاحي للصوت فإننــا نجده يقترب من المفهوم اللغوي له و هذا ما نجده عند الشيخ الرئيس ابن سينــا :
"... الصوت سببه القريب تموّج الهواء دفعة واحدة و بقوة و بسرعة من أي سبب كان فإذا كان السبب قريبا أطلق عيه القرع أمّا إذا كان بعيدا فيسمى القلع " [؛ ص؛ .

و عرّفه أحمد مختار عمر بأنّه : ' أنه أي شيء يسبب اضطرابــا أو تنوعا ملائما في ضغط الهواء مثل الشوكة الرنانة و الوتر الممتد و هــو في أصوات اللّــغة أعضاء النطق – و لا سيمــا الوترين الصوتيين - التي تتحرك في اتجاهات مختلفة و بأشكال متعددة ، و تنتج أصوات Sounds تسبب تنوعات في ضغط الهواء ' [9 ص1؛ .

نلاحظ أن التعريف الأول يقصد به الصوت العام الذي يطلق على أي جسم كان أمّـا التعريف الثانـي فهو يشمل الصوت اللّغوي الصـّادر عن الإنسان و الذّي يهتـز أعضاء نطقه ليشكل كلمات ينطق بها الـمتكلم كما يشمل الصوت غير اللّغوي .
كما يمكن تعريف الصوت بالمعنى العام الذي يشمل اللّغوي و غير اللّغوي بأنّه : الأثـر السّمعي الذّي به ذبذبـة مطّردة حتى و لو لم يكن مصدره جهازا صوتيـا حيّـا ، فما نسمعه من الآلات الموسيقية النفخية أو الوتريـة أصوات، وكذلك الحسّ الإنساني صوت ' [0 ص9؛ .

أمّا إذا بحثـنا عن التعريف الدقيق للصوت فإنّنا نجده عند ابن جنّـي الذي يعرّفه قائـلا :
' إعلم أنّ الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيـلا متّصلا حتى يعرض لـه في الحلق و الفم و الشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده و استطالتـ " [1؛] ا /2. .

ففي قولـ ا عرض) يقصد بأنه عارض يخرج مع النفَس و ليس أساسيا لحياة الفرد كالتنفس الذي لا يحيا الإنسان إلا بـه، أمّـا بغير الصوت فيمكن للإنسان أن يحيا لأنّ بعض الأطفال يولدون وهم بُكم لا يقدرون على الكلام و لكنّهم يتنفّسون ليعيشوا، فالنّفس هـو جوهر الحياة و هو الحدث أمّا الصوت فهو عرض لها ' و قيل إن الدنيا عرض حاضر نسبة إلى أن لا ثبـات لها [ص33. ، قـال تعالى :
﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ ﴾ [2؛] (7؛).

أمّا في قوله مستطيلا) فهو يريد أن يشبّه مجرى الصوت بداخل النّاي الذّي يستطيل يخرج من فتحاته كما يشبه أوتار العود و حتى الحيوان يشارك الإنسان في إطلاق النفَس من الرئتين، أمّا عن متّصلا) فيريد بذلك أنّ صوت الإنسان متصل الحركات ويستطيع أن يتصل كما يتصل النفس الإنساني و قد أجـمع علماء الغرب على أن الوحدة النفَسية هي الوحدة الحقيقية للكلام و ليست الكلمة لأن الوحدة النفَسية يتصل فيها الصوت حتى ينتهي النفس و الصوت معا، فالكلمة هي اصطلاح أُخذت من الكتابة كي يفرق بين الكلمات و لم تُأخذ من واقع الصوت الإنساني [3 ص ا – ا .
أمّا عن (الحلق و الفم و الشفتيـن) فهي أماكن إحداث الأصوات ، فبعضها حلقية تخرج من الحـلق كالحاء و العين و بعضها فموية كالفاء ، و بعضها شفوية كالميم و الواو ، و هذه إشارة إلى مخارج الأصوات . أمّا الضمير له في قوله (حتى يعرض لـ) فيعود على الصوت ، أم ا يعرض) فهي تعود على المقطع . و هنا يتّضح لنا بأنّه سمى المقطع حرفا، والمعروف أنّ المقطع هو مخرج الحرف لا الحرف نفسه [0 ص19؛ .
فهل الحرف عند ابن جنّي هو المقطع؟ وهل فرّق ابن جنّي بين الحرف والصوت .

أمّـا الجاحظ فقد عرّف الصوت ببساطة قائلا :
الصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم بـه التقطيع وبـه يوجد التأليف ولن تكون حركات اللسان لفظا و لا كـلاما موزونا و لا منثورا إلاّ بظهور الصوت، و لا تكون الحروف كلاما إلاّ بالتقطيع والتأليف ' [4؛] ا /6′ .

أمّا ا تمـام حسّان فهو يعرّف الصوت في موضع آخر بقولـ :
" أ مّا الصوت فعملية حركية يقوم بها الجهاز النطقي و تصحبها آثـار سمعية معيّنة تأتي من تحريك الهواء فيما بين مصدر استقبال الصوت و هو الجهـاز النطقي و مركز استقباله و هو الأذن " [5؛] ص6؛ .
و هذا التعريف يقترب من تعريف ا كمال بشْر فهو يعرفه بأنّه :

أثر سمعي يصدر طواعية و اختيـــارا عن تلك الأعضـــاء المسماة تجاوزا أعضاء النطق ، و يتطلب الصوت و ضع هذه الأعضاء في أوضاع معينة و محددة أيضا و معنى ذلك أن المـــتكلم لابد أن يبذل مجهودا ما كي يحصل على الأصوات " [6 ص6ز .

1.2.1.ا . تعريـــف الحرف

الحرف لغـــ : "... الحرف في الأصل : الطرف و الجـــانب، حرفا الرأس شِقاه ، و حرف السفينة و الجبل : جانبهما، و الجمع أحرف و حروف " [ا] ا /14ا .
و جـــاء في مقاييس اللّغ ' لابن فارس : " الحاء و الراء و الفاء ثلاثة أصول : حد الشيء العـــدول، و تقدير الشيء . أمّا الحد فحرف كل شيء حدّه كالسيف، ومنه الحرف و هو الوجه، قال الله تعالى :

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ ﴾ [7ز] (1ا) أي على وجه واحد، والأصل الثـــاني الانحراف عن الشيء ... و المحراف : حديد يقدّر به الجراحات عند العلاج " [9ز] ا /2ا – 3ا .
وقد ورد الفعل يحرّف في القرآن الكريم في المواضع الآتي :

قال تعالى : ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [8ز] (6ا).

قال تعالى : ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦٖ ﴾ [5ز] (1ا).

قال تعالى : ﴿ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ ﴾ [0ز] (5ز).

من كلّ ما سبق يتبيّن لنا أنّ الحرف في اللّغة يأخذ عدّة مدلولات فهو الطرف والجانب والحدّ ، والعدول عن الشيء ، والإمالة والإزالة فهل يختلف المعنى اللّغوي عن المعنى الاصطلاحي .

الحرف اصطلاح : لقد عرف الحرف قديما قبل الخليل وسيـــبويه فقد جاء في الرّواية المنسوبة إلى أبي الأسود الدؤلي قولـــ : ' إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة على أعلا ..." [2 ص2ا .
هنا نلحظ استعمال الحرف بمعنى الصوت المنطوق، وهذا ما نجده أيضا عند الخليل في معجمه العين إذ يقول : ' فإذا سألت عن كلمة وأردت أن تعرف موضعها فانظر إلى حروف الكلمة [3ز] ا /3ز .
ونجده كذلك عند سيبويه في قول :
' هذا باب عدد الحروف العربية ومخارجها ومهموسها ومجهورها " [4ز] ا /31ا – 32ا .

وقوله في موضع آخر من كتاب : ".. وتكون خمسا وثلاثين حرفا بحروف هنّ فروع، وهي كثيرة يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار وهي النون الخفيفة ، والهمزة التي بين بين ..." [4ز]31ا – 32ا . كما عبّر سيبويه عن الصوت بالحرف في موضع آخر بقول :
" الشّديد هو الحرف الذي يمنع الصوت من أن يجري فيه " [4ز] ا /89ا .

بمعنى أنّ الصوت الشديد يحكم أمامه الانسداد ممّا يحول دون مرور الهواء عند نقطة اتّصال عضوي النطق . كما استعمل سيبويه الحرف بمعنى الرمز الكتابي في قول : ' وإنّما وصفت لك حروف المعجم " [4ز ا /36ا . و قال أيضا في نفس الصد : " و هذه الحروف التي تممتها اثنين و أربعين جيّدها و رديئها أصلها التسعة والعشرون لا تبين إلاّ بالمشافهة " [4ز ا /32ا .

و الذي نستخلصه من كلام سيبويه هذا هو أن الرّموز الكتابية للحروف هي تسع وعشرون حرفا، بينما أصواتها المنطوقة هي اثنان وأربعون صوتا .
أما ابن سينا فقد حدّد الحرف بقوله : ' والحرف هيئة للصوت عارضة له يتميّز بها عن صوت آخر مثله في الحدّة والثقل تميّزا في المسموع " [8 ص0. .

يتبيّن لنا من هذا القول أنّ كلمة عارضة تدلّ هنا على أنّ للصوت حدوثا مؤقتا وليس دائما، كما يقصد بالحرف صورة الصوت التي تميّزه عن غيره عن طريق السّماع، فالصوت والحرف كلاهما يرتبط بالجانب المنطوق من اللّغة، ويشتركان في كونهما ذوي أساس نطقي وسمعي . وبهذا نجده يتوافق مع تعريف ابن جنّي إذا ما عدنا إلى تعريفه للصوت :
"... فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا، وتختلف أجراس الحروف بسبب اختلاف في مقاطعها " [1ز ا /2. . فالحرف هو الذي يحدّد الصوت ويثنيه عن امتداده واستطالته، ويميّز بين صوت وآخر فكأنّ الحرف هو انحراف وانقطاع لامتداد واستطالة الصوت، وبناءً على ذلك فالحرف عند ابن جني هو : صوت ممتد + مقطع مثني + صائت .

أما المقطع الصوتي في العربية فهو يتألّف من عنصرين مكوّنين على الأقل هما : صامت يليه صائت [3 ص12ا . أمّا الأصوات الصائتة (vowels) فهي الحركات الإضافية إلى أصوات المدّ، وهذه الحركات هي الضمة، الفتحة، الكسرة [5 ص5ا .
ما نجد ابن جني يعرّف الحرف تعريفا لغويا بقوله :
" فأما الحرف فالقول فيه وفيما كانت من لفظته أنّ (ح ر ف) أينما وقعت في الكلام يراد بها حدّ الشيء وحدّته ، ومن ذلك حرف الشيء إنّما هو حدّه وناحيته ... وذلك أنّ الحرف حدّ منقطع الصوت وغايته و طرفه كطرف الجبل ونحوه " [1ز ا /5. .

<u>الحرف عند المحدثين</u> أمّا علماء اللّغة المحدثون فهم يخصّنا حرف بمعنى الرمز الكتابي للصوت وهذا ما يوضّحه لنا ا . تمّام حسان في قوله بأنّ الحرف هو :
' ذلك الرّمز الكتابي الذي يتخذ وسيلة منظورة للتعبير عن صوت معيّن " [6 ص30. .
بمعنى أنّ كلّ صوت له صورته المكتوبة التي هي نفسها الحرف، ثمّ يوضّح لنا بأنّ العلاقة التي تربط بين الرمز و ما تدلّ عليه هي علاقة غير منطقية فهي اصطلاح فقط : ' و وضع الرّمز اصطلاح لا أكثر ولا أقل، أي أنّ العلاقة بين الرمز ومدلوله علاقة اعتباطية لا منطقية ولا طبيعية " [0 ص3 .

كما ميّز ا . تمّام حسان بين الحرف والصّوت بقول : ' والحروف وحدات من نظام وهذه الوحدات أقسام ذهنية لا أعمال نطقية على نحو ما تكون الأصوات ، و الفرق واضح بين العمل الحركي الذي للصوت و بين الإدراك الذهني للحرف، أي بين ما هو مادي و بين ما هو معنوي مفهوم " [5ز] ص3ز . فالصوت إذن يمثّل الجانب النطقي الذي تحرّكه أعضاء النطق و يؤديه المتكلم في نشاطه اللّغوي اليومي العادي ، بينما الحرف يدرك ذهنيا و معنويا، فعند سماعنا للحرف نتصوّر رمزه الكتابي في أذهاننا .

و الحرف عند النحويين القدامى هو :
" كلمة دلّت على معنى ثابت في لفظ غيرها " [8] . /2 . ويراد بـــها هنا حروف المعاني كحروف الجـــر، و حروف الجزم و غيره ... فهي لا تدلّ على معنى في ذاتها - و هي مستقلّة – بل تدلّ على معنى في غيره . و هذا ما ورد أيضا في ألفية ابن مالك من تقسيم الكلام إلى : اسم و فعل و حرف .

وحتى بعض الغربيين يعبّرون عن الصوت بالحرف ، وهذا ما أشار إليه المستشرق الألماني شاده بأن : " كثيرا من علماء أوروبا ظلوا يسلكون نفس المسلك " [3 ص12] .
من خلال هذه الآراء المختلفة حول الصوت والحرف والفرق بينهما نتوصّل إلى النتائج التالية :

- لا نجد تعريفـــا لمصطلح الصوت عند الخليل بن أحمد وتلميذه سيبويه ، و إنّما تـــحدّثا عن الحرف، كما عبّر سيبويه عن الصوت بالحرف ، و هذا الأخـــير أسبق في الظهور من الصوت الذي لم يظهر إلا في أواخر القرن الرابع هجري مع ابن جنّي [7 ص10] .

- أوّل من سمّى البحث في أصوات العربية علما هو ابن جني، و قد فرّق بين الصوت والحرف ، كما نجده يقرنهما معا في كتابه سر صناعة الإعراب عن : ذوق أصوات الحروف [1] . /1 .

2.1. – المستوى الإفـــرادي

يهتم المستوى الإفرادي بدراسة الكلمة من جانبين مهمين هم :
الجانب الأوّل : البنية الصوتية للكلمة؛ ويختص بدراسة أوزانها علم الصرف أي المستوى الصرفي
الجـــانب الثاني : البنية الدلالية للكلمة؛ و يختص بدراستها علم المعجم أي المستوى المعجمي [8] ص14 .

2.2.1. المستوى الصّرفي

هو علم يدرس الكلمة المفردة وما يطرأ عليها من تغيرات على صورتها الملحوظة من حيث حركتها وسكونها و عدد حروفها ، و موضوع علم الصّرف : الأســـماء المعربة و الأفعال المتصرفة أي لا يعنى بالأسماء المبنية والأفعال الجامدة و لا حـــتى الحروف [4 ص10] . فالمستوى الصرفي إذن يدرس بنية الكلمة و هذه البنى تـــدرس بصيغ متمـــايزة فـــللفعل صيغه ، وللمشتقات صيغها و هكذا ... هذا بالنسبة لنظرة علماء العرب القدامى الذين رأوا بأنّ الصرف هو دراسة بنية الكلمة فحسب .

أما المـــحدثون فلهم نظرة مغايرة بل متوسّعة و هذا ما يوضّحه لنا . كمال بشْرفي قوله :" أنّ كلّ دراسة تتّصل بالكلمة أو أحد أجزائها وتؤدي إلى خدمة العبارة أو الجملة أو بعبارة بعضهم تؤدي إلى اختلاف المعاني النحوية،كلّ دراسة من هذا القبيل هي صرف " [9 ص15] .
من هذا الكلام يمكننا فهم علم الصّرف من خلال الترتيب التالي :
- علم الأصوات اللّغوية الذي يدرس العنصر الأوّل الذي تتكوّن منه اللّغة أي يدرس الصوت المفرد أو الصوت في علاقته مع غير .
- علم الصرف الذي يدرس الكلمة .
- علم النّحو الذي يدرس الجمل .

وبرأينا أن هذا الترتـــيب صحيح لأن كثـــيرا من مسائل الصرف لا يمكن فهمها دون دراسة الأصوات خاصة في مواضع كالإعلال و الإبدال و الإدغام ، كما أن كثيرا من مســـائل النحو لا يمكن فهمها إلا بعد دراستها دراسة صرفية .

و على هذا يرى بعض اللّغويين المـــحدثين أسبقية دراسة الصرف على دراسة النحو، من بينهم الإمام السّكاكي، و في هذا الصدد يقول ا. جعفر دك البابـ : " و قد أدخل الإمام السّكاكي تطويرا هاما حين جعل دراسة علم الصرف سابقا لعلم النحو " [0 ص22 .

و هذا ما ذهب إليه من القدماء العلامة ابن جني في كتابه المنصف " قائلا :
" فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلمة الثابتة، و النحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة ... فلقد كـــان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف لأنه معرفة ذات الشيء الثابت ينبغي أن يكون أصلا لمعرفة حاله المتنقلة " [1 ص1 .

ونحن نوافق هذه النظرة و لهذا بدأنا بالمستوى الإفرادي الذي يهتم بعلم الصرف ثمّ يأتي بعده المستوى التركيبي الذي يضم المستوى النحوي ، و رغم هذا فبعض المحدثين يجعلون علم النّحو سابقا على علم الصّرف ممّا أثّر سلبا على الدراســـات اللّغوية العربية اليوم . و بمـــا أنّ علم الصّرف يختص بدراسة الكلمة، فما هو مفهوم الكلمة؟ وهل اختلف المـــحدثون عن القدامى في تحديدهم لها ؟ .

طبيـــعة الكلمـ : إنّ أكثر ما يستعمل الدارسون خاصة في البحث اللّغوي لفظة كلمـ " دون أن يلقوا بالا إلى دلالتها الدّقيقة و مفهومها المـــحدّد الذي يفرضه السياق ، و قد اعتبر كثير من الباحثين أنّ الكلمة مفهوم شبه غامض تختلف فيه الآراء وتتعدد في تحديده المقاييس .

الكلمة لغة : ورد في لسان العرب لابن منظور أنّ : " ... الكلمة تقع على الحرف الواحد من حروف الهجاء وتقع على لفظة مؤلفة من جماعة حروف ذات معنى، وتقع على القصيدة بطولها ... والـــجملة أو العبارة التّامة المعنى كما في قولهم لا إله إلا الله) كلمة التوحيد " [1] ز /90! .

من هذا التعريف يمكننا أن نستنتج ما يلي : ليس هناك تحديد لـــمفهوم الكلمة كوحدة في البنية اللّغوية إلا من حيث نطقها ؛ فهي تقع على حروف الهجاء ، و من حيث وزنها الصرفي فهي تقع على لفظة مؤلفة من جـــماعة حروف ذات معنى ، كما تدل على قطعة الكلام المطول كالقصيدة و الـــخطبة وذلك يعتبر من قبيل المـــجاز المرسل بدلالة الجزء على الكل إضافة إلى مـــا فيه من إيحاء بأهمية هذه القطعة من الناحية الدلالية والأخلاقية مثل كلمة التوحيد .

أمّا في القرآن الكريم فقد وردت لفظة كلمة أربعا وعشرين مرّة في مواضع مـــختلفة من الآيات والسور، وكل منها يحمل دلالة خاصة بـــه حسب موقعه من الآية،من ذلك قوله تعالى مخاطبا عبده زكريا : ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [2′] (2′).

قيل هي كلمة التوحيد، وقيل كتاب الله، وقيل إنّه عيسى - عليه السلا - [ص42! .

ننتقل إلى معنى آخر للكلمة و هو ما جاء في قوله تعالى :

﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ ﴾ [4؛] (0؛).

قال ابن عباس في معناها بأنّ كلمة الذين كفروا هي الشرك، و كلمة الله هي لا إله إلا الله [ز] ؛ /68؛ .
كما ورد المعنيان متضادين في سورة أخرى وهي قوله تعالى :

﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآ ﴾ [4؛] (4؛ . ومـــا يقابلها هو قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ ﴿٢٦﴾ ﴾ [4؛] (6؛).

جاء في تفسير الآية الأولى عن الكلمة الطيبة : ' هي شهادة أن لا إلـــه إلاّ الله " أما في الآية الثانية عن الكلمة الخبيثة : " هي كلمة الكفر " (.
كمـــا وردت لفظة كلمة في معنيين متضـــادين هما الجزاء الحسن والعقاب ، الأول في قوله تعالى :

﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ ﴾ [5؛] (37).

أمّـــا المعنى الثاني فقد ورد في قولـــه تعالى :

﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [0؛] (19)

فالكلمة في الآية الأولى بمعنى الجزاء الحسن لصبرهم على أذى فرعون ، أما في الآية الثانية فهي بمعنى العقاب، فقد سبق في قضائه وقدره لعلمه التّام وحكمته النّافذة أنّ ممن خلقه من يستحق الجنّة ومنهم من يستحق النّار، وأنّه لابدّ أن يملأ جهنّم من هـــذين الثقلين وله الحجة البالغة [ز] ؛ /92؛ .
من خلال عرضنا لبعض المعاني التي وردت بها لفظة كلمة في القرآن الكريم نخلص إلى ما يلي :

. – مصدّقا بكلمة ← عيسى – عليه السّلا –
. – لولا كلمة سبقت ← حكم اقتضاه الله – عزّ وج –
. – كلمة الذّين كفروا ← الشـــرك
. – كـــلمة الله ← التـــوحيد
. – تمّت كلمة ربّك ← الجزاء الحسن
. – تمّت كلمة ربّك ← العـــقاب

فلفظة كلمة في القرآن لها أثر بالغ بدليل أنّها قد تقع لمعنيين متضادين كالشرك و التوحيد اللّتين ينطق بهما الإنس والجن، وكالجزاء والعقاب الذي يستحقّه كلّ منهما، فكلّ كلمة منها لها معنى دقيق خاص بها قد يتّفق أو يختلف مع آية أخرى، كما قد يأتي مضادا لـ .

ولا نقصد بالاتّفـــاق الترادف و إ ـ ا المقصود هو أنّ الله سبحانه و تعالى قد يورد نفس المعنى لنفس الكلمة ليذكّر بها عباده و ليعتبروا، أو أن تفسّر سورة بسورة أخرى ، فقد تأتي الآية أو السورة مجملة ويأتي تفسيرها في آية أو سورة أخرى .

فإذا تدبّرنـــا في آيات القرآن العظيم نجد إشارات كثيرة تدّل على رفض الترادف ، كقوله تعالى :
﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ ﴾ [76] (4).

فالواضح أنّهم استسلموا خوف القتل و السبي و لم يصلوا إلى حقيقة الإيمان [ز] ا/77! .
على هذا الأساس فنحن ننكر ظاهرة الترادف في القرآن الكريم ونؤكّد على ظاهرة الإعجاز القرآني بالتدبر في أسراره التي لا تنتهي .

الكلمة اصطلاحـ : لم يحاول سيبويه وضع تعريف دقيق للكلمة فقد بدأ كتابه بتقسيم أجزاء الكلام مباشرة فالكلمة عنده : ' اسم و فعل و حرف جـــاء لمعنى ليس باســـم و لا بفعل " [34] . /33! .
فهذا التعريف اقتصر على الجانب الوظيفي النّحوي، و ذلك على أســـاس أنّ كتابه كان في النّحو وليس في علوم اللغ . وقد أثّر سيبويه فيمن جاء بعده في تحديد ماهية الكلمة فنجد المبرد يتحدّث عنها قائلا : " فأقل ما تكـــون عليه الكلمة حرف واحد، ولا يجوز لحرف واحد أن ينفصل بنفسه " [77] . /7 .

وهو يعني بالحرف هنا الصّوت الذي له دلالة مستقلة ضمير المتكلّم أو الغائب أو المخاطب . وبهذا اتضحت فكرة الاستقلال الدلالي للكلمة كسمة بارزة لتحديد ماهيته .
أمّا الزمخشري فالكلمة عنده هي " اللفظة الدّالة على معنى مفرد بالوضع ، و هي جنس تـــحته ثلاثة أنواع : الإسم والفعل و الحرف " [8 صز] .

نفهم من هذا الكلام أنّ الكلمة من جنس اللفظ، والجنس أشمل من النّوع لأنّ اللفظ كما ذكر ابن يعيش يدلّ على المهمل و المستعمل ، أمّا المهمل فيمكن أن نؤلفه من بعض الحروف دون أن يحمل معنى ، كأن نقول مثلا صص ، كف ... لا يعتبران كلمتين وإنّما لفظتان فهما لا يحملان معنى ، و بهذا فكل كلمة عنده لفظة وليس كل لفظة كلمة [7] . /9 .

و يمكننا أن نستنتج من تعريف الزمحشري أنّ الكلمة مشكلة من الجانب الصوتي و المعنى المقصود كما تحمل فكرة الاستقلالية ذلك أنّه تعرض للمعنى المفرد ، فكلمة الرجل و نحوها تدلّ على معنيين مستقلين هما (أل) التعريف و ا رجل) المعرّف، رغم أنّهما من جهة الصوت و النطق لفظة واحدة، ولكنّهما في الواقع كلمتان فالألف واللام كلمة ورجل كلمة أخرى .
أما السيوطي فيعرّفها تعريفا لغويا بقول :
" الكلمة تطلق لغة على الجمل المفيدة وهذا الإطلاق منكر في اصطلاح النحويين " [79] . /ا .
ثمّ يرى بأنّ أفضل تعريف للكلمة هو أنّه : " قول مفرد أو مستقل أو مُنوى عنه " [79] . /ا .

الواضح من التعريف الأوّل أنّ الكلمة مرادفة للجملة وربّما هذا التعريـــف كان متداولا آنذاك ويقرّ السيوطي بأنّ هذا التعريف غير مرغوب فيه لدى النحـــاة لأنّهم وضعوا حدودا فـــاصلة بين الجملة والكلمة، أمّـــا التعريـــف الثاني الذي يقرّه هو أنّ الكلمة قول مفرد ، فالقول أعمّ من الكلام فقد يكون القول جـــملة أو لفظة، ثمّ يضيف عنصر الاستقلالية فقد ننطق بكلمة واحدة مستقلة مثل : صه ، مه ، مرحبا وغيرها ... وكلّ منها يحمل معنى، كما قد تكون الكلمة ضمن جمل .

أما عن حروف المضارعة وياء النسبة وتاء التأنيث وغيرها فهي ليست كلمات لعدم استقلالها بالمعنى أمّا عنصر النيّة فهو إشارة إلى الضمائر المستترة إمّا وجوبا كقولنا قمϕ ضمير مستتر وجوبا تقديره أنت، و إما جوازا كقولنا ذهب ϕ فالفاعل في هذا المثال مستتر جوازا أي يمكننا ذكره أو عدم ذكره إذا كان معروفا أو ورد في سياق معيّن .
وبالرغم من أنّ السيوطي يركّز على فكرة استقلالية الكلمة دلاليـــا إلاّ أنّ تصوره للكلمة جعله يتأثّر بوظيفتها النّحوية وهذا يظهر من خلال تصوّره للضمير المستتر وجوبا أو جوازا يدخل ضمن نطاق الكلمة بالرغم من أنّه ليس بكلمة .

أمّـــا ابن مالك فقد لخـــّص موقف النّحاة من مفهوم الكلمة في ألفيته قائلا :
كلامنا لفظ مفيد كاستقم اسم وفعل ثمّ حرف الكلم
واحدهُ كلمة والقول عـــمّ وكلمة بها كلام قد يُـــؤم [9 ص9. .
من خلال هذين البيتين نجده يفرق بين المصطلحات الأربع : الكلمة، الكَلِم،الكلام، القول .
فالكلام هو اللّفظ المفيد و هو ينقسم كما أشار سيبويه إلى اسم و فعل وحرف، و بهذا فهو يؤكد على الوجـــود المستقل للكلمة فهي ذات معنى جزئي ، فقد نعبّر عن كلام بكلمة واحدة كقولـــنا أهلا فهي اختصار لكلمات الترحيب، أمّا الكلم فهي جمع كلمة لقوله واحده كلم ".
أما القول فهو أعمّ من الكلام وقد يفيد وقد لا يفيد أمّ الكلام فهو مفيد دائم .

من خلال عرضنا للتعريفات المختلفة للكلمة عند علماء العربية القدامى نخلص إلى ما يلي :
. – أنّ الكلمة في تصوّر النّحاة صوت تتألّف من حرف أو أكثر .
. – أنّ الكلمة دلّ على معنى مستقل .
. – أنّ الكلمة قول مفرد أو لها دلالة جزئية .
وبناء على ذلك يمكننا أن نميّـــز بعض الجوانب التي أغفلها القدماء في تصورهم للكلمة، وخلطهم بعض الجوانب بجوانب أخرى نجملـــها في ما يـــلي :

. – لم يفرّقوا بين الدلالة الوظيفية للكلمة (أي بين موقعها الإعرابي) و بين دلالتها الاجتماعية (أي بحسب السياق أو المقام الذي ترد فيه) رغم أنّهم أدركوا التداخل الحاصل بين الجانبين .

. – لم يفرّقوا بين وجود الكلمة من حيث هي وجود مستقل، وبين وجودها من حيث هي كلمة تقتضيها معاني النّحو، وهذا ما جعل السيوطي يعتبر الضمير المستتر يدخل في حدود الكلمة ، بمعنى أنّهم لـــم يفرّقوا بين الجانب الصّوتي للكلمة و بين الجانب النّحوي لـــه .
أمـــّا علماء اللّغة المحدثون فقد نظروا إلى الكلمة نظرة علمية مجرّدة فوجّهوا دراستهم للّـــغة المنطوقة بدلا من المكتوبة ، فلم يسلّموا بنظرة القدماء للوجود المستقلّ للكلمة، وإنّما رأوا بأنّ لها جوانب متعددة يمكن النّظر إليها على أنّها سلسلة من الأصوات المؤلّفة بطريقة معيّنة لترمز إلى أشياء حسية أو أفكار مجرّدة، وقد ينظر إليها على أنّها عنصر نحوي أي بحسب موقعها من الإعراب، أو كوحدة من وحدات الـــمعنى لها دلالتها و رمزها، والنتيجة أنّ الكلمة لها جانب معنوي و جانب بنيوي ، وهنا تبرز مشكلة استقلالية الكلمة في صور مختلفة وهذا تبعا للحـــالة التي تكون عليها [0 ص4. .

أمّا عن اللّغويين العرب المعاصرين فهم ينظرون إلى الكلمة نظرة اللّسانيات الحديثة التي تحدد الكلمة الكلمة بواسطة التقطيع (double articulation) للسلسلة الكـــلامية ، و هذا مـــا توضّحه المزدوج

الدكتورة خولة طالب الإبراهيمي في مفهومها للكلمة بأنّه :" القطعة التي تندرج في المستوى الأول من التقطيع المزدوج يصل إليها التحليل ممّـــا يدلّ على معنـــى " [1 ص5] .

مثلا : **كتب / الطّالب / الدّرس .**
فكلمة كتب " وحدة دالّة يصل إليهـــا التقطيع المزدوج في المستوى الأول و هي تحمل معنى معين، وكذلك الأمر بالنسبة لـ الطّالب " و الدّرس ". و قد تكون الكلمة مؤلّفة من قطعة صغيرة جدا أي من حرفين) مثل من " ، و قد تكون كبيرة الحجم مثل أعطيتُكَه .

من كلّ ما سبق ذكره نخلص إلى أنّ الكلمة عند علمـــاء العربية وحدة مستقلّة تدلّ على معنى تـــمّ التواضع عليه ، فهي قطعة صوتية منفصلة عن غيرها في نوعين هم :
الأول هو الاسم الذي لا يقترن بزمن، والثّـــاني هو الفعل المقترن بزمن معيّن .
أمّـــا إذا كـــان معنى الكلمة غير مستقل بنفسه فهي الحرف (نقصد بها حروف الـــمعاني كالعطف و الجزم والجرّ و غيرها .

2.2.1. المستوى المعـــجمـــي

كان النّشاط المعجمي من المـــجالات التي بدأ العرب السّعي فيها مبكّرا رغم أنّ بعض المستشرقـــين و المفكّرين العرب رأوا بأنّ العرب ليسوا أوّل من ابتكر فن التأليف للمعاجم منهم د . أحمد مختار عمر الذي قال بأنّ الآشوريين والصينيين و اليونانيين سبقوا العرب بأكثر من ألف عـــام في ابتكار معاجم خـــاصة بلغتهم [7 ص3 – 4] .

ولكنّهم رغم هذا فهم أول أمة وضعت معجما كاملا دقيقا بالمعنى المتعارف عليه بين اللّغات الحية، ويعدّ الخليل بن أحمد أوّل من صنّف معجما جمع فيه ألفاظ اللّغة وشرح معـــانيها المختلفة و رتّبها ترتيبا علميا دقيقا كما هو معروف و هو الترتيب الصوتي حيث بدأ بأعمق الحروف مـــخرجا أي من أقصى الحلق وهو العين لذا سمى معجمه باسم " معجم العين ".
ثمّ ظهرت بعده معاجم أخرى منه لسان العرب ' لابن منظور " مقاييس اللّغ ' لأحمد بن فارس " المخصص ' لابن سيدة " القاموس الـــمحيط " للفيروز أبادي وغيره .

و الحديث عن المعاجم يجرّنا إلى تحديد مفهوم المستوى المعجمي فهو :
" يتمثّل في أنّ لكل كلمة من كلمات اللّغة معنى مخصوص أو طريقة في الاستعمال " [2 ص3] .

يتّضح لنا من هذا التعريف أنّ المستوى الـــمعجمي يتعرّض بالدراسة لمعاني الكلمات ، و كيفية استعمالها في التواصل من خلال تركيبها في جمل وفق ترتيب خاص، كترتيب الفاعل و المفعول به ، فإذا احتلّ المفعول به مثلا مكان الفاعل في جملة ما صار نائب فاعل فيتغيّر بالتالي معنا .
وبما أنّ مفهوم الكلمة غامض وغير شامل استعمل مصطلح الوحدة المعجمية " الذي يعتبر الوحدة المفتاحية التي تشكّل مداخل المعجم وهي تحمل في ذاتها معنى الشمولية بحيث تشمل :

- الكلمات المفردة المعروفة مثل : قلم، كتاب ...
- الكلمات الـــمركّبة مثل : لا وعي، لاشعور ...
- الكلمات الـــملصقة مثل : برمائي، رأس مالي ...
- الكلمات السياقية أو العبارات مثل : بيضة ديك، شعرة معاوية ...

إضافة إلى أنّ مصطلح الكلمة القائم على مفهوم اللّفظ و المعنى قد يسبب إشكالا للمعجمي حين يتّحد الشكل اللّفظي ويختلف المعنى، فإذا اعتُبرت الكلمة أساسا للتحليل المعجمي توضع مثلا كلمة ' خال "

بمعنييها في مدخل واحد مع أنّهما وحدتان مستقلتان ، أما إذا اتّخذت الوحدة المعجمية أســـاسا فسوف توضع كلمتي خال في مدخلين مستقلين، فتعني الأولى أخو الأم و تعني الثانية الشّـــامة على الوجـ .

وهكذا كانت مادة المعجم العربي تقوم على جمع وتحصيل المادة اللّغوية المسموعة والمكتوبة باعتماد المنهج الوصفي القائم على تـــحديد البيئة المكانية و الزمـــانية لأخذ المادة الصّحيحة ، فحملت بطون المعاجم ملايين الألفاظ منها المستعملة ومنها المهملة ، فأدى هذا المنهج إلى توقيف حركة جمع اللّغة والاقتصار على تنظيم المواد وتبويبها بالنسبة للاحقين من اللّغويين ، و مع هذا فقد كان لهذه المعجمات أثر لتثبيت اللّغة وحسم الصراع لصالحها [3 ص27؛ .

من كلّ ما سبق ذكره يتبيّن لنا أنّ المستوى المعجمي من أصعب المستويـــات فهو يعتمد الدّقة في البحث عن الـــمعاني التي تدلّ عليها الكلمات، خاصّة مع تعدد هذه المعاني مما جعل الدارســـين يقسّمونها إلى ثلاثة أقسام هيِ : المعنى اللّغوي، والمعنى السّياقي، والمعنى الاجتماعي [4 ص2ـ .

أمّا المعنى اللّغوي فهو يُحدَّد بالأصوات اللّغوية للكلمة و يتغيّر بتغيّر حرف منها أو حركة كقولنا بَر، بُر، بر فالأولى تعني اليابسة والثانية تعني الشعير أما الثالثة فهي تعني الإحسار .
أمّا المعنى السياقي فيوضّحه سياق الحال الذي قيلت فيه الكلمات و قد قسّمه . أحمد مختار عمر إلى أربعة أنواع هي السّياق اللّغوي، السّياق العاطفي، السّياق الموقفي، السّياق الثقافي [5 ص8ا – 9ز .
أمّـــا المعنى الاجتمـــاعي فيكون مقتصرا على مجتمع معيّن دون غيره من الـــمجتمعـــات الأخرى .

1.2.1 – المستوى التـــركيـــبي

يعـــدّ المستوى التركيبي أهم مستويات البنية اللّغوية على الرغم من أنّ النظام اللّغوي يمثّل أنظمة مترابطة ومتفاعلة فيما بينها ، و لا يمكن أن يعمل كلّ نظام منفصلا عن الآخر كما أنّ الانتقال من المستوى الافرادي إلى التركيـــبي لا يكـــون عشوائيا وإنّما يتمّ وفق قوانين النّحو التي يجب التقيّد بـــها ومراعاتها حتى يكون الكلام صحيح .

ويقصد بالـــمستوى التركيبي أنّه المستوى الذي يختصّ بنظم الكلمات ودراسة تراكيبها [6 ص4] . والنّظم عرّفه الجرجاني بقول : " واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الموضع الذي يقتضيه علم النّحو، و تعمل على قوانينه و أصوله و تعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها " [7 ص76] . من هذا الكلام يتبيّن لنا أنّ النـــظم هو مراعـــاة القواعد النّحوية في الكلام بمعنى ربط النّحو بالبلاغة، و هذا يدلّ على أنّ المستوى التركيبي له جانبان اثنان هم :

الأول : يهتم بدراسة التراكيب غير الإسنادية؛ و يختص بدراستها علم النّحو في بعض أبوابه كباب المـــجرورات وباب التوابـــع .
الثاني : يهتم بدراسة التراكيب الإسنادية الجمل) ويختص بدراستها علم النّحو وعلم المعاني .
والنحو كما عرّفه ابن جـــنّي هو : " انتحاء سمت كلام العرب في تصرّفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير و التكسير والإضافة و النسب و التركيب و غير ذلك " [38] ص13 .

فقد عرّفه بالمصدر انتحاء " من نحوتُ نحواً كقولنا أخذت أخذا ثمّ خصّ به انتحاء هذا القبيل من العلم وقد استعملته العرب ظرفا فيقال نحوت إلى مكان كذا أي اتّجهت نحو .
فالنّحو إذن ميدانه هو " الجملة و دراسة عناصرها و تركيبها، و يحتّم نظام العربية ترتيبا خاصا لو اختلّ لأصبح من العسير فهم المراد منها " [4 ص1] .

كما أنّ النّحو ليس إعرابا كما هو شائع و إنّما هو دراسة القوانين التي تحكم الكلام العربي وتكون مقياسا لكلّ من أراد أن ينحُوَ سمت كلام العرب ، أمّـــا علم المعاني فهو أحد علوم البلاغة الثلاث المعروفة إضافة إلى علمي البيان و البديع .

و علم المعاني هو : " علم يعرف به أحوال اللّفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال " [9 ص5] . واعتبار مقتضى الحال معناه أن يكون المتكلّم عارفا مع من يتكلّم و واعيا للظرف الذي يتكلّم فيه، و عارفا بالفروق الظرفية و الموضوع الذي يتكلّم فيه مع مخاطبه بالتّـــالي يحدّد نوع الأسلـــوب الذي يستخدمه فلا يكون كلامه حشوا ولا ثقيلا على المخاطب ، و بهذا فإنّ المتكلّم يكون قد بلغ مراده بدقة

و وضوح متصرّفا في كلامه بذكاء ؛ وبناء على ذلك يمكننا أن نسمّيه بليغا و منه قولنـــا مثلا بلاغة الرّسول صلى الله عليه وسلّم – و بلاغة المتنبّي ... بالـــمقابل لا يمكننا أن نقول مثلا نحو المتنبّي لأنّ قواعد اللّغة يخضع لها جميع متكلّميها و لا يمكن لأحد إضـــافة نحو جديد إلا إذا تطورت اللّغة وتغيّر نظامها الصرفي والتركيبي مما يجعلها تكتسب خصائص نحوية جديدة .

و دراسة الجملة إذن تكون باشتراك علمي النّحو والمعاني، يوضّح لنا تمام حسان هذه العلاقة بقوله : " إذا كـــانت الشراكة في دراسة الـــجملة قائمة بين علم النّحو و الـــمعاني فإنّ النّحو يبدأ بالمفردات وينتهي إلى الجملة الواحدة ، على حين يبدأ علم المعاني بالجملة الواحدة و قد يتخطّاها إلى علاقتها بالـــجملة الأخرى في السياق الذي هي فيه " [10 ص13] .

3.2.1. لجملـــة لغ

ورد في لسان العرب : " الجملة بالضمّ جماعة الشي. " [ ] /03 أي بمعنى الجمع الذي ضدّه التفريق . وقد وردت لفظة جملة في القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ وَقَال ٱلَّذِين كَفَرُوا لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡه ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَة وَٰحِدَةً ﴾ [1] (2).

جاء في معناه :" أي مجتمعا لا كما أنزل عليه نجوما متفرّقة، وقول الفقهاء ' المـــجمل " ما يحتاج إلى بيان ... وحقيقة المجمل المشتمل على جملة أشياء كثيرة غير ملخصة " | ص05 .

3.2.1.! لجملـــة اصطلاحـ

الجملة عند النّحاة معرّفة على مستويين هما مستوى البنية الإخبارية و مستوى البنية النّحوي .
أمّا من حيث المستوى الأول فهي :
كلمات تتألّف لتدلّ على معنى، أو هي اللّفظ الـــمفيد فـــائدة يحسن السكوت عليها " [2] /7 .
أمّا من حيث المستوى الثاني فهو يتعلّق بالإسناد ، و بهذا اتّضح في تعريف القدماء أنّ مصطلحي الجملة والكلام مترادفان ، و هذا ما نجده عند الزمخشري في تعريفه للكلام و يقصد به الجمل :
" الكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى وذلك لا يتأتى إلاّ في اسمين كقولك : زيد أخوك و بشر صاحبك ، أو في فعل واسم كقولك : ضرب زيد و انطلق بشر ويسمى الجملة " [7] /8 .

أمّا الإستراباذي فقد فرّق بين المصطلحين بقول :
الجملة هي ما تضمّن الإسناد الأصلي سواء كانت مقصودة لذاتها أم لا، كالجملة التي هي خبر المبتدأ أو سائر ما ذكر من الجمل ... أمّا الكلام فهو مـــا تضمّـــن الإسناد الأصلي وكان مقصودا لذاته ، فكلّ كلام جملة وليس العكس " [8 ص3 .

يتبيّن لنا من كل ذلك أنّ كلاً من الكلام و الـــجملة يتضمن الإسناد أمّـــا الفرق بينهما فهو أنّ الجملة أعمّ من الكلام لأنّها قد تفيد و قد لا تفيد أمّ الكلام فهو مفيد دائـــما كما أشار صاحب الألفية، وقد تنبّه علماء العربية نتيجة للدراسات التحليلية الوصفية و الشاملة للغة العربية أنّ الجملة لا تتكوّن من جزء واحد، بل تتألّف في بنيتها النّحوية من مسند ومسند إليه، وهذا لا يتعارض مع تعريف المـــحدثين لها بأنّها : " أقلّ قدر من الكلام يفيد الســـامع معنى مستقلّ بنفسه سواء تركّب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر " [3 ص276

فقد يحذف المسند والمسند إليه من الكلام كقولنـــا : من حضر؟ فيكون الجواب : محمد، فهذه الجملة الأخيرة حذف منها المسند و هو الفعل والتقدير هذا : حضر محـــمد . و الإسناد هو علاقة تنعقد بين ركني الجملة وهما المسند والمسند إليه الذين ذكرهما سيبويه قائلا : " هذا باب المسند و المسند إليه و هما ما لا يجد المتكلّم منه بُداً، فمن ذلك الاسم و المبني عليه و هو قولك : عبد الله أخـــوك وهذا أخوك و مثل ذلك قولك يذهب عبد الله . فلا بدّ للفعل من اسم كما لم يكن للاسم الأول بـــدٌ من الآخر في الابتداء . و ممّـــا يكون بمنزلة الابتداء قولك كان عبد الله منطلقا و ليت زيدا منطلق ، لأنّ هذا يحتاج إلى ما بعده " [4] /3 .

فسيبويه حدّد المسند إليه بأنّه إمّـــا أن يكون مبتدأ وقال بأنّه ما يبنى عليه الكلام و مثاله هو : عبد الله أخوك؛ فالمبتدأ هو عبد الله وهو اسم، وإمّا أن يكون فاعلا ومثال : يذهب عبد الله ؛ فعبد الله هو الفاعل الذي قام بفعل الذهاب فلا بدّ لأيّ فعل من فاعل حتى إن كان غائبا . ثمّ أضاف ما يكون بمنزلة الابتداء ومثال : كان عبد الله منطلقا؛ فإذا حذفت كان من الجملة تصير مؤلّفة من مبتدأ و خبر عبد الله منطلق؛ فالأصل في عبد الله هو الابتـــداء ثمّ دخلت عليه كـــان فأصبح بمنزلة الابتداء والأمر نفسه بالنسبة للمثال الثاني الذي دخلت عليا ليت " .

من خلال تحديدنا للمسند إليه يتبيّن لنا أنّ الـــمسند هو الخبر و الفعل التّام وخبر النّواسخ ، كما نضيف المبتدأ المكتفي بمرفوعه كاسم الفاعل و مثـــاله قولنا : ما ناجحٌ المهملُ؛ فناجح هو مبتدأ الوصف و هو لا يحتاج إلى خبر و إنّما إلى مرفوع يكتفي به و يسدّ مسد الخبر و هو المهمل و هو هنا اسم فـــاعل ،كما قد يكون اسم مفعـــول أو صفة مشبّهة، كمـــا اشترط النّحـــاة في عمله أن يكون مسبوقا بنفي أو استفهام مع رفع فـــاعل ظـــاهر أو ضمير متّصل يتمّ بـــه الكلام [4 ص5} .

1.3.2.1 أقســـام لجملـــ

قسّم النحاة الجملة إلى جملة الفعل والفاعل وجملة المبتدأ و الخبر و سمي التقسيم الأول بالجملة الفعلية أما الثاني فقد سمي بالجملة الاسمية ، ثمّ أضاف بعض النّحاة الظرفية كابن هشام والمخزومي ، و زاد الزّمخشري الشّرطية،غير أنّ بعضهم يعتبر هذه الأخيرة فعلية كابن هشام وأورد مثالا عن ذلك بقوله تعالى ﴿وَإِن أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ [4!] () .

فيقول بأنّها جملة فعلية لأنّ التقدير هو إن استجارك أحد ، أمّا الظرفية فيرى بأنّه إذا عمل الظرف أو الجار و المجرور نيابة عن الفعل فيما بعده فهي فعلية نحو : أفي الدار زيد تقديرها أيوجد زيد في الدار، أمّا إذا قدّرت بـ : أموجود زيد في الدار فهي إسمية [6!] ! / - } .
فالإسناد هو الذي يؤلّف الانتظام للمعنى الكلّي للكلمة بين أقسام الكلم الثلاثة (الاسم، الفعل، الحرف) وذلك بانتظام المعنى الجزئي لكلّ قسم منها ، كما يحصل الانتظام عن طريق التعليق الذي أشار إليه الجرجاني بقول : ' تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها سببا من بعض " [7 ص4. .

ثمّ يوضّح أوجه التعليق و هي :" تعلّق اسم باسم، و تعلّق اسم بفعل و تعلّق حرف بهما " [7 ص5. .
والتعليق أشمل من الإسناد فهو يتعدّ - إضافة إلى المسند والمسند إلي - إلى المنصوبات كالمفعولات والتمييز وغيرها، كما يتعداه إلى حروف المعاني كالجرّ والجزم والعطف ....

الفصل 2
في قضايا الدرس الصوتي

2. الدرس الصوتي نشأة وتطورا

ظهرت الدراسات الصوتية العربية في بداياتها الأولى وهي مرتبطة بالقرآن الكريم كما نشأت عند الهنود في خدمة لغتهم السنسكريتية القديمة عندما شرعوا يتدارسون كتابهم المقدس " الفيدا " فكان بذلك أن سبق العرب الهنود الغربيين في هذا المجال، وهذا ما أكدّه لنا العالم الألماني برجستراسر ergstrasser في قول : " لم يسبق الغربيين في هذا العلم إلاّ قومان من أقوام الشرق و هما أهل الهند يعني البراهمة والعرب " [5 ص3] .
فكيف كانت إسهامات العرب القدامى؟ وهل أضاف إليها المحدثون جديدا .

1.2. إسهامات علماء القراءات

لقد نمت الدراسات الصوتية في أحد ـ ان لغة القرآن الكريم عن طريق علم القراءات الذي يعرف بأنّه فن جليل وبه تعرف جلالة المعاني وجزالتها، وقد اعتنى به الأئمة وأفردوا فيه كتبا منها كتاب الحجة لأبي علي الفارسي " [6] . 19/ .

وللتوصل إلى هذه المعاني فقد اهتم علماء القراءات بالمفردات التي تؤلفها وهذا لا يحصل إلاّ بالاهتمام بالأصوات التي تؤلفها هذه المفردات وطريقة نطقه - أي أدائه - فكانت المسائل الصوتية عندهم مرتبطة بالأداء، وكانوا يصححون الأداء بالإعادة و التكرار وتجويد القرآن الكريم وكانت بدايته الأولى استجابة لدعوة الصحابي الجليل ابن مسعود - رضي الله عنا - الذي كان ينصح المسلمين بقول : " جوّدوا القرآن وزيّنوه بأصواتكم " [7 ص3] .

وعرفوه بأنّه " إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها وردّ الحرف إلى مخرجه وأصله وتلطيف النطق به على كمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف " [7] . 42/ .
وأساس التجويد هو " رياضة الألسن والتكرار على اللّفظ المتلقي من فم المحسن " [6] . 34/ .

ولا شك أنّ الذي دفع علماء القراءات للإهتمام بتصحيح الأداء وتعليم التجويد هو انتشار ظاهرة اللّحن التي استفحلت بعد انتشار الإسلام بشكل واسع خارج شبه الجزيرة العربية ليطأ شعوبا غير عربية كالفرس والرّوم وغيرهم من الأعاجم فحدث بينهم وبين العرب تأثّراً وتأثيراً وأخذ كلّ منهم عن الآخر، فأسرع علماء القراءات للحدّ من انتشارها للحفاظ على اللّسان العربي الذي أنزل به القرآن الكريم، فقد تجاوز اللّحن عامة النّاس ليصل إلى بعض القرّاء أنفسهم من عرب أو عج .

ومن بيـــن الأخطاء التي شاعت بين العرب بعد تأثّرهم بالعجم ' التفخيم المـــحض لسائر أصوات العربية فقد نبّه القرّاء عليه ونصّوا على عدم جواز القراءة بـــه وأكّدوا أنّه لا يجوز في القرآن بل هو معدم في لـــغة العرب، و إنّما يوجد في لفظ عجم الفرس و لا سيما أهل خراسان فقد كان هؤلاء يفخّمون الألف، فبيّـــن علماء القراءة بأنّ الأصل فيها ألاّ توصف بترقيق ولا تفخيم بل بحسب ما يتقدّمها فإنّها تتبعه ترقيقا أو تفخيما " [8 ص .

ومن بين العادات النطقية التي لـــم ينقلها العجم وإنّما أرجعها علماء القراءات إلى اختلاف لهجات القبائل ظاهرة " الضّـــم والكسر والفتح فقالو : البدو أمْيـــل إلى الضّم والحضر أميل إلى الكسر ... فلاحظوا أنّ تميما و من حولها يضمون أول الكلام بينما أهل الحجاز يكسرون ... فمثلا : أصرى، ربيون، قرطاس ... ينطقها التميميون بالضّم أمّا أهل الحجاز فهم ينطقونها بالكسر ، فالضّمة في هذه القراءات ـ) (µ) تساوي الكسرة ـ) ا) ... ولكنّها لا تغيّر المعنى و لكنّها تعود إلى عادات نطقية [9 ص76 . وعلى أساس هذه العادات النّطقية وغيرها فإنّ علماء القراءات ' أجمعوا على عدم صحّة الصّلاة وراء من لا يحسن القراءة وعدّوا القراءة من غير تجويد لـــحناً " [8 ص .

وقد ظهرت قراءات مختلفة في عهد النبيّ – صلى الله عليه السّلام – فقد ثبت في الصّحيحين من حديث ابن عباس – رضي الله عنهم – أنّ رسول الله – صلى الله عليه السّلام – قـــال : " أقرأني جبريل على حرف فراجعته ثمّ لم أزل أستزيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف " [6( ] /69! . وقيل في معنى هذا الحديث أقوالا عديدة وصلت إلى خمس وثلاثين قولا وقد رجّح العلماء واحدا منها و هو : " أنّ كلّ كلمة تقرأ من سبعة أوجه، و هذه الووه هي القراءات السّبع التي قرأها القراء السبعة فإنّها كلّها صحّت عن رسول الله – صلى الله عليه السّلام – و هو الذي مع عليه عثمان المصحف ... فقيل حرف نافع، حرف ابن كثير " [6( ] /69! .

وفي نـــهاية القرن الثاني للهجرة خرجت القراءات القرآنية من مرحلة التّنظير وأخذت في التخصص " فتعمّقت مباحثها وضبطت مصطلحاتها فأصبحت علما مستقلاً بذاته " [8 ص7! .
فبعد أن لاحظ القرّاء الظواهر الصّوتية التي تعتري نطق المتعلمين للقرآن (كالتفخيم والكسر) و بعد أن نبّهوا عليها حاولوا تحديدها بمصطلحات مختلفة وبدؤوا بعلم التّجويد " والاسم هنا دال تمام الدلالة على المسمّى و التّجويد مصدر من جوّد تـــجويدا و الاسم منه الـــجودة ضدّ الرداءة فهو عند القرّاء الإتيان بالقراءة مجوّدة الألفاظ بريئة من الرداءة في النّطق ومعناه انتهاء الغاية في التّصحيح وبلوغ النّهاية في التّحسين " [00 ص3! .

كما قاموا بتحديد مباحث التجويد ومراتبه وهي : التحقيق و الحدر و التدوير .
فـــالتحقيـــق هو :" إعطاء كلّ حرف حقّه من إشباع المـــدّ و تحقيق الهمز و إتمام الحركات و اعتماد الإظهار والتّشديدات وبيان الـــحروف وتفكيـــكها و إخراج بعضها بعض بالسّكت و الترتيل و التؤدة وملاحظة الجائز من الوقوف بلا قصر أو اختلاس ولا إسكان مـــحرّك ولا إدغام " [01] /05! .
و هو مذهب حمـــزة وورش وغيرهم .

أمّا الحـــدر فهو :" إدراج القراءة و سرعتها و تخفيفها بالقصر و التسكين والاختلاس والبدل والإدغام الكبير وتخفيف الهمز ونحو ذلك ممّا صحّت به الرّواية، مع مراعاة إقامة الإعراب وتقويم اللّفظ وتمكين الـــحروف بدون بتر حروف الـــمدّ واختلاس أكثر الحركات وذهاب صوت الغـــنّة والتّفريط

غاية لا تصحّ بها القراءة ولا توصف بها التلاو " [01] /05 . وهو مذهب ابن كثير وقالون .
أمّا التدوير فهو : " التوسّط بين التحقيق والتّدوير " [01] /05 و هو مذهب ابن عامر و الكسائي .
و قد اختلف القراء في أيّ القراءات أفضل من الأخرى فرجّح بعضهم الحدر لأنّ فيه مزيدا من الحسنات لمزيد من القراءة ، و بعضهم رّجح التدبّر والترتيل مع قلّة القراءة أفضل من السرعة مع كثرتها [00 ص3] .

أمّا الإدغام فهو : " اللّفظ بحرفين حرفا كالثاني مشدّدا وينقسم إلى كبير وصغير، فالكبير ما كان أول الحرفين متحرّكا فيه سواء كانا مثلين أم جنسين أم متقاربين ... نعني بالمتماثلين ما اتّفقا مخرجا وصفة ، والمتجانسين ما اتّفقا مخرجا واختلفا صفة، و المتقاربين ما تقاربا مخرجا أو صف ... وأمّا الإدغام الصّغير فهو ما كان الحرف الأول فيه ساكناً " [07] /33 .

ثمّ بيّن السيوطي بأنّ الإدغام يقع في ستّة أحرف هي : " حرفان بلا غنّة وهما الراء واللام .. وأربعة بغنّة وهي النون والميم والياء والواو " [07] /33 .
و قد يوقف على أواخر الكلم في القرآن الكريم بالإدغام و يضرب لنا السّيوطي مثالاً على ذلك " ففيما آخره همز بعد ياء أو واو زائدتين فإنّه يوقف عليه عند حمزة أيضا بالإدغام بعد إبدال الهمز من جنس ما قبله نحو بريء و قروء " [07] /34 .

أمّا الإظهار فهو : ' النّطق بالحرفين المتقاربين منفصلين بحركة " [ص2] .
وقد بيّن السيوطي أنّ عدد أحرف الإظهار عند القراء ستة ' وهي حروف الحلق : الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء " [ ] /36 .

أمّا الرّوم فهو : ' النّطق ببعض الحركة " أو هو بالمعنى الأدّق : ' تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظمها ... وكلا القولين واحد ويختصّ بالمرفوع والمجزوم والمضموم والمكسور بخلاف المفتوح لأنّ الفتحة خفيفة إذا خرج بعضها خرج سائرها فلا تقبل التبعيض " [07] /27 .

و أمّا الإشمام فهو : ' الإشارة إلى الحركة من غير تصويت و قبل أن تجمع شفتيك على صورتهما و كلاهما واحد ، و تختصّ بالضّمة سواء كانت حركة إعراب أم بناء إذا كانت لازمة أمّا العارضة وهي ميم الجمع عند من ضمّ، وهاء التأنيث فلا روم في ذلك ولا إشمام " [07] /27 .

و قد ذكر ابن الجزري أنّ الكوفيين و من تابعهم يرون أنّ الإشمام هو الصّوت الذي يسمع لأنّه عندهم بعض الحركة، و الرّوم هو الذي لا يسمع لأنّه روم الحركة من غير تفوّه به ، والأوّل هو المشهور عند علماء العربية [01] /21 .

أمّا الإمالة فهي : " تقريب الألف من الياء والفتحة من الكسرة " [02] /68 .
وقد ارتبط الفتح بالإمالة عند علماء القراءات لأنّ تقريب الألف إلى الياء لا يكون إلاّ بعد تقريب الفتحة التي قبلها نحو الكسرة ، و قد قسّموها إلى قسمين : شديدة ومتوسّطة حدّدهما ابن الجزري بقول :

" والإمالة الشّديدة يجنّب معها القلب الخالص و الإشباع المبالغ فيه و تسمى أحيانا : التكثير والبطح و الاضطجاع و المحض و الكسر، و الإمالة المتوسطة وتسمى أحيانا : بين اللّفظين والتلطيف والتقليل وبين بين " [01] /30 .

أمّـــا الـــمدّ فهو : " زيادة مـــطٌ في حرف المـــدّ على المـــدّ الطّبيعي و الذي لا تقوم ذات حرف المـــدّ دونه، والقصر ترك تلك الزّيادة " [7( ] /37 .
وحروف الـــمدّ معروفة و هي ثلاثة : الألف و الواو السّاكنة بعد ضـــمّ والياء السّاكنة بعد كســـر .

هذا بإيجاز بعض النّماذج من المصطلحات الصوتية التي استعملها علماء القراءات على أساس عضوي فيـــزيولوجي متتبّعين بذلك النّطق السليم و السّديد الذي يجب أن يتّبع حتى يُـــقرأ القرآن الكريـــم قراءة صحيحة ، وهذا مصداقا لقولـــه تعالى :

﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [03] (ا).

فكانوا يحرصون على تطبيق هذه القواعد التّي نظّروا لـــها وبهذا فإنّ علم القراءات و التّجويد بمراتبه الثلاث و هي التحقيق والتدوير و الـــحدر كان لهـــا دور فعّـــال في إثراء الدراسات الصوتية بمصطلحاته المختلفة التي عرفت تطبيقا واسعا من طرف القـــرّاء الذين كانوا يتلون القرآن الكريم مشافهة فيأخذ عنهم المتعلّمون عن طريق التّلقي بالسّماع والإنصات مصداقا لقولـــه تعالى :

﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [75] (04ا).

1.2.ا إسهـــامات علمـــاء اللّغـــة

أمـــّا عند علماء اللّغة فإنّ الدراسات الصوتية – على ما تجمع عليه أغلب الدراسات – فقد بدأت على يد أبي الأسود الدؤلي لغرض شريف هو حفظ و حـــماية القرآن الكريم واللّغة التي أنزلت به من التّحريـــف واللّـــحن، وظهر ذلك كما أوردنا سابقا في الرّواية المنسوبة إلـــيه : "
إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة على أعلاه، وإن ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النّقطة نقطتين " [2 ص1 .

فقول الدؤلي يعتبر من بوادر الحديث عن المخارج فقد تحدّث عن الشّفتين و دورهما في تحديد هيأة الأصوات إمـــّا بفتحهما أو ضمّهما أو كسرهما، فاختلاف وضعيات الشّفتين يدلّ على اختلاف أوضاع اللّسان بانتصابه عند الفتح أو ارتفاعه بالضّـــمّ أو خفضه بالكســـر .
وبهذا فإنّ الشّفتين همـــا بمثابة البوابة التي يعبر خلالها الصوت فهما اللّتان تكيّفان الصوت، كمـــا أنّ الفتح والضّـــم والكـــسر هي حـــركات إعرابية تدخل ضمن إطار الـــدّرس النّحوي و" بذلك فإنّ حركات الإعراب تمثّل العلاقة بين المستويين الصوتي والنّحوي في الدّرس اللّغوي " [04 ص2ا .

وهكذا بقيت الدّراسات مقتصرة على الـــحركات الثلاث (الفتـ – الضّـــ – الكسر) إلى أن جاء مطلع القرن الثاني للهجرة حيث شهد ميلاد النّحوي الشّهير الخليل بن أحـــمد الفراهيدي الذي يعتبر أوّل منظّر و منظّم للدراسات الصوتية من خلال معجمه الـــمعروف " العـــين " الذي عرض فيه إلى دراسة الأصوات العربية فقام بتحديد صفاتها ومـــخارجها، فلم يكتف بـــمنهج ســـابقيه من علماء القراءات من اعتمادهم الإلقاء و المشافهة والاستماع و الإنصات ثـــمّ التدوين بل شـــدّ الرّحال إلى بوادي نـــجد و الـــحجاز لجمع المادة اللّغوية، و من ثـــمّ اعتبار بُـــنيتها اللّغوية قائمة على أصوات و كلمات و جـــمل يحمل كلّ منها دلالة، واتّبع في تصنيفه لأصوات العربية طريقة عزل الصوت عن بنيته قبل

ترتيبه في معجمه و أسماها ذوق الـــحروف و ذلك أنّه كان يفتح فاه ثـــمّ يظهر الـــحرف نحو : أبْ، أثْ، أخْ، أعْ [3 ص5! .

ولا شكّ أنّـــه فعل ذلك لأنّ الحركة قد تغيّر موضع الحرف وبهذا استطاع أن يحدّد مـــخرج وصفة كلّ حرف فبدأ بأعمق المخارج وهو العين " فصيّر أوّلـــها بالابتداء أدخلُ حرف منها في الحـــلق ... الأرفع فالأرفع حتى أتى على آخرها وهو الـــميـ " [3ذ] . /2ذ .
وعلى هذا الأساس قام بتوزيع الأصوات على جميع مواضعها في الجهاز النطقي، فتحدّث عن أعضاء النطق التي يمكن ملاحظتها بالعين المـــجرّدة كاللّسان والشّفة والأنف والحلق وغيره . ولم يتحدّث مثلا عن التّشريح الدّاخلي للحنجرة فالـــخليل لم يكن طبـــيبا و لكنّه كان – كما هو معروف – رياضيا وفيلسوفا ومنطقيّـــا وموسيقيـــّا ونحـــويّـــا ولغويـــّ .

كما تحدّث عن مخارج الـــحروف وعبّر عنها بمصطلحات مختلفة منها المبـــدأ وهذا في قولـــ :
" العين والحاء والهاء والغين حلقية لأنّ مبدأها من الحلـــق " [3ذ] . /4ذ .
يتبيّن لنا من ذلك بأنّ الـــمبدأ هو الموضع الذي يجتمع فيه الصوت قبل خروجه من مخرج .
كما استعمل مصطلح الـــحيّز في قولـــ : " ولولا بحـــّة في الـــحاء لأشبهت العين لقربها من مخرجها من العين، و لولا هنّة في الهاء لأشبهت الـــحاء لقرب مخرجها من الـــحاء فهذه ثلاثة أحرف في حيّز واحد بعضها أرفع من بعض، ثـــمّ الـــخاء و الغين في حـــيّز واحد كلّهن حلقي ب 3ذ] . /4ذ .
فالواضح من هذا الكلام أنّ الـــحيّز يضمّ مـــجموعة من الأصوات أو المخارج فمخرج الحاء و العين و الهاء كلّها في حيّز واحد هو الحـــلق .
و بـــهذا فإنّنا نجد الخليل قد حدّد ثمانية أحياز هي : الحلقية و اللّهوية و الشّجريّة و الأسلية و الذلقية والنّطعية واللّثوية والشّفوية، وجعل حـــيّزا تاسعا خاصا بالحركات الطّويلة وهي الألف والواو والياء كما قال عنها أنّها هوائية وأضاف إليها الهمزة أحيانا ونزعها أحيانا أخرى " [3ذ] . /5ذ .
ويمكننا تمثيل المخارج كما ذكرها الـــخليل بما يلي :

- الحلـــق ← ع، ح، هـــ، خ، غ
– اللّهـــاة ← ق، ك
– شجر الفم ← ج، ش، ي
– أسلة اللسان ← ص، س، ز
– النطـــع ← ط، ت، د
– اللّثـــة ← ظ، ذ
– ذلق اللسان ← ر، ل، ن
– الشفـــة ← ف، ب، م
– الجـــوف ← ا، و،ي)

و بناء على هذه المخارج رتّب معجمه و جعله كتبا على عدد حروف الهجاء بعد أن سمّى كلّ حرف كتابا وابتدأه بكتاب العين لأنّه حسب رأيه أقصى الحروف مـــخرجا ثـــمّ أتبعه بكتاب الحاء وهكذا حتى أتى على آخر حروف الهجاء، و قد سمى الكتاب في جـــملته بكتاب العين من باب تسمية الكلّ بالجـــزء [05 ص0(.

كما قام بتقسيم الـــحروف العربية إلى حروف صحاح وأخرى ليّنة بقولـــ :
" في العربية تسع وعشرون حرفا منها خمسة وعشرون حرفا صحاح و لها أحيـــاز و مخارج و أربعـــة هوائية و هي الواو و الياء و الألف اللّينـــة والهمزة " [3ذ] . /4ذ .

فقد بدأ هذا الأخير بتصنيف الحروف العربية إلى أصول وفروع أمّـــا الأصول فهي التي ينطق بـــها العرب أمّـــا الفروع فهي التي لا يكـــثر استعمالها أو أنّها قليلة الوجود يبيّنها لنا في قولـــ :
' فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفا ... وتكون خمسة وثلاثين حرفا بـــحروف هنّ فروع، وأصلها التسعة والعشرون وهي كثيرة يأخذ بـــها وتستحسن في قراءة الأشعار ' [4ذ] ؛ /04ا .
فقد أضاف ست حروف هي فروع ثـــمّ قام بتعدادها وهي : "
النّـــون الخفيفة، والهمزة التي بين بين، والألف التي تمال إمالة شديدة، والشين التّي كالجيم، والصاد التي تكون كالزاي وألف التّفخيم يعني بلغة أهل الـــحجاز " [4ذ] ؛ /04ا .

ثـــمّ تناول مـــخارج الحروف و عددها ستة عشر مخرجا، و صفاتها وأفرد له بابا أسمـــا ' هذا باب عدد حروف العربية ومخارجها ومجهورها وأحوال مجهوراتها ومهموسه " [4ذ] ا /13. ؛ فجعل صفة الجهر تقابل صفة الهمس، و صفة الرّخاوة تقابل صفة الشّدة، بينما جعل حرف العين " بين الشّدة والرّخاوة تصل إلى التـــرديد لشبهها بالحاء " [4ذ] ا /36ا ثـــمّ تحدّث عن المطبقة والمنفتحـــ .
ثـــمّ درس الظاهرة الصوتية التي تعترض الصوت عند نطقه وهي الإدغـــام بعد أن ذكر سبب وصف حروف الـــمعجم بهذه الصفات بقولـــ :

" ... لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه وما لا يحسن ذلك ولا يجوز فيه، وما تبدله اشتقاقا كما تدغم وتـــخفيه وهو بزنة المتحرّك " [4ذ] ا /36ا .
فقد جعل دراسته للصوت تمهيدا لدراسة الإدغام، كما درس ظاهرة الإمالـ .
وتبعه من بعده في القرن الثالث الهجري المبرّد في كتابه المقتضب فقد احتفظ بعدد المخارج وبنفس تقسيماتها [7ا] . /92 .

ثـــمّ يأت القرن الرّابع الهجري و يشهد ظهور عالـــم نـــابغة يعود إلـــيه الفضل في جعل دراســـة الصوت علما قائما بذاته ومستقلا عن العلوم الأخرى من نحو ومعـــاجم لـــه أصول وقوانين تحكمه وهو ابن جنّي من خلال كتابه الشّهير ' سرّ صناعة الإعراب ' درس من خلاله الأصوات وهي معزولة عن سياق الكلمات ، كما اجتهد في الحديث عن جهـــاز النّطق و حاول تقريبه من الدّارس بالتمثيل لـــه؛ فقد شبّه بعض أجهزة النّطق بالآلات الـــموسيقية كالنّاي و العود والوتر و غيرها [1ذ] . /ذ .
كما فرّق بين الحرف والصوت .

وبعد ابن جنّي ظهر الطبيب والفيلسوف واللغوي ابن سينا في القرن الـــخامس الهجري من خلال رسالته الموسومة بـــ ' رسالة في أسباب حدوث الحروف " المشتملة على ستّة فصول فقد .
تعرّض فيها للأصوات اللـــغوية بشقيها الفيزيولوجي العضوي والفيزيـــائي " و ذلك لاستعانته بعلم التّشريح فتميّزت أبحاثه بمصطلحات لـــم يذكرها من سبقه من اللّغويين والنّحاة، وكان حديثه أشبه بحديث علماء وظائف الأحياء " [06 ص7. .

فمن المصطلحات الفيزيائية التي تتسبّب في إحداث الصوت ما يعرف بالقلع و القرع [8 ص. .
أمّـــا العضويّة منها الحنجرة مثلا وهي تتألف من ثلاثة غضاريف ترتبط فيما بينها بالعضلات، كما ذكر أنّ اللّسان تحرّكه عضلات وذكر اسم كلّ عضلة منها [8 ص2 -3. .

أمـــّا في أوائـــل القرن السّابع الهجري فقد ظهر الإمام السّكاكي الذّي اهتمّ بدراسة الصوت اللغوي

وجعله بعد علم الصّرف، وبعد أن تحدّث عن مخارج الحروف وصفاتها متتبّعا آثار سابقيه في ذلك ؛ قدّم رسما توضيحيّا للجهاز الصوتي و حـــاول وضع الـــحروف في مواضعها بدءً من الحلق وصولا إلى الشّفتين [07 ص].

كما ناقشت المصنّفات الأدبيـــة بعض القضـــايا الصّوتية خـــاصة من الجانب النّطقي أو الفيزيولوجي ، من أهمّ هذه المصنّفات " البيان والتبيين " للـــجاحظ حيـــث تناول أمراض الكلام أو العيوب النّطقية التي أصبحت علما قائـــما بذاته في العصر الـــحديث [08 ص3]. وتعود بعض هذه العيوب إلى السرعة في الكلام فيؤدي بالمتكلّم إلى إدخال الكلام في بعضه البعض فيؤدي إلى اللّثغة و اللّكنة ، و قد يكون السبب عضويا كسقوط بعض الأسنان فيحدِثَ صفيرا في الكلام لا تتقبّلـــه الأذن" [4] /9.

كما ظهر المؤلّفون في الإعجاز القرآني والقراءات القرآنية منهم الرّماني في " النّكت في الإعجـــاز القرآني " حيث تنـــاول التأليف اللّفظي المتلائم و المتنافر كما تناول أيضا ما يتعلّق بفواتح السّور وسرّ وسرّ اختيـــار حروف معيّنة لها وغيرها من المسائل الصوتية التي قصـــد منها تحليل آيات القـــرآن وتفسيرها [09] ،وهذه المباحث نجدها أيضا عند القاضي الباقلاني في " إعجاز القرآن " [10 ص64] .

كما تناول الزّمـــخشري في الكشاف " الحديث عن حروف المعجم في سياق الحديث عن فواتح السور فتحدث عن صفاتها كصفة الرّخاوة والانفتاح وغيرها [1] /01 .

ثـــمّ جاء الزركشي في " البرهان في علوم القرآن " حيث تعرّض للصدى الصوتي للحروف التي وردت متقطّعة في فواتح السّور القرآنية [5] /68 .
وتابعه ابن قيّـــم الـــجوزية في ذلك من خلال كتابه " بدائع الفوائد " ، كما تناول قضية الصوت والدلالة وهو من المؤيدين لـــها [11 ي /08 .

ثـــمّ جاء السيوطـــي وسار على نهج سابقيه من المؤلفين في علوم القرآن فألّف كتـــابه " الإتقان في علوم القرآن " فتناول المواضيع التي تناولها الزركشي في البرهان .
وبعد هؤلاء جميعا يأتي على الدراسات الصوتية العربية حينٌ من الدّهر يتقلّص فيه ظلّها ويخمد صوتها إلاّ ومضات من التكرار حتى يظهر علماء الـــعصر الـــحديث .

1.1.1 إسهـــامات المحدثـــين

لعلّ الدرس الصوتي الـــحديث قد بدأ - في حدود اطّلاعي – مـــع أحمد فارس الشدياق فقد ألّف كتابا أسماه ســـرّ اللّيال في القلب والإدغام " بدأ بمقدّمة تحدّث فيها عن مناسبة أصوات الـــهجاء لمعانيها، ثـــمّ تعرض لـــمسائل القلب والإدغام في الأصوات العربية [12 ص2].
كما ألّف كتابا أسماه " السّاق على السّاق " تعرّض فيه لمسألة العلاقة بين الحرف و المعنى الذي يرمز إليه، وتوصّل إلى أنّ زيادة المبنى تحمل زيادة المعنى، وهو بذلك متأثّر بابن جني [13] /2 .

وفي منتصف العقد الخامس من القرن العشرين ظهر علي عبد الواحد وافي وألّف كتابه " فقـــه اللغ " تحدّث فيه عن اللّغة العربية في الفصل الثاني من الباب السادس تحت عنوان عناصر اللّغة العربية ثـــمّ تعـــرّض فيه إلى أصوات العربية من حيث صفاتـــها ومـــخارجها وقال بـــأن : ' للأصوات العربية نحو خـــمسة عشر مخرجا " [14 ص58 .
فالـــملاحظ هو حذفه للمخرج السّـــادس عشر الذي خصّه سيبويه للنون الساكنة وهو مـــخرج الخياشيم، ثـــمّ أصدر هذا الأخير كتابا آخر أسماه " علم اللّغة ' تـــحدّث فيه عن الأصوات اللّغوية في بابه الثاني وتحديدا في افصل الخامس وفصّل فيه ثمانية عناصـــر [15 ص61 .

و يبدو أنّ عبد الواحد وافي قد أثّر فيمن أتى بعده فقد ظهر باحثون أدمجوا الدراسات الصوتية ضمن بحوث فقه اللّغة منه :
- محمد المبارك من خلال كتابه " فقه اللّغة وخصائص العربية " تناول فيه فكرة العلاقة بين الصوت والدلالة، كما تعرّض لبعض مظاهر الدلالة الصوتية كالأصوات الطبيعية والأبـــجدية و الأوزان [16] ص61 .

- كما نجد صبحي الصالـــح من خلال كتابه " دراسات في فقه اللّغة ' يتعرض في الفصل الثالث مـــنه إلى مناسبة حروف العربية لمعانيها، أمّـــا الفصل السادس منه فقد وضع عنوانا لـــه هو : " الأصوات العربية وثبات أصولها ' حيث ذكر من خلاله عشرة مـــخارج للأصوات وسبعة عشرة صفـــة لـــها [17 ص41 -72 .

- محمد الأنطاكي في كتاب " الوجيز في فقه اللّغة ' تحدّث عن صفات الـــحروف و قـــام بإخراج الهمزة و الطاء و القاف من الـــجهر و ألـــحقها بصفة الـــحيـــاء لا هي بالـــمجهورة و لا هي بالمهموسة وهذا في مبحث تحت عنوان " حكاية الأصوات الثلاث : الهمزة و القاف و الطاء " [18] ص00 .
كما تعرّض فيه لقضية الصوت والمعنى وقال بأنّـــها اعتباطية، ثـــمّ عاد وقال بوجود شواهد كثيرة تدل على وجود مناسبة طبيعية بين اللّفظ والمعنى ولا يمكن تـــجاهلها [17 ص50 .

- عبده الراجحي في كتابه " فقه اللّغة في الكتب العربية ' الذي قسّمـــه إلى خمسة فصول ذكر في الفصل الأول منه الخلط الذي وقع فيه ســـابقوه بين فقه اللّغة و علم اللّغة منهم . عبد الواحد وافي ومحمد المبارك وصبحي الصّالح، أمـــّا الفصل الرابع منه فقد تعرّض فيه لمستويات الدّرس الصوتي بادئاً بالقراءات القرآنية مرورا بأبي الأسود الدؤلي وصولا إلى ابن جني الذي أفرد كتـــابا خاصا بالأصوات هو ســـرّ صناعة الإعراب ، وقد أفاض في الـــحديث عن هذا الأخير من خلال وصفه لجهاز النّطق وحديثه عن الصوائت والصوامت ، كما قارنه بالـــمحدثين فتوصّل إلى أنّه عرف الفونيم قبلهم تحت اسم الصُوَيـــْت [19 ص27 - 69 .
- محمود السّـــعران من خلال كتابه " علم اللّغة مقـــدّمة للقارئ العربي " قسّمه إلى خمسة أبواب تعرّض في الباب الثانـــي منه إلى الأصوات اللّـــغوية بدءً بلمحة تاريخية ثـــمّ ذكر علـــم الأصوات في صورته الـــحاضرة، كما تناول أعضاء النّطق بالتفصيل وتعـــرّض لظواهر التّنغيم و النبـــر الذي أطلق عليه مصطلح الارتكاز، كما أنّنا نلاحظ أنّـــه استعمل المصطلحات الأجنبية كالأصوات الانفجارية التي مقابلها في الانجليزية plosive وهي ما أطلق عليها القدماء الحروف الشديدة يضاف إليها حرف الضـــاد [20 ص5 -66 .

- رمضان عبد التواب في كتابه " المدخل إلى علم اللّغة " حيث قام بتقسيمه إلى قسمين تحدّث في كلّ منهما عن الأصوات حديثا مستفيضا، حيث بدأ في القسم الأول منه بنشأة الدراسات الصوتية بدءً

من الخليل و من جاء بعده ثـمّ تعرّض لـجهاز النطق بداية من الشّفتين وصولا إلى الحنجرة، ثـمّ قارن الـمخارج والصفات بين القدامى والـمحدثين، ثـمّ تحدّث عن المقاطع الصوتية وعن ظاهرتـي النّبـر والتنغيم أمّـا القسم الثاني فقد خصّصه لتطبيقات المـنهج الـمقارن، والملاحظ هو أنّ كلّ الأمثلة من اللّغات الشّامية كالعبرية و الآرامية و الـحبشية و الأكاديـة [09].

هذا بالنّسبة للمـحدثين الذين أدمـجوا الدراسات الصوتية ضمن بحوث علم اللّغة أو علم اللّغة، أمّا الذين خصّصوا مؤلفـاً كاملا في علم الأصوات فهم كُثـر نذكر منهم :
– أحمد مـختار عمر الذي ألّف كتابا أسماه " دراسة الصوت اللّغوي " فقسّمه إلى أربعة أبواب؛ تناول في الباب الأول أنواع علوم الأصوات مثل الأكوستيكي والسّمعي وغيرها، أمـّا الباب الثاني فقد خصّصه للحديث عن جهاز النّطق وذكر السّواكن و العلل، و خصّص الباب الثالث للفـونيم والمقطع، أمّـا الباب الرابع فتناول فيه الفونيمات التركيبية وفوق التركيبية ثـمّ التطور الحاصل في أصوات العـربية [49] .

– كمال بشْر الذي وضع كتابا أسماه " علم الأصوات " وقد كان من قبل ضمن كتاب علم اللّغة يحتلّ القسم الثاني منه، فتوسّع في هذا الأخير و جعله مستقلا عن باقي الـمباحث الأخرى للكتاب، وكان يضمّ ثلاثة أبواب هي باب في الأصوات العـام وبـاب في الأصوات العربية وبـاب في علم الأصوات وموقعه في الدّرس اللّـغوي، أمّا البـاب الذي أضافه فهو بـاب في الفنولوجيا تناول فيه مفهوم الفونيم والمقطع والنبر والتنغيم والفواصل الصوتية [56].

– إبراهيم أنيس من خلال كتابه " الأصوات اللّغوية " قام بدراسة الصوت ضمن علم الفنولوجيا غير أنّـه أهمل نظرية الفونيم التي تتأسّس عليها النظرية الفنولوجية الحديثة [ ].

كما نجد بعض المـحدثين يتناولون الدرس الصوتي ضمن بحوث علوم اللّسان منه :
– د . خولـة طالب الإبراهيمي في كتابها " مبادئ في اللّسانيات " فقد قسّمته إلى فصول تناولت في الفصل الأول منه مستوى الأصوات والـحروف حيث تعرّضت إلى مفهوم الصّوت و مكانته في النّظـام اللّغوي ، ثمّ الصوتيات الفيزيـائية و الفيزيولوجية من وصف لـجهاز النّطق و حديث عن الصّفات الصوتية مع إرفاقها بـجداول ورسومات توضّح المخارج بدقّـة، ثـمّ تناولت الصوتيات الفنولوجية باعتمادها الدراسات الـحديثة العربية و الغربية على حدّ السّواء مع الاستشهاد بالقدماء مثل سيبويه والرضي الإستراباذي [ي ص3 .

– الطيب دبه في كتابه " مبادئ اللّسانيات البنوية " تعرّض هو الآخر جهـاز النّطق عند القدامى والـمحدثين، ثـمّ الصفات عند كلّ منهما، ثـمّ تحدّث عن الفونيم، ثـمّ أرفق هذه الدراسة بجداول خاصة بالنّظام الصوتي للسان العربي حسب تصنيف الـمحدثين [ص60 .

– أمّا الأستاذ الكبير عبد الرّحمـن الحاج صالـح فله جهود طيّبة في مـجال علم الأصوات تظهر في مؤلّفاته المتعدّدة منه : " بحوث ودراسات في اللّسانيات العربية " بجزئيه الأول والثـاني، تناول في الجزء الأول منه الرّموز العربية الخاصة بكتابة المنطوق و ذلك بوضع رمز خاص بـكلّ حرف عربي يقابله رمز دولي، و الغـاية من ذلك هي أن يتمكّن اللّغوي و غير اللّغوي من كتابة الأصوات التي ليس لها رمز مـخصوص يـدلّ عليها في الخطّ العربي ؛ و ذلك مثل الـمخارج اللّهجية العربية، والمخارج الأعجميّة " [1] فمن أمثلة الـمخارج اللّهجية ت س) وهو رمز لتاء تخالطها في وسطها رخاوة بين الذولق والنطع في لهج تلمسان ورمزها الدولي (ts) [22] /25 –26 .

أمّـــا الجزء الثاني من الكتاب فقد قسّمه إلى ثلاثة أقسام جعل القسم الأخير منه تحت عنوان ' في قضايا الصوتيات العربية والفنولوجية " تعرض فيه لبعض القضايا الصوتية كالـــحركة والسّكون بين القدامى والمـــحدثين، والمقاييس العلمية التي وضعها علماء القراءات للتمييز بين الصحيح وغيره من القراءات و ذلك قبل القرن الرابع الهجري ليتوصّل إلى أنّ مقياس القراءة الصّحيحة هو " استعمال العرب الأكثر – والفصيح يكفي عند الأقدمين – فتثبت به القراءة التي قرأ بها واحد من هؤلاء الأئمة أو قلّة منهم " [22] ؛ /27؛ . كما تحدّث عن ماهية الفونيم الذي نشأ في ظلّ حلقة براغ، وهو عنده يقابل الوحدة اللّسانية أو ما يعرف باسم الـــحرف [22] ؛ /41؛ .

أمـــّا في كتابه " السّماع اللغوي عند العرب ومفهوم الفصاحة " فقد تعرّض في الفصل الثانـــي من الباب الثاني منه إلى الحديث عن النّظام الصوتي العربي عند الـــخليل وسيبويه، فشرح أقوالا لسيبويه ثمّ انتهى إلى جدول وضّح فيها الصّفات و المخارج عند كلّ منهما، ثـــمّ تـــحدّث عن الاختلافات الصوتية النّاتجة عن اختلافات لهجات العرب في ظواهر صوتية كالإبدال والإدغام وغيره، ليتوصل إلى أنّ الاختلاف لا يمسّ القبائل فقط و إنّما يتعدّاه حتى داخل القبيلة الواحدة مثل قبيلة بني تميم فبعضها يميل والبعض الآخر يمتنع عن ذلك، فالإمالة عندهم غير مطّردة [23 ص44؛ .

ثـــمّ تطرّق إلى التنوّع الصوتي في بعض الأنظمة الصرفية كنظام الضمائر الذي يختصّ فيه أهل الحجاز بضمّ هاء الغيبة فيقولون مثلا : جئت بهُو وعليهُم، وكنظام الأسماء الإشارة كتسكين بعض العرب لهذه [23 ص45؛ ، ليصل في الأخير إلى أنّ هذه التـــنوعات هي تنوعات اللّسان الواحد لأنّ ما تنفرد بـــه قبيلة دون غيرها هو ضئيل جـــد .
يتبيّن لنا مـــمّا سبق ذكره عن الحاج صالـــح بأنّه قد ألّم بكلّ ما جاء بـــه القدماء كسيبويه والخليل وقام بتحليله وشرحه بالتفصيل ومقارنته بالـــمحدثين من العرب من جهة وبـــما جاء بـــه الغربيون من جهة أخرى .

كما ساهمت المخابر الصوتية في إثراء الدرس الصوتي الحديث و هذا من خلال بـــحوثها المتواصلة وعقدها للملتقيات التي شارك فيها الدكاترة و الأســـاتذة الذين يأتون من كلّ حدب و صوب فقد عقد " مـــخبر الصوتيات العربية الـــحديثة " بجامعة سعد دحلب بالبليد " ملتقى تـــحت عنوان " الصوتيات بين التراث والحداثة " ممّا أسفر عنه مجلّة تحمل عنوان الملتقى، ســـاهم في إنجازها عدد من الأساتذة الذين قدموا من مختلف ولايات الوطن، حيث ساهم كل منهم في إثراء الدرس الصوتي بتقديمه لمداخلة تحمل عنوانا معينا [24] .

ثـــمّ عقد ملتقى آخر تحت عنوان " الدراسات الصوتية وقضايا المعجمية العربية " شارك فيه أساتذة من داخل و خارج الوطن من بينهم الأستاذ حســـن البشير من السودان قـــدّم مداخلة تحت عنوان " المـــوسيقى الصوتية والعروضية، ومنهم حسام العفوري من الأردن بمداخلته الموسومة بـــ جمالية الدلالة الإيحائيـــة في معنى العطف ".

بالإضافة إلى بعض الـــمؤلّفات الـــحديثة حول القراءات القرآنية تنـــاول فيها مُؤَلِفوها جانبا من علم الأصوات منها كتاب " سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي " تـــحدّث فيه عن الفتح والإمالة وغيرها، وكتاب " معجم القـــراءات القرآنية " لصاحبيه أحمد مختار عمر و عبد العـــال سالـــم مكرم، كما نجد عبد الصبور شاهين الذي ألّف كتـــابا يحمل عنوان " القراءات القرآنية في ضوء علم اللّغة الحديث ، و تمام حسان في " البيان في روائع القرآن " ، بالإضافة إلى جهود علماء آخرون لا يسع ذكرهم كلّهم لذا اكتفينا بأشهرهم وأبرزهم .

والذي نخلص إليه من كلّ ما سبق ذكره هو أنّ الدراسات الصوتية العربية عرفت محاولات جادّة منذ نشأة علم القراءات الذي تصدى للتحريف الذي طال القرآن الكريم واللّغة العربية ، وصولا إلى علماء اللّغة الذين واصلوا الاجتهاد في هذا المجال رغم أنّهم أخلطوا الدرس الصوتي بمختلف العلوم الأخرى كالبلاغة والنحو والمعاجم و الصّرف، و مع ذلك فقد حققوا نتائج هامّة رغم الوسائل البسيطة التي كانت بحوزتهم وهي حسّهم المرهف وذوقهم المتميّز .

تلك النتائج التي انطلق منها المحدثون والمعاصرون مع ما توفرّ لديهم من الوسائل المتطورة كآلة المشباح والرّواشح الصوتية التي تعمل على تحليل الصوت فيزيائيا، ومرآة (garcia) التي سميت باسم مبتكرها تساعد على مشاهدة الحنجرة من داخل الفم فتمكن من إظهار الأوتار الصوتية [31] ص6. ، وغيرها من الوسائل الأخرى .

2.2 الصوائت و الصوامت

يطلق العرب المحدثون اسم السّاكن أو الحرف على الصامت ، أمّا الصائت فيطلقون عليه أسماء عدّة هي : حرف المدّ و حرف العلة والحروف اللّينة أو الحركات أو المصوّتات أو العلامات الإعرابية والبنائية، فما المقصود بالصوائت والصّوامت؟ و ما سبب هذه التّسميات المتعدّدة التي أطلقت على الصوائت ؟

2.2. الصوائت

1.2.2. الصوائت لغة

مأخوذة من الفعل ' صات يصوت ويصات صوتا وأصات وصوّت به كلّه نادى، ويقال صوّت يصوت تصويتا فهو مصوتٌ ... ويقال صات يصوت صوتا فهو صائت معناه صائحٌ [ ]؛ /190؛ . فالصوائت جمع صائت كما جمعت أيضا على صوائت و مصوّتات وهي تقابل المصطلح الأجنبي الفرنسي voyelles .

1.2.2.! الصوائت اصطلاحا

' تعرف في العربية بالحركات الإضافية إلى أصوات المدّ (يطلق على أصوات المدّ واللّين : حروف العلة ... وهذه الحركات هي : الفتحة والكسرة والضّم "[5 ص5. .
من خلال عرضنا للمفهومين اللّغوي والاصطلاحي نلحظ أنّ الثّاني يقترب من الأوّل ويتمثّل ذلك في أنّ أصوات المدّ لوضوحها في السّمع تشبه الصّياح، كما نخلص من التعريف الاصطلاحي إلى أنّ الصوائت التي تعرف بالحركات تشمل العلامات الإعرابية والبنائية التي تظهر في أواخر الكلم عند العرب .

2.1.2.2. الصوائت عند القدامى :

لقد سمّى ابن جني الحركات بالأصوات النّاقصة وقد وضّح لنا سبب تسميتها بالحركات بقوله : " وإنّما سميت هذه الأصوات النّاقصة حركات لأنّها تقلق الحرف الذي تقترن به، وتجتذبه نحو الحروف التي هي أبعاضها، فالفتحة تجتذب الحرف نحو الألف، والكسرة تجتذبه نحو الياء والضّمة تجتذبه نحو الواو [51] /6 -7/ .

فالحركات هي أبعاض الحروف المدّية (ا ، و، ي) فالفتحة هي بعض الألف، والكسرة هي بعض الياء، والضمّة هي بعض الواو لذا كان النّحويون القدامى يسمّون الفتحة بالألف الصّغيرة والكسرة بالياء الصّغيرة والضّمة بالواو الصّغيرة [51] /7/ .
من هذين القولين يتبيّن لنا بأنّ الحركات في العربية ستّة أنواع؛ ثلاثة منها أساسية وهي الحركات القصيرة وتتمثّل في : الفتحة والكسرة والضّمة ورموزها هي (ـِـُـَ) وثلاثة منها ثانوية وهي الحركات الطويلة التي تتمثّل في الألف والياء والواو (حروف المدّ .

أمّا عن سبب تسمية الحركات القصيرة بالفتحة والكسرة والضّمة فإنّه يعود إلى أساس نطقي مردّه إلى أحد أعضاء النّطق وهو الفمّ وخاصة الشّفتين، فقد سبق لنا في مبحث سابق أن ذكرنا الرواية المنسوبة إلى أبي الأسود الدؤلي حين قال لكاتبه :

أ – ' إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف ... " يتضّح لنا بأنّ الانفتاح هنا هو انفتاح الشّفتين أي ابتعادهما عن بعضهما بشكل متوازٍ، فينتج عنه صوت يسمى الفتحة كما يرتبط الفتح مع النّصب في الإعراب في النحو العربي فنقول في المفعول به مثلا مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره ، وحين يفتح المتكلّم فاه فإنّه يحقق نصب الوحدة المنطوقة فيبيّن حنكه الأعلى فيبدو وكأنّه نصبه لإبانة أحدهما عن الآخر [54]/ 04/ .

إ – ".. وإذا رأيتني قد كسرت فمي ..." يتّضح لنا بأنّ انكسار الشّفتين هو انحسارهما إلى الوراء وكأنّ المتكلم يبتسم فينتج عنه صوت يسمى الكسرة، أمّا ارتباطه في الإعراب بالجرّ أو ما يسمى بالخفض) فهو يعني انخفاض الحنك الأسفل عند النّطق بالصوت المجرور أو المكسور وميله إلى أحد الجانبين [54]/ 04/ .

ا – ' إذا رأيتني قد ضممت فمي ..." يتبيّن لنا بأنّ ضمّ الشّفتين هو استدارتهما متقابلين فينتج عنه صوت يسمى الضّمة، أمّا ارتباطه في الإعراب بالرفع فهو يعني رفع الحنك إلى أعلى النّطق وهو مأخوذ من ضمّ الشّفتين أو جمعهما أثناء عملية نطق الصوت المضموم [54]/ 04/ .

ا – ' وإن أتبعت شيئا من ذلك غن ..." وهو ما أطلق عليه بالتنوين، وقد اتّخذه أحد الدارسين وهو محمد صفوت مرسي عنواناً لكتابه " مقال النحويين في ظاهرة التنوين ".

والتنوين هو أن ننطق بنون ساكنة آخر الأسماء مع عدم كتابتها .

من كلّ ذلك يتبيّن لنا بأنّ أسماء الصوائت العربية مستمدة من أعضاء جهاز النّطق، فالفتح من انفتاح الشّفتين والكسر من انكسارهما إلى الوراء أمّا الضّم فهو من انضمامهما في تقارب .

كما أنّ النحاة القدامى لم يفرّقوا بين الجزم والوقف واعتبروهما من العلامات الإعرابية ولم يذكروا السّكون، فهذا سيبويه يعقد في كتابه بابا أسماه " هذا باب مجاري أواخر الكلم في العربية و هي تجري على ثمانية مجارٍ : على النّصب والجرّ والرفع والجزم والفتح والضّم والكسر

والوقف " [4ذ] . /3 . والواضح من قولــه هو أنّه لم يجعل السكون لا علامة إعراب ولا بناء، ولكنّه ذكره أوّل مرة في قولــ : " ولــم يسكنوا آخر فَعَل " [4ذ] . /6 . فقد استعمل الوقف بدل السكــون كعلامة بناء مثلا صُمْ : فع أمر مبني على الوقف، كما استعمل الجزم كعلامة إعراب كم في المثال السابق نعل . لذا كان من الضروري إدراج السكون ضمن الصوائت القصيــرة مع التفريــق بين بعض المفاهيم وهي السكون والوقف والجــز .

أمــّا عن موقع الحركة من الحرف فقد اخــتُلِف فيه إلى ثلاثة آراء يوضّحها لنــا ابن جني بقول : " .. أمــّا مذهب سيبويه فإنّ الحركة تحدث بعد الــحرف وقال غيره معه، وذهب غيرهما إلى أنّه تحدث قبله "(1) ، و بسبب هذا الاختلاف تولّد خلاف حول الأصل والفرع من هذه الحركــات بمعنى أيّهما الأصل؟ الحركات القصار (ـِـُـَ) أم الحركات الطّوال (ا، و، ي) ؟
فانقسموا إلى ثلاثة طوائف لكلّ منها حجتها واقتــناعاتها، وقد ذكرها القلقشندى في كتابــه صبح الأعشى في صناعة الانشا " وتتلخّص هذه الآراء في ما يلي :

الرأي الأول : الذي عليه أكثر النّحاة بأنّ الحركات الثلاث مأخوذة من حروف المدّ واللّين (ا، و، ي) اعتمادا على أنّ الحروف قبل الحركات، فالفتحة مأخوذة من الألف، فالفتحة علامة النصب في قولك : رأيت زيداً و لقيت عمر . و الألف علامة النصب في الأسماء الــمعتلة المضافة كقولك : رأيت أباك وأكرمت أخاك، وكذلك الكسرة مأخوذة من الياء والضّمة من الواو .

الرأي الثاني : بعض النّحاة يقولون بأنّ حروف الــمدّ مأخوذة من الــحركات الثلاث اعتمادا على أنّ الحركات قبل الــحروف، بدليل أنّ هذه الحركات إذا أشبعت تحدث منها الحروف وأنّ العرب قد استغنت في بعض كلامها بهذه الحركات عن هذه الــحروف اكتفاءً بالأصل عن الفرع لدلالــة الأصل على فرع .

الرأي الثالث : ذهب آخرون إلى أنّ الــحروف ليست مأخوذة من الــحركات، ولا هذه الأخيرة مأخوذة من الأولى، اعتماداً على أنّ أحدهما لم يسبق الآخر [25] ؛ /59 – 60 .

يعقّب كمال بشر على هذه الآراء بتخطيء الرأيــين الأوليين وصحّة الرأي الثالث بدليــل أنّ أصحاب الرأي الأوّل اعتمدوا على الصّورة الكتابية لا على الصّورة اللّغوية الــمتمثّلة في دورهما ووظائفهما في بناء الكلام ، فالمأخوذ من الــحروف هي رموز الحركات (ـِـُـَ) لا الحركات نفسها فكون حروف الــمدّ والــحركات من نفس المخرج الهوائي لا يعني أنّ أحدهــما أصل والثاني فرع، و إلاّ عددنا التّاء أصلا للطاء أو العكس كونهما من مــخرج واحد، أمــّا الفــارق بينهما فهو أنّ التّاء مرققة و الطّاء مفخّمة، أمــّا أصحاب الرّأي الثاني فيخطئهم التاريخ حيث أنّ الــخليل أخذ رموز الحركات من الحروف لا العكس ، فالــحركات تتميّز بقصر زمن إصدارها والحروف تتميّز بطول هذه الــمدة نسبيا،أمــا احتجاجهم بظاهرة الإشباع فهو وهم فهي ظاهرة سياقية أو تطريزية يقتضيها نظم الكلام و أداؤه نطقا وفقــا لقواعد هذا النّظم وطرائق أداء الكلام بصورة نطقية صحيحة، فالفتحة تبقى فتحة ولكن يــمتدّ نطقها لأسباب سياقية محضة ، أمّا الرّأي الثالث فهو مقبول وصحيح لأنّه يتماشى مع النظر العلمي الذي ينكر فكرة الأصلية والفرعية لأيّ
منهما، فلكلّ منهما استقلاليته من حيث وظيــفته وموقعه في البنية اللّغوية حتى وإن تشابهت عمليــات نطقهما [6 ص147] ونــحن نوافق هذا الرأي لأنّــه منطقي جدا يقتنع بــه أيّ دارس .

أمــّا الأمر الذي لــم يــختلف عليه العلماء القدامى فهو أنّ الــحركات تابعة للــحروف وليست صوتا مستقلاً وهذا ما يوضّحه ابن جنّي في قولــ :

" إنّ الـــحروف كالـــمحلّ للحركة وهي كالعرض فيه فهي لذلك محتاجة إليه " [1ذ] ـ /2ا كما ذكر سيبويه بأنّ الـــخليل اعتبرها من الزوائد فقال في ذلك :" زعم الـــخليل أنّ الفتحة والكسرة والضّمة زوائـــد و هنّ يلحقن الـــحرف ليتوصّل إلى الـــمتكلّم به " [4ذ] ا/41ا .

مـــخارج الصوائت :

ســـمّى الـــخليل الـــحركات الطويلة بالـــجوفاء أو الهوائية بسبب مـــخرجها فقـــال في ذلك : " .. و سميت جـــوفاء لأنّها تحرج من الـــجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللّسان و لا من مدارج الـــحلق ولا من مدارج اللّهاة، وإنّما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيّـــز تنتسب إليه إلاّ الجوف ، يتبيّن لنا من كلام الـــخليل بأنّ الحركات الطويلة تحدث بخروج الهواء من جوف المتكلّم دون أن يعرض لها عائق حتى تصل إلى الفـــم بحرّية، وهذا ما أشـــــار إليه ابن جني عند وصفه للأصوات الثلاثة ا، و، ي) باتّساع المخرج [1ذ] ـ /ذ .

ولـــم يتوقف عند هذا الـــحدّ بل ذهب إلى أبعد من ذلك فراح يؤكّد بأنّ الصوت الذي يجري في الألف مـــخالف للصوت الذي يـــجري في كلّ من الواو واليـــاء؛ ففي الألف نجد أنّ الحلق و الفـــم منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر، أمّـــا الياء فنجد معها الأضراس السفلى و العليا وقد اكتنف جنـــبتي اللّسان وضغطته وتفاج الـــحنك عن ظهر اللّسان فجرى الصوت متصعّدا هناك لأجل تلك الفجوة ما استطال، وأما الواو فتضمّ لها معظم الشّفتين وتدع بينهما بعض الانفـــراج ليخرج النّـــفس ويتّصل الصوت ومنه اختلاف مواضع الحلق و الفـــم والشفتين مع هذه الأحرف يؤدي إلى اختلاف الصّدى الـــمنبعث من الصّدر [1ذ] ـ /ذ .

وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على الـــحس اللّغوي المرهف للقدماء الذّين تمكنوا من تحديد مخارج الصوائت الطويلة بدقّة ، كما أنّهم كانوا يعاملونها معاملة الصوامت (الحروف) و ذلك بوضعهم للـــحركة الـــمناسبة قبل كلّ حركة طويلة، فالفتحة تتناسب مع الألف فتوضع قبلها والضّمة تناسب الواو فتوضع قبلها أما الكسرة فهي تنـــاسب الياء فتوضع قبلهـــا وهذا مـــا أشـــار إليه هنري فليش Henri Flris بقولـــ : "... هذه الحركات يمثلن أوائل حروف المدّ التالية لها ويؤذن بتمامها، وبرغم هـــذا فإنّ فكرة السكون فوق حروف الـــمد هي في حقّ في منطق النظـــام العربي : ضارْب و ُضوْرْب ورحيْم وتلك في الواقع إرادة الـــخط العربي أن يكون دائما كاملا، وبديهي أنّ هذا القول سليم في حالة توافق الحركة مع حروف المـــدّ كما في الأمثلة المذكورة " [26 ص7ا .

وهذا يبدو واضحا في الكتابة العربية فرموز الصوائت الطويلة يشبه الصوامت (ا،و،ي) و بالتالي فإنّ موقعها يكـــون داخل بنية الكلمة، أمـــّا الصوائت القصيرة فـــرموزها هي ـِـُـَ) فالضمة والفتحة توضعان فوق الـــحرف أمـــّا الكسرة فتوضع تحتـــ .

غير أنّ هذه الـــحركات قد تعتريها تغيّرات فتغيّر قليلا من مخارجها من أهمّه : الإمالة و التّفخيم والإشمام وهذه الثلاثة ناتـــجة عن النّطق بين حركتين، فالإمالة مثلا تحصل من النطق بين الفتحة والكسرة والأمر نفسه بالنسبة للتفخيم والإشمام وبهذا نحصل على ستّ حركات و هذا ما بيّنه لنا ابن جني في باب أسماه " باب في كميّة الـــحركات " في الجزء الثالث من الخصائص ":

".. أمـــا ما في أيدي النّاس من ظاهر الأمر فثلاث وهي : الضمة والكسرة والفتحة ومحصولها على الحقيقة ستّ ذلك أنّ بين كلّ حركتين فالتي بين الفتحة والكسرة هي الفتحة قبل الألـــف الممالة نـــحو فتحة عين عالـــم وكاف وكـــاتب فهذه حركة بين الفتحة و الكسرة، كما أنّ الألف التي بعدها بين الألف والياء والتي بين الفتحة والضّمة هي التي قبل ألف التفخيم نـــحو فتحة لام الصّلاة والزّكا ... والتي بين الضّمة والكسر ككسرة قـــاف و قيل ... فهذه الكسرة المشمّة ضمّا و مثلها الضّمة المشمّة كسرا كضمّ قاف المنقر و ضمّة عين مذعور ... فهذه ضمّة أشربت كسرا كما أنّـــها

في قيل وسير كسرة أشربت ضمّا فهذه لذلك كالصوت الواحد، لكن ليس في كلامهم ضمّة مشربة فـــتحة ولا كسرة مشربة فـــتحة " [38] ؛ /20 .

فالإمالة - كما ذكرنا سابقا – هي الميل بالألف نـــحو الياء أو بالفتحة نحـــو الكسرة وهذا يعني أنّ " اللّسان يتقدّم نحو الأمام حيث مخرج الكسرة و ينقل جرس الفتحة نحو جرس الكسرة " [27] ص28 . فبتغيير مـــخرج الفتحة نحو مخرج الكسرة تنتج لنا حركة بين الفتحة والكسرة كما أشار ابن جني أمّـــا التفخيم فهو يـــقابل الإمالة من حيث أنّـــه يكون باتّجاه اللّسان إلى مؤخرة الفـــم، فينتقل الجرس من الفتحة إلى الضّمة [27 ص28 . فتغيير مخرج الفتحة نحو الضّمة تنتج لنا حركة بين الفتحة والضّمة وهي ألـــف التفخيم ولأجل ذلك " كتبوا الصلوة) و (الزّكوة) و (الحيوة) بالواو لأنّ الألـــف مالت نـــحو الواو " [1 ص64 . وهذا في رواية ورش عن الإمام نافع المدنيّ .

أمّـــا الإشمام فهو النّطق بين الضّمة و الكسرة و في هذه الحالة يقترب جرس الكسرة من جرس الضّمة [27 ص29 . كما قد يقترب جرس الضّمة من جرس الكسرة كما أشار ابن جنيّ .
والـــملاحظ أنّـــه لا توجد حركة بين الضّمة والفتحة ولا بين الكسرة والفتحة .
وبناء على ما سبق يمكننا تمثيل الصوائت بنوعيها الأساسية والفرعية في المخطط التالي :

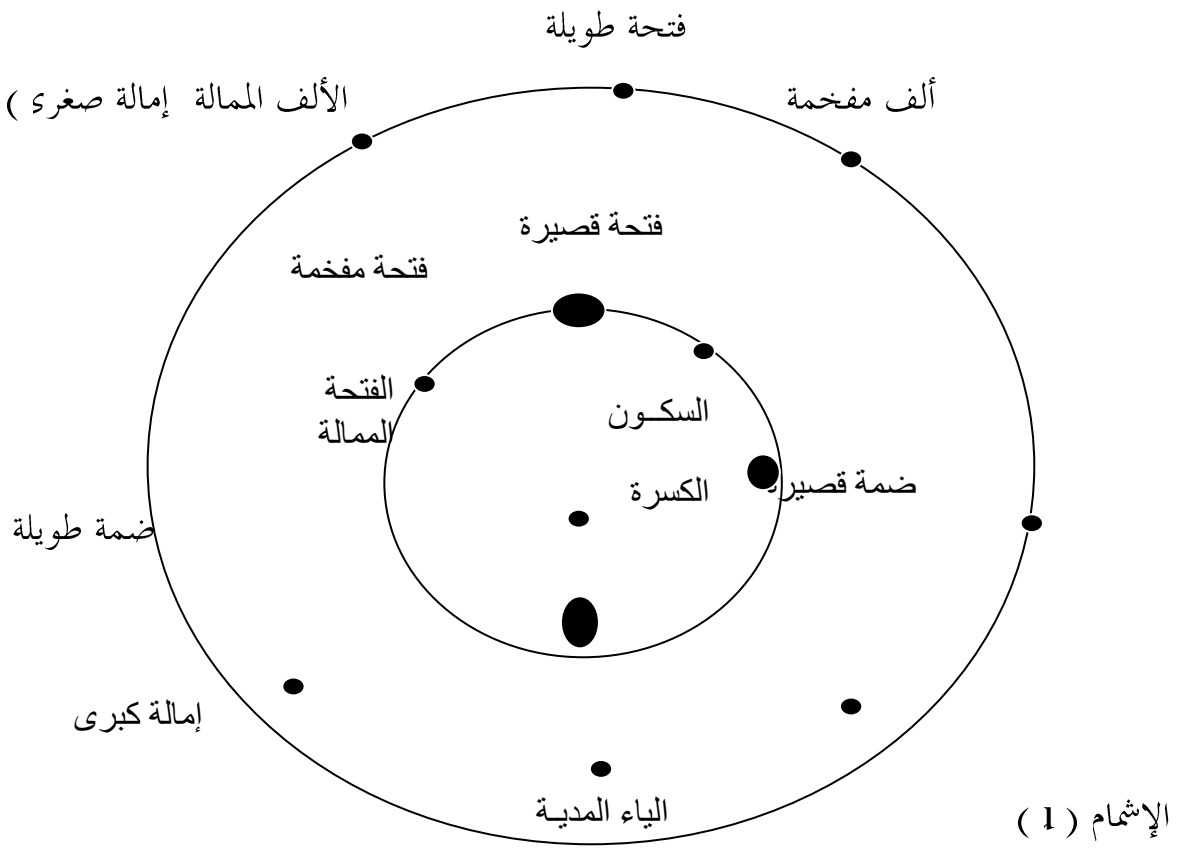

الإشمام (1)

( )

شكل رقم 1(: الصوائت الطويلة والقصيرة عند القدماء

2.1.2.2. الصوائت عند المحدثين

بعد تعرّفنا على جهود القدامى في دراستهم للصوائت نصل إلى ما قام به المحدثون في هذا الشأن؛ حيث نجدهم يعرّفون الصائت باعتمادهم على معياريـن أساسيين هما : الأول هو وضع الأوتار الصوتية أمّا الثاني فهو طريقة مرور الهواء من الحلق والفم عند النّطق به فهو بذلك : " الصوت المجهور الذي يحدث به أثناء النّطق به أن يمرّ الهواء حرا طليقا خلال الحلق والفم دون أن يقف في طريقه عائق أو حائل و دون أن يضيق مجرى الهواء ضيقا من شأنه أن يحدث احتكاكا مسموعا " [6 ص51] .

فالمخرج كما وضّحه الخليل من الجوف لأنّه لم يعترضه عائق أثناء خروجه إلى الفم فهو يمرّ حرا طليقا وهذا ما جعل الأستاذ محمد الأنطاكي يعمد إلى تسمية الصائت بالطليق، كما أنّ الأوتار الصوتية أثناء النّطق بالصائت وجد أنّها تكون في حالة ذبذبة [17 ص8] .
غير أنّ الملاحظ على هذا التعريف أنّه لا يصف أوضاع اللّسان والشّفتين اللذين يلعبان دورا كبيرا في تغيير شكل الهواء المارّ و بالتالي تمييز الصوائت بعضها عن بعض، و لهذا ظهرت محاولات جديّة للبحث عن معايير عامة يُعتمد عليها في دراسة الحركات وتعلّمها من بينها محاولات دانيال جونز Daniel Joens الذي حدّ منطقة داخل الفم وأسماها منطقة الصوامت وهي المنطقة التي لا تتجاوز أعلى نقطة في اللسان عند النطق بالصائت و حدّد وضع هذه النقطة في اللّسان داخل هذه المنطقة باتّجاهين الأول علوي وسفلي والثاني أمامي وخلفي [9 ص26 -32] .

وعلى أساس هذا التحديد توصل إلى ثلاثة أنواع لتقسيم الحركات المعيارية cardinal vowels (هي حركات ليست مأخوذة من لغة معينة ولا يفترض وجودها في أية لغة فهي معايير أو مقاييس عامة تقاس عليها حركات أية لغة يراد دراستها أو تعلمها) وهي :
- جزء من اللّسان الذي يفوق غيره في الارتفاع .
- درجة العلو التي يرتفع بها اللّسان .
- النظر إلى أوضاع الشفتين [6 ص55] .
وبناء على التقسيم الأول نحصل على ثلاث مجموعات من الحركات :
- حركات أمامية Front vowels وهي الحركات الأربع [e- i -]
حيث يرتفع بها الجزء الأمامي من اللّسان اتجاه مقدم الحنك الصلب .
- حركات خلفية Back Vowels و هي الحركات الأربع [α- ɔ - o -u].
حيث يرتفع بها الجزء الخلفي من اللّسان اتّجاه الحنك اللّين أو أقصى الحلق .
- حركات وسطى Central Vowels و هي الحركة [ə] حيث تكون أعلى نقطة في اللّسان حين النطق بها في وسطه، وهو موجود بكثير في اللّغة الإنجليزية .

أمّا على أساس التقسيم الثاني فنحصل على أربع مجموعات هي :
- حركات ضيّقة Close Vowels وهما الحركتان [i-u] حيث يرتفع اللّسان حال النّطق بها اتجاه الحنك الأعلى إلى أقصى درجة في منطقة الحركات .
ب - حركات متّسعة أو منفتحة Open Vowels وهما الحركتان [a-] حيث يكون اللّسان حال النّطق نها منخفضا في قاع الفم إلى أقصى درجة .

ـِ - حركات نصف ضيّقة Ialf open Vowels وهما الــحركتان [ɔ ɜ] حيث يقع اللّسان حال النّطق بها في ثلث المسافة من الــحركات الضّيقة إلى الــمتّسع .

أمــّا على أساس التقسيم الثالث فسوف نحصل على ثلاث أوضاع كذلك و هي :
- منفرجة وهي الحرك [i] .
د - محايدة مثل الــحركة [α]
ـُ - مضمومة هي الحركة [ɔ] ضما خفيفا أما الحركة [ɯ] ضمّا شديد .
فبالاعتماد على هذه الأسس الثلاثة تمكّن جونز من الــحصول على ثمانية حركات معيارية تكتب بالكتابة الدولية من اليسار إلى اليمين بهذا الشكل : [6 ص266

[i ɪ α - ɔ - o – u - ə– a ɛ - e]

ويــمكننا تــمثيل التّقسيمين الأول والثاني بالشّكل التالــي :

حركات خلفية حركة وسطى حركات أمامية

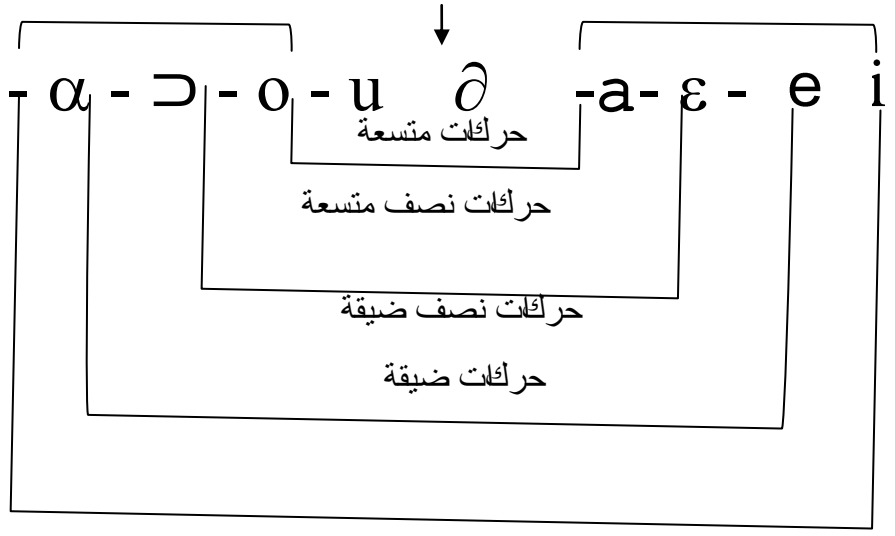

شكل رقم 2(: الصوائت الطويلة والقصيرة عند المحثيــن

وبهذا نلاحظ التّساوي العددي بين ما هو عند العرب على لسان سيبويه (النّصب، الــجرّ، الرفع، الــجزم، الفتح، الضّم، الكسر، الوقف) وبين ما هو عالــمي أي الــحركات التي وضعها جونز (ɜ ɪ - α - ɔ - o – u– ɛ - a) أما الحركة التاسعة [ə] فهي غامضة الصفة نوعا ما وغير واضحة الــحدود نسبيا حسب ما أكّده دانيال جونز، وبعد كلّ ذلك يتبيّــن لــه أنّ أكثر اللّغات تقتصر أصواتــها على الــحركات الثلاثة فقط وهي [ɯ– ɪ – u] .

أمــّا في العربية فهي الفتحة والضّمة والكسرة وذلك بوصفها وحدات ولأنّها تمثّل الدرجات القصوى لدرجات ارتفاع اللّسان وانــخفاضه .

والـــخلاصة من كلّ ذلك هي أنّ الصوائت العربية أخذت حقّها من الدّرس والعناية بدء من عمل أبي الأسود الدؤلي الذي اتّخذ النقاط كرموز للصوائت من أجل نقط المصحف الشريف لـــحفظه من اللّحن والتحريف، اعتمادا على حركات الشفاه وقد سميت بنقط الإعراب لأنّها اقتصرت على أواخر الكلم .

ثـــمّ جاء من بعده الـــخليل فاستبدل نقط الإعراب بعلامات استمدها من الحروف فقام بوضع ألف صغيرة فوق الـــحرف و هي الفتحة ، كما وضع واوا صغيـــرة فوق الـــحرف هي الضّمة وياء صغيرة تحت الـــحرف هي الكسرة، أمـــّا إذا كان الـــحرف منونا كرّر الـــحرف مرّتين، كما اخـــترع السكون الذي يعبّر عن عدم وجـــود الـــحركة في هذا الموقع بالرّغم من عدم إدراجه ضمن الصوائت القصيرة في الدرس الصوتي وجاء بعده ابن جني ليؤكّد على ما ذهب إليه الـــخليل فتوسع فيه أكثر، كما علّل سبب تسمية الحركات بهذا الاسم فقال بأنّها تحرّك الـــحرف و تقلقه عن موضعه .

أمّـــا المـــحدثون فدرسوا الصوائت بصورة أدق بفضل الوســـائل المتطورة التي توفرت لديهم كالأشعة السينية التي استغلت في تحديد أشكال اللّسان عند النطق بالـــحركات .
كما استعانوا بالدراسات الغربية وترجـــموا بعض المصطلحات مثل الحركات الـــمعيارية التي أخذ ت من اللغة الإنجليزية cardinal vowels و قاموا بمقابلتها مع الحركات العربية فقالوا بأن الكسرة تقابلها [i] والفتحة تقابلها [a] أما الضمة فتقابلها [ɯ].

أمّـــا عن اختيار هذه الرموز فهي للتّيسير و التسهيل في الكتابة العادية ( ) .
أمـــّا إذا اعترت هذه الـــحركات صفات نطقية مختلفة بحسب السياق الذي ترد فيه فهي تصبح ثلاث أنواع للفتحة (مفخمة أو مرققة أو بين التفخيم والترقيق) ومثلها للضمة والكسرة، أمّا إذا اعتبرنا الطول و القصر فتصبح ثـــماني عشرة حركـ " [6 ص62] .
هذا بالنسبة للصوائت عند القدامى ثمّ عند المـــحدثين، ننتقل بعدهـــا إلى الصوامت .

2.2.2. الصوامت

2.2.2.1. الصوائت لغة

مأخوذة من الفعل : ' صمت يصمت صمتا وصُمتا و صُموتا و صُماتا وأصمت : أطال السكوت " [ ] 2/ 72 ، والصوامت مفردها صامت وهي تقابل المصطلح الأجنبي الفرنسي consonne .

2.2.2.2. الصوامت اصطلاحا

" أطلق عليها العرب مصطلح الحروف الأصول و منها يتكون جذر الكلمة ، و عددها في العربية ثمانية و عشرون صوتا يدخل فيها الواو و الياء غيرالمدّيتين " [5 ص5] .
من خلال التعريفين اللّغوي و الاصطلاحي نخلص إلى أنّ الحروف العربية - عدا المديّة - قليلة الوضوح في السّمع لذا تشبه السكوت بعكس الصوائت التي تقابل الصياح لأنّها واضحة جدّا في السّماع ، كما أنّ الصوامت هي الحروف التي تبنى بها الكلمات لذا سميت أيضا بحروف المباني التي يقابلها في النّحو العربي حروف المعاني كحروف الجرّ والجزم وغيره .

كما أنّها قسيمة للصوائت في المكانة و الوجود فهما متلازمان لأنّ الصامت لا يمكن نطقه بدون صائت، وهذا الأخير لا نتصور وجوده بدون صامت، لذا اعتبر العرب الصامت جوهرا و الصائت عرضا، و الصائت هو الذي يجعل الصامت يصوّت كما لا يمكن أن تتوالى الصوامت بدون صوائت [5 ص3] .

أولا الصوائت عند القدامى :
اعتمد القدامى في تصنيفهم للصوامت على أساسين مهمين هما : المخرج والصفة .
المخرج : المخرج لغة من ' خرج يخرج خروجا ومخرجا فهو خارج وخروج وخرّاج ... قد يكون المخرج موضع الخروج " [ ] 1/ 307 .
أمّا اصطلاحا فهو : ' مكان حدوث الصوت داخل الجهاز الصوتي أي المكان الذي يخرج منه الصوت في الآلة الصوتية " [1 ص4] .
من خلال التعريفين اللّغوي والاصطلاحي يتبيّن لنا بأنّ المخرج هو موضع خروج الصوت من الجهاز الصوتي . وقد أدرك علماء العربية قديما مخارج الحروف بتذوقها كما أشرنا في المبحث السابق بأنّ الخليل كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف نحو : أبْ، أثْ، أحْ، وأ .
فكان بذلك المخرج هو الجانب العضوي أو الفيزيولوجي من النّطق الذي يحدّد أعضاء جهاز النّطق التي تشترك في إحداث النّطق، و قد استعمل الخليل إضافة إلى المخرج مصطلحات أخرى كالمبدأ والحيّز والمدرج و هذا الأخير ذكره في قوله :

" اعلم أنّ الحروف الذلق والشفوية ستة وهي : الراء واللام والنون والفاء و الباء و الميم و إنّما سميت هذه الحروف ذلقا لأنّ الذلاقة في المنطق إنّما هي بطرف أسلة اللّسان و الشّفتين و هما مدرجتان لهذه الحروف الستّة " [3] 3/ . يتبيّن لنا بأنّ المدرج هو موضع مجموعة الأصوات المتقاربة من بعضها البعض ومتعاقبة في حدوثها . و قد صنّف الخليل تسعة مخارج هي : الحلق، اللّهاة، الشجر، الأسلة، النطع، اللّثة، الذلق، الشّفة، الجوف . والملاحظ أنّه لم يذكر صوتين هما الياء والواو غير المدّيتين في مثل : وج – يجد ولكنّه أشار إلى أنّ الياء لا يعتد بها في قوله : " فأمّا زيد وكيد فالياء متعلقة لا يعتدّ بها " [3] 4/ 69 .
أمّا تلميذه سيبويه فقد استفاد من دراسة أستاذه الخليل للمخارج فأدخل بعض التعديلات على تصنيف مخارج الحلق فقام بتقسيمه إلى ثلاثة أقسام هي : أقصى الحلق و وسط الحلق وأدنى

الـــحلق وأضاف إليها الألف، كما رتّب الـــهاء قبل العين والـــحاء و أخرج الضاد في مـــخرج مستقل فأصبح عدد الـــمخارج ستة عشر مـــخرجا مرتّبة على النّحو الآتـــي : [4] ا /433
- أقصى الـــحـــلق : الهمزة و الهـــاء و الألف .
- وسط الـــحلق : العين و الـــحا .
- أدنى الـــحلق : الغيـــن و الـــخا .
- أقصى اللّسان وما فوقه من الحنك الأعلى : القاف .
- أسفل من موضع القاف من اللّسان قليلا ومما يليه من الحنك الأعلى : الكاف .
- وسط اللّسان بينه وبين الـــحنك الأعلى : لجيم والشين واليا .
- من بين أول حافة اللّسان وما يليها من الأضراس : الضا .
- من حافة اللّسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا : النور .
- من مخرج النون غير أنّه أدخل في ظهر اللّسان قليلا لانحرافه إلى اللا الرا .
0 - وممّا بين طرف اللّسان وفوق الثنايا الطاء والدال والتا .
1 - وممّا بين طرف اللّسان وفوق الثنايا : الزاي والسين والصاد .
2 - ومما بين طرف اللّسان وأطراف الثنايا : الظاء والذال والثاء .
3 - ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى : الفاء .
4 - ومما بين الشفتين : البـــاء والـــميم والواو .
5 - ومن الخياشيم : النون الخفيفة .

والـــملاحظ هو أنّنا لا نجد مـــخرج اللام وهذا ليس لأنّ سيبويه لـــم يذكره بل ربّما سقط سهوا عند الطبع لأن سيبويه صرّح منذ البداية بأنّ عدد الـــمخارج هي ستة عشر وليس خمسة عشر، وصوت اللام يـــحتل المرتبة الثامنة أي بعد الضاد وقبل النون فقد أثبته محقق الكتاب في الـــجزء الثاني منه ومخرج الـــلام هو : " من بين أول حـــافة اللّسان من أدنـــاها إلى منتهى طرف اللّسان وما بينهما وبين ما يليها من الـــحنك الأعلى وفويق الضاحك والناب والرباعية والثنية " [4] ! /88! .

وبهذا يكون عدد حروف العربية بحسب هذه الـــمخارج ثلاثون حرفا وهذا مخالف لما صرّح بـــه سيبويه في مستهل حديثه عنها بأنّها تسع وعشرون حرفا، وهذا بإضافته للنون الـــخفيفة التي يقرأ بها في القرآن الكريم، وقد سماها علماء القراءات النون الساكنة و يقرنون ذكرها بالـــميم الساكنة ومخرجهما هو ' الـــخيشوم و هو خرق الأنف المنجذب إلى داخل الفم المركب فوق سقف الفم وليس الـــمنخر " [29 ص12 .

الـــملاحظ هو أنّ سيبويه كان أكثر دقة من أستاذه الـــخليل في تحديد الـــمخارج فأضاف عدّة تعديلات من أهمها : فصل مخرجي القاف والكاف والبدء بالـــحروف النطعية ثمّ الأسلية . أمّا الذين جاؤوا بعد سيـــبويه فقد احتفظوا بنفس الترتيب والتقسيم، من بينهم ابن جني في سر الصناعة مع بعض الزيادة كقولـــه في مـــخرج الضا : ' إلا أنّك إن شئت تكلفتها من الـــجانب الأيمن و إن شئت تكلّفتها من الجانب الأيسر أو من كليهما معا " [1] /2! .
فقد اعتبر النحاة القدامى الضاد من خصائص العربية التي لا يمكن للأعاجم النطق بها فسميت اللّغة العربية لغة الضاد وقد " فقدت هذه الضاد من ألسن العرب للجـــفوة التي نَـــأتْ بالإنســـان عن المأكولات الـــخشنة إثر النعومة الطارئة على الأغذية في أزمان الازدهار والتصنيع [30 ص3! .

الصفـــات : الصفة لغة من ' وصف الشيء وصفا وصفة : حلاّه والهاء عوض من الواو وقيل الوصف الـــمصدر، و الصفة الـــحلية . اللّيث : الوصف وصفك الشيء بحليته ونعته ... و الصفة كالعلو والسواد " [1] ج /35 -36 .
أمّـــا اصطلاحا فهي تعني ' كيفية حـــدوث الصوت أي الكيفية التي يخرج بهـــا الصوت إلى الوجود من العدم " [1 ص 4ج فإذا كان المخرج هو الـــجانب العضوي الفزيولوجي فإنّ الصفة هي الـــجانب الفيزيائي لـــه فهي تعتمد على الـــملاحظة و الـــحسّ و أول من اتّـــجه لدراسة الصفات هو الـــخليل فاستعمل في وصفه للصوامت نوعين من المصطلحات : النّوع الأول : كان يصف بـــه مجموعة من الأصوات، النّوع الثاني : كان يصف بـــه صوتا معيّنا أو مفرد .

ولعلّ أول وصف عنده هو وصف الأصوات العربية بـــالصحاح و الـــجوف في قولـــ : " في العربية تسعة وعشرون حرفا منها خمسة وعشرون صحاح ... وأربعة أحرف جوف و هي الواو و اليـــاء والألف اللـــّينة والهمزة " [3ج] . /4ج .
فالصحة هي وصف صوتي وصرفي في الوقت نفسه نظرا لأنّ الصوتيات آنذاك لم تكن مستقلة عن النّحو والصرف إذ أنّ الصوت الصحيح عنده من النّـــاحية الصوتية ما له مخرج أما من النّـــاحية الصرفية فهو الصوت الذي يبقى على حاله داخل البنية الصوتية للكلمة و يقابله الصوت الأجوف أو الهوائي الذي لا حيّز لـــه ولا مدرج، أمّـــا من الناحية الصرفية فهو الصوت الذي يتغيّر داخل بنية الكلمة وهو الـــحرف المعتلّ وقد وصف الخليل صفة الاعتلال في قولـــ :
' الألف حرف معتل " [3ج] . /7ا . فصفة الاعتـــلال هي التي عبّر عنها الخليل بمصطلح جوف أو هوائية للإشارة بهما إلى الألف وغيرها من حروف العلّ .

ولعلّ اختلاط النحو بالصرف هو الذي جعله يعدّ الهمزة من الصوائت مرة و ينـــزعها منها مرة أخرى، ثمّ اتّجه إلى النظر في الصحاح فلاحظ أنّ بعضها أكثر تداولا في الكلام عن غيرها وربّما يعود ذلك إلى خفة نطقها فوصفها بالحروف الذلق و الشفوية ثم قسّمها إلى ذليقية وشفوية بقوله :

" اعلم أنّ الحروف الذلق والشفوية ستة هي : الراء واللام والنون والفاء والباء والـــميم وإنّما سميت هذه الـــحروف ذلقا لأنّ الذلاقة في المنطق إنّما هي بطرف أسلة اللّسان و الشّفتين .... ومنها ثلاثة ذليقية الرّاء والـــلاّم والنون من ذلق اللّسان من طرف غار الفم، وثلاثة شفوية هي الفاء والباء والـــميم مخرجها من بين الشفتين " [3 ي] . /7ج .

أمّـــا سيبويه فقد تحدّث عن الصفات بعد حديثه عن الـــمخارج مباشرة فذكر صفتي الـــجهر والهمس وعدّدها قائلا : " فأمّا الـــمجهورة فالهمزة والألف والعين والغين والقاف والجيم واليـــاء والضّاد واللاّم والنّون والرّاء والطّاء والدّال والزّاي والظّاء والدّال والباء والـــميم والواو، وأمّـــا الـــمهموسة فالهاء والـــحاء والخاء والكاف والشّين والسّين والتّاء والصّاد والثّاء و الفا. " [4ج] ا /34ا ثمّ عرّف كلا منهما قائلا : " ... فالمـــجهورة حرف أشبع الاعتماد في موضعه و مُنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه و يجري الصوت ... و أما المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه " [4ج] ا /34ا .

وهاتان الصفتان هما الأساسيتان لأنّ حروف العربية تسعة وعشرون حرفا منها تسعة عشر حرفا مـــجهورا أما العشرة المتبقية فهي مهموس، وقد جُـــمعت المهموسة في قولنا ' سكت فـــحثّه شخص، والهمس الصوت الخفي الضعيف والـــجهر الصوت القوي ' [21 ص68 .
وبعدها ذكر الصفات الثانوية التي تشمل بعض الأصوات منها الشديدة والرّخـــوة قـــال عنه :
' ومن الـــحروف الشديد وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه وهو الهمزة والقاف والكاف

والجيم والتّاء والدّال والبا ... ومنها الرخوة وهي الهاء والغين والخاء والشّين والصّاد والضّاد والزّاي و السّين و الظّاء و الثّـــاء و الدّال و الفاء " [4ز] ا /34 -35ا .
وقد جـــُمعت الـــحروف الشديدة وعددها ثمانية في قولنا أجد قط بكت [21 ص68 .

أمـــّا العين فقد جعلها سيبويه بين الشّدة والرّخاوة وقال بأنّها تردّدية تشبه الـــحاء .
والـــملاحظ هو أنّ سيبويه فرّق بين الصفات الأساسية والثانوي على أساس مراعاة النَفَس والصوت، فالـــمجهور منع النَفَس أن يجري معه والشديد هو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه فالأساسي يمتنع معه والثانوي يمنع فيه، والممتنع في الأساسي هو النَفَس وفي الثـــانوي الصوت .
و بعد ذلك تعرض للصفات التي تتعلّق بحرف أو حرفين وهي :
الـــمنحرف وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لانحراف اللّسان مع الصوت و لـــم يعترض على الصوت كاعتراض الـــحروف الشديدة وهو الـــلاّم " [4ز]ا /35ا .

الشّـــديد : وهو حرف يجري معه الصوت لأنّ ذلك الصوت غنّة من الأنف ... وهو النون و الميم، ومنها الـــمكرّر وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى الـــلاّم فتجافى للصوت كالرخوة ولو لـــم يكرّر لـــم يـــجر الصوت فيه وهو الراء [4ز] ا /35ا .
ومنه اللّـــين : وهي الواو والياء لأنّ مخرجهما من يتّسع لهواء الصوت أشدّ من اتّساع غيرهما ومنها الهـــاوي و هو حرف اتّسع لهواء الصوت مخرجه أشدّ من اتّساع مخرج الياء و الواو لأنّك قد تضم شفتيك في الواو و ترفع في اليـــاء لسانك قبل الحنك و هي الألف وهذه الثلاثة أخفى الـــحروف لاتّساع مخرجها ،وأخفاهن و أوسعهن مـــخرجا الألف ثمّ الياء ثمّ الواو [ا] ا /36ا .

نلاحظ هنا أنّ سيبويه فرّق بين أصوات المـــدّ بحسب مواقعها في السّياق كما نظـــر إليها نظرة صوتية دقيقة ؛ فالواو هي صوت صامت في قولنا : وا – يودُّ وتكون مجرّد مـــدّ للصائت القصير أي الضّم) في قولنا : يقوا – يدعو، كما قد تكون بين الصوت الصحيح والصائت (أي حرف العلة) كقولنا : القول وهي هنا صوت لين أي يتوسط الصامت والصائت، واليـــاء أخت الواو في العلة فقد تكون صوتا صحيحا كقولنا : يجلس كما تكون مدّا للصائت القصير مثل : سعيد كما قد تكون بين الصائت و الصامت كقولنا : بيت وصيد، وتسمى هنا صوت لين أي متوسطة أما الألف فقد تكون همزة كقولنا : أقول وسأل وقرأ، أمّا إذا مدّت تكون مجرّد صائت طويل مثل سال وآمين ودعا ولكن ليس لها حالة وسطى بين الصائت والصامت فلا ينطبق عليها مصطلح اللّين بل ينطبق عليها مصطلح الـــهاوي .
وبعد ذلك ينتقل سيبويه إلـــى صفين متقابلتين هما الإطباق والانفتاح يقول في ذلك :
" ومنها المطبقة والمنفتحة فأمّا المطبقة فالصّاد و الضّاد و الطّاء و الظّاء، و المنفتحة كلّ ما سوى ذلك من الـــحروف لا تُطبق لشيء منهنّ لسانك ترفعه إلى الحنك الأعلى " [4ز] ا /36ا .
ثـــمّ يبيّن أهمية الإطباق بقولـه : " و لولا الإطباق لصارت الطّاء دالا والصّاد سينا و الظّاء ذالا ولـــخرجت الضّاد من الكلام لأنّه ليس شيء من موضعها غيرهـــا " [4ز] ا /36ا .

وأضاف ابن جني إليها الـــلاّم والـــميم ليصبح العدد ثمانية جمعها اللّفظ " لـــم يروعنا " [1ز] /1ز .

كما أضاف صفتي **الاستعلاء** و **الانـــخفاض** " فالمستعلية سبعة و هي الخاء والغين و القاف و معها حروف الإطباق الأربعة وما عدا هذه الحروف فمنخفضة [1ز] /1ز وأضاف أيضا حروف القلقلة وهي " القاف و الجيم و الطّاء والدّال والباء وجمعها بعضهم في لفظ قطب جد " [1ز] /1ز ، و عرّف ابن الطحان القلقلة بأنّه : ' صوت حادث عند خروجها بالضغطة عن موضعها ولا يكون إلاّ في الوقف ولا يستطاع أن يوقف دونها " [1ز ص4 -5ز .

ثـــانيا الصوائت عند المحدثين :
إنّ الصامت عند النطق به لا يمرّ الهواء به حرا طليـــقا كما هو الأمر في الصوائت و إنّما يعترضه عائق أو حائل حتى خروجه إلى الفم ،و قد أطلق عليه الأستاذ الأنطاكي مصطلح الحبيس فكأنّه يكون حبيسا قبل خروجه إلى الفم، أمّا الأوتار الصوتية فقد تتذبذب فتحدث الصوت المجهور وقد لا تتذبذب فتحدث الصوت الـــمهموس [18 ص8. .

و قد اعتمد الـــمحـــدثون في تصنيفهم للصوامت ثلاث أســـس مهمّة هي : وضع الأوتـــار الصوتية، المخارج و الأحيـــاز، من حيث كيفية مرور الهوا .

. وضع الأوتار الصوتية : و يكون ذلك بـــمراقبة وضع الأوتار الصوتية أثناء انفراجهمـــا أو انطباقهما عند النطق،و بهذا يتم التعرّف على الأصوات المجهورة و المهموسة وهذا عبر ثلاثة أوضاع هي : [ص74. . – . قد ينفرج الوتران الصوتيان بعضها عن بعض في أثناء مرور الهواء من الرئتين بحيث يسمحـــان لـــه بالـــخروج دون أن يقابله اعتراض في طريقه، ومن ثم لا يتذبذب الوتران الصوتيان وبهذا يتم نطق الأصوات الـــمهموسة وعددها اثنتا عشرة حرفا وهي : **ا ت، ث، ح، خ، س، ش، ص، ط، ف، ق، ك، هـــ** .

–! . قد يقترب الوتران الصوتيان بعضهما ببعض في أثناء مرور الهواء من الرئتين و في أثنـــاء النطق فيضيق الفراغ بينهما بحيث يسمح بمرور الهواء ولكن مع إحداث اهتزازات وذبذبات سريعة منتظم لهذه الأوتار وبهذا يتم نطق الأصوات المهموسة وعددها خمسة عشر حرفا و هي : **(ب، ج، د، ز، ض، ظ، ع، غ، ل، م، ن، الواو** في نحو ولد وحوض ، **الياء** في نحو يترك و بيت .

–ا . قد ينطبق الوتران انطباقا تاما فلا يسمح بمرور الهواء إلى الـــحلق مدة هذا الانطباق ومن ثـــمّ ينقطع النفس ثم يحدث أن ينفرج هذان الوتران فيخرج صوت انفجاري نتيجة لاندفاع الهواء الذي كان مـــحبوسا حال الانطباق التّام و هذا الصوت هو همزة القطع فهي إذن صوت صامت لا هو بالمهموس ولا هو بالـــمجهور .

الملاحظ هو أنّ الـــمحدثين صنّفوا حرفي القاف والطاء مع الـــحروف الـــمهموسة بينما الهمزة لا هي بالمهموسة و لا هي بالمجهورة، أمّا القدماء فقالوا بأنّها مجهورة و هذا لأنّهم " ربّما خبروها وتذوقوها متلوة بحركة حتى يأتي النطق سهلا ميسرا، ومعروف أنّ الحركة مجهورة بلا خلاف فلعلّ جهرها أثـــر في الهمزة " [6 ص80. .

أمّا القاف فيذكر جان كانتينو ean cantineau أنّ سبب انتقاله من الجهر إلى الهمس ربّما يرجع إلى ربّمـــا يرجع إلى نطق القاف شدة ثانية (مصاحبة للشدة الثانية) تحصل بغلق رأس القصبة الهوائية يحول دون ارتعاش الأوتار الصوتية و يؤدي إلى نقيض الجهر [34 ص07. ، ويذكر أيضا أنّ القاف تنطق بها اللّهجات الحضرية على ثلاث صور هي :

– نطق القـــاف قـــافا كمـــا هي لـــهوية .
– نطق القاف همزة بتأخير مخرجها إلى الألف .
– نطق القاف كافا مفخمة أو كافا عادية أي بتقديمها قليلا نحو الطبق .
أمّا القاف المـــجهورة فينطق بها البدو ، و منهم من ينطق بها جافا خلفية جدا قريبة من اللّهاة إلاّ أنّها تظهر في جميع المواقع الصوتية وهي لهجات قليلة، وقسم آخر ينطق بها جافا أقصى حنكية في جميع

المواقع الصوتية ،وهي تلك التي أشار إليها السيرافي في شرحه لكتـــاب سيبويه عند كلامه عن القاف التي بين القاف والجاف [34 ص10] .

أمّا حرف الطاء فيرى برجستراسر أنّ الطاء القديمة كانت مـــجهورة تشبه الضاد الـــحديثة التي تطورت فضاع منها الجهر و أصبحت تلك الطّـــاء الحديثة التي لم يكن لها وجود أصلا في العربية القديما [4 ص1] .

ب . من حيث المخارج و الأحياز : لقد عدّ القدماء ستة عشر مخرجا للأصوات العربية وقـــاموا بترتيبها تصاعديا من أقصى الـــحلق وصولا إلى الشّفتين ، أمـــّا الـــمحدثون فترتيبهم لهـــا هو ترتيب تنازلي يبدأ من الشّفتين ليصل إلى الحنجرة أمّـــا عدد المخارج عندهم فهو عشرة هي : [105] ص0 -1 .

- الـــمخرج الشفوي : الباء، الميم، الواو باعتبارها من أشباه الـــحركات .
- الـــمخرج الشفوي الأسناني : الفـــاء .
- الـــمخرج الأسناني أو ما بين الأسنان : الدّال، الظّاء، الثّاء .
- الـــمخرج الأسناني اللّثوي : الدّال، الضّاد، التّاء، الطّاء، الزّاي، السّين، الصّاد .
- الأصوات اللّثوية : الـــلاّم، الرّاء، النّون .
- الأصوات الغارية أو الحنكية الصلب : الشّين، الجيم، الياء باعتبارها من أشباه الحركات .
- الأصوات الطبقية أو الـــحنكية الرخو : الكاف، الغين، الـــخاء .
- الأصوات اللّهوية : القـــاف .
- الأصوات الـــحلقية : العين، الـــحاء .
- الأصوات الـــحنجرية : الهمزة، الهـــاء .

في حين جعلها بعض الـــمحدثين أحد عشر مخرجا كما هو عند . كمال بشر و . أحـــمد مـــختار عمر ، بينما جعلها . إبراهيم أنيس سبعة مـــخارج [6 ص83 و[ص15 -19] .

وبمقارنة هذا الترتيب مع ترتيب القدماء نلحظ أنّ الاتفاق بينهما أوسع من الخلاف فمثلا الباء و الـــميم شفوية عند كليهما، أمّا الخلاف فأول ما نلاحظه هو ذكر القدماء لمخرج الألف وعدم ذكره لدى المحدثين، وهـــذا يدلّ على أنّ القدمـــاء أخلطوا بين الصوائت والصوامت؛ فالألف يعدّ حركة في كلّ مواضعه في اللّغة العربية وهي الفتحة الطويلة ولا مخرج لها بل يـــخرج الهواء في أثناء النطق بها حرا طليقا دون عائق، فهي ليست مثل الواو والياء لأنّ لهما جانبين؛ الأول كونهما الواو ضمة طويلة و الياء كسرة طويلة أمّا الـــجانب الثاني فهما من الأصوات الصامتة في مثل ولد بيت [ص96] .

ج . من حيث كيفية مرور الهواء : يذهب معظم المحدثون إلـــى أنّ تصنيـــف الصوامت من حيث مرور الهواء عند النطق بها ينقسم إلى مجموعتين رئيستين هما : الأولى أطلقوا عليها مصطلح الوقفـــات stops . والثانية اصطلحوا عليها باسم الـــممتدّة open [6 ص96] .

- . الوقفات : أثناء النطق بالصوت يحدث وقوف الهواء وقوفا تاما في نقطة من نقاط الجهاز النطقي بدء من الحنجرة حتى الشّفاه، فإن صاحَبَ هذه الوقفات انفجار سريع مفاجئ بمعنى خروج الهواء متفجرا فجأة وبسرعة سميت وقفات انفجارية وإن تسرب الهواء ببطء محدثا احتكاكا سميت وقفات احتكاكية أو المعروفة بالمركبة [6 ص96] .

ويـــحدّد فاندريس Vendryse ثلاث مراحل لإنتاج الصوت الانفجاري بقولـــ :

" ففي كلّ صامت انفجاري إذن ثلاث خطوات متميّز : الإغلاق أو الحبس والإمســاك الذي قد يكون طويل المدّة أو قصيره، والفتح أو الانفجار، وعند إصدار صامت بسيط مثل التاء فإنّ الانفجار يتبع الــحبس مباشرة [35 ص2 –6′ . والأصوات الانفجارية هي التي عرفت عند القدماء بالشّديدة وعددها ثمانية وهي (ء، ق، ك، ط، ت، د، ب) و أضيفت إليها الضاد ليصبح عددها تسعة .

أمّــا الوقفات الاحتكاكية فقد سماها ماريو باي nario pai بالأصوات المركبة ويعرّفها بأنّه : " أصوات لا تنتج عن طريق تغيير المخرج وإنّما تعديل طريق النطق، فإذا حدث أن كان هذا الانغلاق الــمتلو بانطلاق الموجود في نطؤ – (t حدث أن كان الانغلاق متبوعا بالصوت الاستمراري الاحتكاكي المجهور فإن النتيجة ستكون h الموجودة في hurch و نفس الشئ يحدث مع ال l إذا أتبعت بالصوت الاحتكاكي المجهور الــ حيث يكون الناتج صوت الــ الموجود في et ( ) ، و من الــممكن بنفس الطريقة إنتاج أصوات مركب ... " [36 ص4 –5؛ .
وهذا بالنسبة للغة الأجنبية أمــّا في اللّغة العربية فالأصوات المركبة تتمثل في الــجيم التي ينطق بها دج) كقولنا : ساذج وخارج وغيره .

–! . المــمتدّ : هي الصوامت التي يحدث في أثناء النطق بها أن يمرّ الهواء ويتسرب كليا أو جزئيا من منفذ من منافذ النطق وإن بصور مــختلفة (ا فقد يمرّ الهــواء عند النطق من الفم من منفذ ضيّق نسبيا محدثا حفيفا أو احتكاكا مسموعا لذا سميت بالأصوات الاحتكاكية (ا .
بمعنى أنّ مجرى الهواء لا ينغلق انغلاقا تاما عند النطق بها وهي التي عرفت عند علماء العربية القدماء بالرخوة وعددها ثلاثة عشر حرفا وهي (ه، ع،ح،غ، خ، ش، ص، ض، ز، ظ، ث، ذ، ف .
هذا ويضم إلى الأصوات الممتدة الأصوات الــجانبي و الأنفية و التكرارية و أنصاف الحركات .
هذا ويضم إلى الأصوات الممتدة الأصوات الــجانبي و الأنفية و التكرارية و أنصاف الحركات .

– الأصوات الــجانبية eteral هي " نوع من القطوع الصامتة تؤديه حبسة كاملة الانغلاق وسط القناة النطقية حيث يوجد ممر جانبي لتيار الهواء، حول جانب أو جانبي العائق [37 ص8′ . أي أنّ

الهواء أثناء خروجه يخرج حرا طليقا من جانبي الفم، " وتمتلك معظم اللّغــات صوتا جانبيا واحدا كما هو في الإنجليزية والفرنسية و الألمانية و العربية " [32 ص4 –5! .
وهذا الحرف هو الــلاّم في العربية و ـ في اللّغــات الأجنبية .

– الأصوات الأنفية azals و هي " التي ينغلق الفم عند النطق بها و لكن تنزل مع غشاء الحنك تنزلا لا يسمح للنفس بالــمرور من الخيشوم " [34 ص2! ، فالصوت الأنفي (الخيشومي) صوت انغلاقي من ناحية المــجرى الفموي فيغيّر مــجراه باتّجاه المجرى الأنفي فهو لا انفجاري و لا احتكاكي ومثالها في العربية (م، ن) وفي الأجنبية M-N .

– أصوات التكرار : هي التي سماها سيبويه بالــمكرّر وهو الراء وقد وضّح ابن الطحان التكرير بأنّه " تضعيــف يوجد في جسم الراء لارتعاد طرف اللّسان بها و تقوى مع التّشديد " [31 ص5! .
كما يطلق عليها ماريو باي مصطلح الترددية Atrill لأنّ ويطلق عليها أحيانا اسم المهتزة لأنّ " إنتاجها يصاحبه دائما ذبذبة في الأوتار الصوتية أو اللسان أو اللهاة " [36 ص6؛ .

– أمّــا أنصاف الــحركات فهما الواو والياء في مثل (وا – يترك) يؤديان وظيفة الأصوات الصامتة وطريقة نطقهما تقرّبــهما من الأصوات الــممتدّة حيث ينفذ الهواء محدثا نوعــا من

الاحتكاك، كما تقرّبهما من الـــحركات بسبب مرور هوائهما بشيء من الـــحريّة عند النطق بـــهما لذا يسمّيـــان أنصاف الحركات في مثل : أدعو و أرمي و يقابلهما في الأجنبية W-Y [6 ص02! .

من خلال عرضنا لهذا الـــمبحث نتوصّل إلى النتائج التالـــية :

– اعتمد القدامى في تصنيفهم للصوائت ملاحظة حركة الفم و الشّفاه فسموا الضّمة لضمهما والفتحة لفتحهما والكسرة لكسرهما، كما وصفـــوها بالجوفاء نظرا لمـــخرجها وهو الـــجوف، أمّـــا الـــمحدثون فنظروا إلى الأوتار الصوتية فلاحظوا أنّها تـــهتز عند النطق بـــها فقالوا بأنّها مـــجهورة كما لاحظوا أنّ الهواء يـــمرّ من الـــحلق والفم طليقا دون عائق أو حائل .

– اعتمد القدماء في تصنيفهم للصوامت الـــمخارج والصفات بينما أضاف المـــحدثون وضعية الأوتار الصوتية و كيفية مرور الهواء عند النطق بـــه .

– ذكر الـــخليل خـــمس صفات تتعلق بمجموعة من الأصوات وصفتـــان تتعلق كلّ منهما بصوت معيّن، وأضاف سيبويه تسع صفات ثلاثة منها ثنائية كالـــجهر والهمس وخمسة منهـــا أحادية كالـــمنحرف وصفة واحدة متوسطة بين الشدة و الرخاوة، وأضـــاف ابن جني صفتين إحداهـــما ثنائية هي الاستعلاء و الانخفاض و الأخرى أحادية هي القلقلة، و أضاف من جـــاء بعدهم ثلاث صفات هي الصفيرية والتفشي والاستطالة .

– أطلق الـــمحدثون على الأصوات الرخوة مصطلح الاحتكاكية و أضافوا إليها صوت العين وحذفوا صوت الضاد وأضافوه إلى الشديدة التي اصطلحوا عليها بالانفجارية، أما المتوسطة بين الشدة والرخاوة فاصطلحوا عليها بالبينية و حذفوا منها الأصوات الأربعة (ا، و، ي، ع) لأنّ الثلاثة الأولى هي صوائت، بينما العين فاعتبروها من الاحتكاكية حيث اتّضح بصـــورة الأشعة أنّه في نطقها يحدث تضييق كبير للحلق و هذا ما دعاهم إلى اعتبارها صوتا رخوا لا متوسط [0 ص3 .

– أطلق الـــمحدثون مصطلح التفخيم على الأصوات الـــمستعلية و هي " ظـــاهرة صوتية تحدث كلّما استعلى اللّسان نـــحو الفم فيتشكل تـــجويف الـــحلق و الفم تشكيـــلة خاصة تقوي الاهتزازات الاهتزازات المنخفضة فيصيـــر جرس الصوت غليظا و ثقيلا أي مفخما " [1 ص9؛ .

– أضاف الـــمحدثون الـــحروف الشدـــيدة الرخوة أو المركبة و هي الـــجيم ، أمـــّا الصوت الـــمنحرف فأطلقوا عليه مصطلح الصوت الـــجانبي .

2.2. الصوت و الدلالـــة

من الـــمعلوم أنّ اللّغة نظام من الرموز الصوتية أو كما عرّفها ابن جنيّ : " أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم " [38] . 3/1 ، و قد عني علماء العربية باللّغة عناية كبيرة و ناقشوا مسائلها الـــمختلفة من أهم هذه الـــمسائل علاقة الأصوات بـــمدلولاتها وهي قضية لا تزال إلى الآن من المشاكل الأكثر تعقيدا و ربّما يعـــود ذلك إلى ارتباطها بـــمسألة أكثر تعقيدا منها هي مسألة نشأة اللّغة . فكيف عـــالج القدماء هذه المسألة؟ و ما رأي المحدثين في ذلك؟ و هل للصوت دلالة وهو خارج الخطاب .

3.2. الصوت و الدلالة عند القدمـــاء

اتّجه علماء العربية القدماء في دراستهم لـــمسألة الصوت و الدلالة وجهتين : الأولى تتمثل في دراسة الانسجام الصوتي في اللّفظة الواحدة و ذلك لبيان الـــمهمل من الـــمستعمل و الفصيح من غيره، و هذا للوصول إلى العلاقـــات بين الأصوات انسجاما أو تنافرا و الوقوف عند قوانين هذا الانسجام أو ذاك التنافر، أمّـــا الثانية فتتمثل في دراسة القيمة التعبيـــرية للأصوات و مدى اتّفاق دقة الدلالة مع جرس الأصوات الـــمختارة و هل وقعت فكرة دلالة الأصوات اتّفاقا أم قصدا . و يمكننا القول بأنّ الـــخليل قد سبق اللّغويين العرب إلى هذه الظـــاهرة ؛ فقد رأى أصواتا محاكية للطبيعة فذكر ذلك في قولـــ : " فكأنّـــهم توهموا في صوت الـــجندب استطالة و مدّا فقالو : صـــرّ و توهمـــوا في صوت البازيّ تقطيعا فقالو صـــرْصر " [38] . 3/1 .

فتضعيف الرّاء في صـــرّ) ينتج عنه نوع من الـــمطّ و الاستطالة نتيجة لتكرير حرف الراء و هذا يحدث مع صوت الجندب الذي يستطيل ويمتدّ ، أمّا في صرصر) فنلاحظ تكرار الصاد و فك الإدغام عن الراء وهذا يدل على التقطيع إلى صر) و صر) في الكلمة فينتج التقطيع في صوت الـــبازيّ . كما ورد عنه أنّه قال : " يقولون صلّ اللّجام يصلّ صليلا، فلو حكيت ذلك قلت صلّ تمدّ اللام و تثقلها وقد خففتها في الصلصلة و هما جميعا صوت اللّجام، فالثقل مـــدّ والتضاعف ترجيـــع " [ص6 .

كما قال في نون التوكيد : " فإذا جئت بالخفيفة فأنت مؤكّد و إذا جئت بالثقيلة فأنت أشدّ توكيدا " [4] 1/09 . ويمكن القول بأنّ الـــخليل هو الذي مهدّ السبيل لمن جاء بعده لدراسة اللّغة على أساس المبدأ اللّغوي الطبيعي، فتبعه سيـــبويه فعقد في أبواب المصـــادر حديثا في هذا الموضوع، فنجده في بـــاب افعوعلت يقول : " قالوا خشن و قالوا اخشوشن، وسألت الـــخليل فقال : كأنّهم أرادوا المبالغة والتوكيد، كما أنّه قال : اعشوشبت الأرض فإنّما يريد أن يجعل ذلك كثيرا عاما " [4] 1/75 .
الواضح من ذلك أنّ الـــخليل رأى بأنّ زيادة المعنى من زيـــادة المبنى و الغرض منه التوكيـــ .

كمـــا عقد بابا آخر تناول فيه مـــا جاء على مثال واحد حين تقاربت الـــمعاني من ذلك قولـــ :
" ومن الـــمصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولك النـــزوان والنقزان و إنّما هذه الأشياء في زعزعة البدن و اهتزازه في ارتفاع، و مثله العسلان ..." [4] 1/4 .

وبعد الـــخليل وسيبويه جاء ابن جني الذي تحمّس كثيرا للعلاقة بين الصوت والدلالة فقد عقد لها في الـــخصائص أربعة أبواب هي : باب تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني، وباب الاشتقاق الأكبر، وباب تصاقب الألفاظ لتصاقب الـــمعاني، وباب إمساس الألفاظ أشباه الـــمعاني .

ففي الباب الأول يشير إلى أنّك " تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة فتبحث عن أصل كلّ اسم منها فتجده مفضي المعنى إلى صاحبه ... فالـــخليقة و الطبيعة و النحيتة و الغريزة و السّجية وغيرها من الألفاظ تؤذن بالإلف والملاينة و الإصحاب والمتابعة " [38] ، ص 176 .

وفي باب الاشتقاق الأكبر يشير إلى أنّ أصوات الـــمادة الواحدة مهما اختلف ترتيبها فهي تدلّ على معنى واحد؛ فهو يربط بين الألفاظ و تقاليـــبها الستّ و بين معانيها ولو احتاج الأمر إلى تأويل يقول في ذلك : ' فإن شذّ شيء من شعب هذه الأصول عن عقده ظاهرا ردّ بالتأويل إليه و عطف بالملاينة عليه " [38] ، ص 176 .
و قد ذكر بأنّ هذا النوع من الاشتقاق كان يستعين به أستاذه أبو علي الفارسي و يستروح إليه ويتعلّل به، ثمّ راح يضرب لنا أمثلة مـــختلفة منه : ' و من ذلك تراكيب (ق س ع) ، (ق و س) ، (و ق س) ، (و س ق) ، (س وق) و أهمل (س ق و) و جميع ذلك إلى القوة والاجتماع و منها القسوة و هي شدة القلب واجتماعه ... ومنها القوس لشدّتها واجتماع طرفيها، ومنها الوقس لابتداء الجرب ذلك لأنّه يجمع الجلد و يقحله، و منها الوشق للجمل و ذلك لاجتماعه وشدّته ومنه استوسق الأمرأي اجتمع . قال تعالى :

﴿ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴾ [38] (84) أي جمع ، و منهـــا السوق وذلك لأنه استحثاث وجمع للمسوق بعضه إلى بعض " [38] ، ص 176 .

ورغم ذلك فهو يقرّ بأنّ هذا النّوع من الاشتقاق صعب التطبيق على جميع نصوص اللّغة فقد ينطبق على بعضها و لا ينطبق على البعض الآخر فهو أصعب مذهبا و أقـــرّ ملتمسا [38] ، ص 176 .
و في باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني يرى بأنّ تقارب الألفاظ ينتج عن تقارب المعاني ويضرب على ذلك مثالا و هو قوله تعالى : ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗ ﴾ [39] (83). أي تزعجهم وتقلقهم، فهذا في معنى تهزّهم هزّا والهمزة أخت الهاء فتقارب اللّفظان لتقارب المعنيان وكأنّهم خصّوا هذا المعنى بالـــهمزة لأنّها أقوى من الهاء و هذا المعنى أعظم في النفوس من الـــهزّ ، لأنّك قد تـــهزّ ما لا بال له كالجذع و ساق الشجرة و نـــحو ذلك " [38] ، ص 199 .

كما رأى بأنّ العرب كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث الـــمعبّر بها عنها ونلحظ ذلك في قوله : " فأما مقابلة الأصوات بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع و نهج ملتئب عند عارفيه مأموم ، فيعدّلونها و يحتذونها عليها و ذلك أكثر ما نقدّره و أضعاف ما نستشعره، من ذلك قولهم خضم و قضم؛ فالخضم لأكل الرطب كالبطيـــخ و القثاء و مـــا كان نحوهما من المأكول الرطب و القضم لليابس نحو قضمت الدابة شعيرها و نحو ذلك " [38] ، ص 57 .

وتعليل ذلك أنّ " العرب اختاروا الـــخاء لرخاوتها للرطب والقاف لصلابتها لليابس حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث " [40] (56).
ومثل ذلك " النضح للماء و نحوه والنضخ أقوى من النضح ، قال الله تعالى :

﴿ فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ [40] (56). أي فوارتان غزيرتان " [38] ، ص 309 .

يقول د. إبراهيم أنيس معقّبا و شارحا لدلالة الصوتين الـــحاء و الـــخاء :
" فكلمة تنضح) تعبّر عن فوران السائل في قوة وعنف وهي إذا ما قـــورنت بنظيرتها تنضخ) تدلّ على تسرب السائل في تؤدة وبطء، يتبيّن لنا أنّ صوت الخاء في الأولى له دخل في دلالتها فقد أكسبها تلك القوة وذلك العنف ... وعلى هذا فالسامع يتصوّر بعد سمـــاعه كلمة تنضح عينا يفـــور منها اللّفظ فورانا قويـــّا عنيفا، و الفضل في هذا الفهم يعود إلى إيثار صوت على آخر أو مجموعة من الأصوات على أخرى في الكلام الـــمنطوق " [41 ص46] .

و مثال ذلك : " القدّ طولا والقط عرضا و ذلك أنّ الطّاء المناجزة لقطع اعرض لقربه وسرعته و الدّال الـــمماطلة لما طال من الأثر و هو قطعه طولا " [38] . ص109 .

ولابن فارس بعض الـــمحاولات في هذا الموضوع فقد رأى في بعض الألفـــاظ دلالات تكشفها الأصوات و معاني توضّحها المباني منها قولـــ : " و للهمزة و الـــحاء أصل واحد و هو حكـــاية السعال و ما أشبهه من عطش و غيظ " [39] . ص71 .

كما ذهب إلى أنّ أكثر الألفاظ يدلّ معناها على مبناها و أورد لها بابا أسماه باب الأبنية الدالة في الأغلب الأكثر على معان و قد تختلف " و ضرب لنا أمثلة على ذلك منها :
" البناء الدّال على الكثر : فعول وفعّال نحو ضروب وضرّاب وكذلك مفعال إذا كانت عادة نحو معطار و امرأة مذكار إذا كانت تلد الذكور و كذلك مئـــناث في الإناث [42 ص173] .
فهو يقصد في البناء الدال على الكثرة صيغة المبالغة، و يقول أيضا في الصاحبي :
" ما كـــان على فعلان دلّ على الحركة والاضطراب نحو النـــزوان والغليان ... و تكون الأدواء على فُعال نحو القُلاب و الخُمار " [42 ص175] .

كما حاول ابن فارس أن يبيّن الصلة بين معاني الكلمات على أساس الاشتراك في حرفين زيدَ عليهما حرفي ثالث ليغيّر المعنى الذي تشترك فيه هذه الكلمات فيقول في هذا الشأن :
" إذا وجدت كلمة تبدأ بالدّال و اللاّم فاعلم بأن معناها الأول : الحركة و الذهاب ثم يأتي الحرف الثـــالث فيمنح الكلمة معنى إضافيا ينوّع الحركة أو يخصصها، و من الأمثلة على ذلك الألفاظ (دَلِـــمَ و دَلَهَ و دَلَـــبَ و دَلَـــثَ و دَلَـــجَ و دَلَـــحَ و دَلَـــظَ و دَلَـــعَ و دَلَـــفَ و دَلَـــقَ ... [42] ص192 ، فقد جمعها ابن فارس و حلل معانيها قائلا :

" ... فلا ترى الدّال مؤتلفة مع اللاّم بحرف ثالث إلاّ و هي تدل على حركة ومجيء و ذهاب و زوال من مكان إلى مكان " [42 ص198 ، و رغم هذا فهو لم يضع قاعدة معّينة خاصة بهذه الظاهرة و ربما هذا يعود إلى أنّه قد أدرك أن القاعدة لا تطّـــرد في جـــميع ثنائيات اللّغة .

ثــمّ جاء من بعده ابن سنان الــخفاجي الذي اهتمّ بالــجانب الصوتي والدلالي للكلمة بما لها من صلة بمفهوم الفصاحة والبلاغة وذلك بشكل منهجي واضح، فقد أقــام كتابه سر الفصاحة ' على أساس التفرقة بين مفهوم البلاغة و الفصاحة [0 ص6؛ ، فالفرق بينهما هو أن :' الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ و البلاغة لا تكون إلاّ وصفا للألفاظ مع المعاني " [43 ص6؛ .

ثمّ حاول تحديد المفهوم الدقيق لفصاحة الكلمة بوضع عدّة شروط قــام بتقسيمها إلى قسمين :
" فالأول منها يوجد في اللّفظة الواحدة على انفرادها من غير أن ينضمّ إليها شيء من الألفاظ وتُؤْلَفَ معه، و القسم الثاني يوجد في الألفاظ المنظومة بعضها مع بعض ' [43 ص4؛ .
ولا يسعنا في هذا المقام ذكر هذه الشروط ولكن علماء البلاغة العربية الذين جاؤوا من بعده وضعوها في قاعدة عامة هي : خلوص الكلمة من تنافر الحروف والغرابة ومــخالفة القياس اللّغوي [9 ص4؛ ، أمّــا عبد القاهر الــجرجاني فقد ذهب إلى أنّ الفصاحة مردّها إلى النّظم لا إلى اللّفظة المفردة أو الدلالة، فالكلمة المفردة عنده صورة ذهنية نتعرّف عن طريقها على الوجود الــخارج عن اللّغة [30] 9؛ و هذا ما وضّحه لنا بقول :

" وأنّه - أي الألفاظ – لو خلت من معانيها حتى تتجرّد أصواتا وأصداء حروف لــما وقع في ضمير ولا هجس في خاطر أن يجب فيها ترتيب ونظم و أن يجعل لها أمكنة ومنازل، وأن يجب النّــطق بهذه قبل النطق بتلك " [7 ص8؛ .
كما ذهب إلى أنّه لا توجد علاقة بين الصوت والدلالة فهو بهذا يؤكّد على اعتباطية العلاقة بينهما، وإنّــما الذي يربط بين هذه الأشكال اللّغوية هو واضع اللّغة عن طريق التفاهم العرفي الاجتماعي، وقد عبــّر عن ذلك بقولــ :

" ... وذلك أنّ نظم الحروف هو تواليها في النطق وليس نظمها بمقتضى عن معنى ولا النّاظم لها بمقتف في ذلك رسما من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما تحرّاه ، فلو أنّ واضع اللّغة كان قد قال : ربض مكان ضرب لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد " [7 ص4؛ .

وقد تــجاوز الأمر إلى علماء الأصول والفلاسفة؛ فقد ذهب عبّاد الصّيمري من المعتزلة إلى وجود علاقة طبيعية بين اللّفظ و معناه واحتجّ بأنّ واضع الألفاظ إزاء المعاني لم يضعها اعتباطا وإنّما اختيارا وهذا ما ذكره السيوطي في المزهر بقول : " نقل أهل أصــول الفقه عن عباد بن سليمان الصّيمري من المعتزلة أنّه ذهب إلى أنّ بين اللّفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن يضع؛ قال : وإلا لكان تخصيص الاسم المعيّن بالمسمّى المعيّن ترجيحا من غير مرجّح، وكــان بعض من يرى رأيه يقول : إنّه يعرف مناسبة الألفاظ لمعانيها فسئل ما مسمى إذغاغ و هو بالفارسية الحجر، فقال أجد فيه يبسا شديدا وأراه الحجر " [44؛] . /7؛ .

أمـــّا جمهور الأصوليين فهم ضدّ مقالة الصّيمري و دليلهم على فساد رأيه هو قولهم بأنّـــه : " لـــو ثبت ما قاله لاهتدى كلّ إنسان إلى كلّ لغة، ولما صحّ وضع اللّفظ للضدين كالقرء للمحيض والطهر، والجون للأسود والأبيض " [44] ـ /47 . كما أنّ الفرق بين مذهب عبّاد و مذهب أهل اللّغة والعربية هو أنّ عبادا يرى بأنّ الـــمناسبة بين الألفاظ والمعاني ذاتية موجبة بخلافهم [44] ـ /47 .

ومن الأصوليين من لا ينكر تحقق المناسبة بين الألفاظ ومعانيها ابن قيّـــم الـــجوزية و هذا من خلال قول : " والمناسبة الحقيقية معتبرة بين اللّفظ والمعنى طولا وقصرا، وخفة وثقلا، وكثرة وقلة، و حركة وسكونا، وشدّة ولينا، فإن كان المعنى مفردا أفردوا لفظه وإن كان مركبا ركّبوا اللّفظ، و إن كـــان طويلا طوّلوه كالقَطَنَط و العَنْشَق للطويل، فانظروا إلى طول هذا اللّفظ لطول معناه، و انظر إلى لفظ بُحْتـــُر وما فيه من الضمّ والاجتماع لمّا كان مسماه القصير المجتمع الخَلق، و كذلك الحديد و الحجر و الشدة و القوة ونحوها تجد في ألفاظها ما يناسب مسمياتها، وكذلك لفظ الدوران والنزوان والغليان و بـــابه؛ وفي لفظها من تتابع حركة مسمّاها وكذلك الدجّال والجرّاح و الضرّاب و الأقّاك في تكرّر الحرف المضاعف منها ما يدلّ على تكرار الـــمعنى " [11] ـ /08 .

كما نجد ابن سينا و قد أورد إشارات تدلّ على اهتمامه بفكرة المناسبة بين اللّفظ و المعنى وتأييده لهـــا من خلال قولـــ : " و معنى دلالة اللّفظ أن يكون إذا ارتسم في الـــخيال مسموع اسم ارتسم في النفس معنى فتعرف النّفس أنّ هذا الـــمسموع لهذا المفهوم ، فكلّما أورده الـــحسّ على النفس التفتت إلى معناه " [45 ص! .

3.2.! الصوت و الدلالة عند المحدثيـــن

نظرا للأهمية البالغة التي احتلتها فكرة العلاقة بين الصوت والدلالة فلم يقتصر بـــحثها على اللّغويين المـــتقدمين والأصوليين والبلاغيين والفلاسفة؛ بل كان لها نصيب وافر في دراسات الـــمحدثين من مؤيّد لها ومعارض .

من الـــمؤيدين للعلاقة بين الأصوات و دلالتها أحـــمد فارس الشدياق من خلال كتـــابه الشهير السّاق على السّاق في ما هو الفريـــاق " حيث ذكر في مقدّمته " أنّ كلّ حرف يختص بمعنى من الـــمعاني دون غيره و هو من أسرار اللّغة العربية التي قلّ من تنبّه لـــها و قد وضعت لهذا كتـــابا مخصوصا سمّيته منتهى العجب في خصائص لغة العرب " [12] ـ /12 ، ثـــّم أشار إلى المعاني التي يوحي بها كلّ حرف قائلا : " فمن خصائص حرف الحاء السعة والانبساط نحو الابتاح و البداح و البراح و الأبطح والســـاحة و السطح و السفح و السماح ... و من خصائص حرف الدّال اللّين والنعـــومة والغضاضة نـــحو : البرخداة والفرهد والأملود و القشدة ... كما يشتمل حرف الدال أيضا على ألفاظ كثيرة تدلّ على القوة والشدة والصلابة نحو : التأدّد و التأكيد و الجلمد و الحديد ... " [12] ـ /5 –6 .
كما تأثّر بابن جنّي في قضية قوة اللّفظ لقوة المعنى فقال في ذلك :

" فلا بدّ وأن يكون الاسم الزائد في اللّفظ زائدا في الــمعنى أيضا " [12] . /2 .

ومن الــمؤيدين أيضا عبد الواحد وافي حيث ذكر بأنّنا نجد صورا عديدة و مظاهر مختلفة ترتبط فيها أصوات الكلمة بالمعاني التي يعبّر عنها بها، و قد لخّصها فقهــاء اللّغة في طائفتين من الروابط ؛ الأولى تقوم على أساس الــمحاكاة أمــا الثانية فهي تقوم على أساس الاشتقاق، والأولى تعكس أصواتها اللّغوية الأصوات المسموعة من الطبيعة فكثير من الكلمات الدالة على أصوات الإنسان و الحيوان و الأشياء و بعض الكلمات الدّالة على الأفعال التي يحدثها الإنسان أو غيره تحاكي أصواتها أصوات الظواهر الــتي تعبّر عنها " [13 ص75 – 76. .

وهو بهذا يشير إلى نظرية نشأة اللّغة التي لا يزال الــخلاف عليها قائما حتى الآن، وهو يأخذ بنظرية الــمحاكاة التي ذكرها ابن جني من القدماء و الذي قال في هذا الصّدد :' و ذهب بعضهم إلى أنّ أصل اللّغات إنّمــا هو من الأصوات المسموعة كدويّ الريح وحنين الرّعد و خرير الــماء وشحيح الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الضبي ونحو ذلك ثــمّ تولدت اللّغات عن ذلك فيما بعد، و هذا عندي وجه صحيح و مذهب متقبّل " [8] . /6 –7 .

و قد وافقه عليه بعض المــحدثين أمثال الأستاذ زكي الأرسوزي الذي يقول :
" إنّ الكلمات العربية ذات أصول في الطبيعة و إنّ مبدأ الصّحة فيها قد تعيّن من قبل الفطرة لا من قبل العرف والعادة، ثمة خطأ شائع بين اللّغويين و هو أنّ العلاقة بين المعنى و اللّفظة في اللّسان العربي على مثال العلاقة بينهما في اللّغات الــحديثة علاقة اصطلاحي ... بيد أنّ اللّسان العربي ذو بنيــان عضوي تنمّ فيه الكلمة عن المعنى وتوحي به إيحاءً " [3 ص9 .

فهو يرفض النظرية الاصطلاحية و يرى بأنّ أصل اللّغة العربية يرجع إلى أصوات الطبيعة كمــا أنّ كلمــاته ترجع إلى صور صوتية مرئية مقتبسة مباشرة إمّــا عن الطبيعة الخارجية تقليدا للأصوات الحاصلة فيها مثال ذلك : قــرّ، فــقّ، خــرّ، زمّ و إمّا عن الطبيعة الإنسانية بيانا لمشاعرها و مثال ذلك : أنّ، أهّ [3 ص9 .

على ألاّ نكون مبالغين في القول بأنّ أصل اللّغة كلّه نتاج عن محاكاة الأصوات الطبيعية، فقد تكون بعض الألفاظ وقفا من الله سبحانه وتعالى، وقد يكون بعضها اصطلاحا، وقد تكون نتيجة للعادات و التقاليد، أمّــا علاقة الاشتقاق فهي نتيجة للاتّفاق والتّواضع كما تعتبر " ظاهرة دراسية تجمع في اللّغة ألفاظا ودلالات " [8 ص1 .

فالاشتقاق بأنواعه الثّلاثة الصّغيـــر والكبيـــر والأكبر يعمل على إثراء اللّغة وإنـــمائها بالمفردات الـــمتنوعة حتى تكون أداة للتعبير و وعاء للفكر و معرضا للأحاسيس و الانفعالات " [8 ص1ز .
ومن المتحمّسين لفكرة مناسبة الأصوات لمعانيها صبحي الصالح من خلال كتابه دراسات فقه اللّغة " حيث خصّص لها بابا ذكر فيه أنّ القدماء " عرفوا أنّ لكلّ حرف صوته صفة ومخرجا مثلما عرفوا له إيـــحاءه دلالة ومعنى " [17 ص41 -42 .

ثمّ واصل قائلا : "... فكلّ حرف منها يستقلّ ببيان معنى خـــاص ما دام لم يستقلّ بإحداث صوت معيّن، وكلّ حرف له ظلّ وإشعاع، إذ كان لكلّ حرف صدى وإيقاع " [17 ص42 .
ثم عرض لأمثلة تناولها ابن جني في الخصائص رأى بأنّ الصلة متحققة بينها وبين معانيها مع مراعاته لدلالة الصوت في حالة الإفراد من جهة و في حالة التركيب من جهة أخرى كما استعان بما جاء به السيوطي من أقوال جمهرة العلماء ليخلص إلى أنّ ابن جني كان على صواب حين قال بأنّه لا بدّ من الاقتناع بهذه الظاهرة اللّغوية التي تعدّ فتحا مبينا في فقه اللّغات عامّة " [17 ص51 .

ثم نجد مـــحمد المبارك من المؤيدين لفكرة العلاقة بين الصوت و الدلالة فهو يرى بأنّ الحرف إن لم يدلّ بصوته على المعنى قطعا فهو يوحي به على الأقلّ وهذا يبدو واضحا من خلال قول : ' ونستطيع أن نقول في غير تردّد إنّ للحرف في اللّغة العربية إيحاءً خاصا ، فهو إن لم يدلّ دلالة قاطعة على المعنى يدلّ دلالة اتجاه و إيحاء و يثير في النفس جوا يهيئ لقبول المعنى و يوجّه إليه ويوحي به " [16 ص61 .

ثم يعرض بعض مظاهر الدلالة الصوتية وهي دلالة الأصوات الطبيعية والأصوات الأبجدية والأوزان بيّن فيها أنّ الصلة ثابتة بين الأصوات ومدلولاتها و أنّ " للحرف قيمة دلالية ووظيفية في تكوين المعنى و تحديده هي في العربية أظهر و أوضح منها في اللّغات الأخرى " [16 ي ص76 .

ومن المؤيدين للعلاقة بين الصوت و الدلالة . جعفر دك الباب و نلمس ذلك من خلال عرضه لآراء بعض العلماء المحدثين مثل زكي الأرسوزي و عبد الحق فاضل حيث يرى كلّ منهما وجـــود علاقة طبيعية بين أصوات اللّغة وأصوات الطبيعة عن طريق المحاكاة مـــما يعكس طور محاكاة الإنسان القديم لأصوات الحيوان و الطبيعة و بالتالي يؤكّد على بدائية نشأة اللّسان العربي [46] .

نجد أيضا . عمار ساسي فبعد أن يعرض بعض الأمثلة التي جاء بـــها ابن جني في هذا الشأن يخلص إلى أنّ " للصوت دلالـــة ثابتة ومعنى قار هو باق معه و ملازم له ملازمة الـــرّوح للجسد في

حالـــة الإفـــراد وتتقوى و تستحكم في حالة التركيب " [8 ص3ز ، ثم يؤكّد على أنّ ' أصوات العربية كلّها تحمل دلالتها الثابتة أي في حالة الوصل أي عند التبليغ " [8 ص3ز .

و من الذيـــن برزوا بقوّة في توضيح العلاقة بين الصوت و الدلالة حسن عباس الذي تعدى ذلك إلى وجود علاقة بين أصوات الـــحروف والحواس الخمسة و المشاعر الإنسانية و هذا من خلال كتابه خصائص الحروف العربية ومعانيها ، حيث عرض الأمثلة التي جاء بها ابن جني في الخصائص مبينا الأخطـــاء التي وقع فيها كاعتباره العين أخت الهمزة في عسف) و ا أسف) و قال بأنّه لا أخوة بينهما لأنّ العين حرف شعوري أمّا الهمزة فهي حرف بصري، ثمّ تحدّث عن مناهج بعض المـــحدثين في كتبهم كالأستاذ العلا يلي و الأرسوزي ثمّ عرض منهجه هو في استيحاء معاني الـــحروف والذي يلخّصه في مرحلتين نذكرهما باختصار :
المرحلة الأولى : يتأمل فيهـــا صدى الصوت في نفسه بعد تفخيـــمه، ثم يسلّط عليه مختلف المشـــاعر الإنسانية و الحواس الخمسة فيتحرى بذلك مختلف خصائصه الحسيّة ثم الشعوريّ .
المرحلة الثاني : استخراج المصادر التي تبدأ بكلّ حرف مع معـــانيها سواء كان قويا أم ضعيفا، ثـــمّ استخراج المصادر التي تنتهي بهذا الحرف، ثمّ مقارنة معنى كلّ منهما ليصل إلى أنّ تأثيـــر الحروف في معاني المصادر يختلف حسب مواقعه منها [47].

و من المعارضين لفكرة العلاقة بين الصوت والدلالة نجد عبده الراجحي في كتابه " فقه اللّغة ' حيث نـــاقش فيه آراء اللّغويين القدامى كالـــخليل و سيبويه و ابن جني و بعض الـــمحدثين مثل صبحي الصالح و هذا في قوله : ' غير أنّ اقتناع ابن جني بهذا الرّأي وإعجاب صبحي الصالح به لا يمنع من من التّأكيد على أنّ أهل اللّغة بوجه عام يطبقون على رفضه، ويرون أنّه ليس هناك مناسبة بين اللّفظ ومدلوله وليست هناك علاقة بين الرمز والشيء الذي يرمز إليه [19 ص8ز .

و من المعارضين أيضا مـــحمود فهمي الـــحجازي الذي يؤكّد على أنّ العلاقة بين اللّفظ و مدلوله اصطلاحية و ليست طبيعية من خلال كتابه " مدخل إلى علم اللّغة " حيث يقول في هذا الشأن :" إنّ الرموز اللّغوية لا تحمل قيمة ذاتية طبيـــعية ترتبط بمدلولها في الواقع الخارجي، فليست هناك أيّة علاقة بين كلمة حصان) ومكوّنات جسم الـــحصان و العلاقة كامنة فقط عند الـــجماعة الإنسانية التي اصطلحت على استخدام هذه الكلمة اســـما لذلك الحيوان ، و معنى هذا أنّ قيمة الرموز اللّغوية تقـــوم على العرف أي على ذلك الاتّفاق الكـــائن بين الأطراف التي تستخدمها في التعـــامل " [48 ص1 .
و بهذا فهو ينفي الدلالة الذاتية قطعيا ويؤكّد أنّ العـــلاقة بين اللّفظ و مدلوله تكون بالعرف والمواضعة والاصطلاح من قبل مستعملي اللّغة، و ممن أخذ بهذا الرأي أيضا تمام حسان فبعد مناقشته لكيفية اكتساب اللّفظ معناه يـــختم حديثه بالتأكيد على أنّ " العلاقة بين الكلمات وبين معانيـــها محدّدة بالاستعمال و مدوّنة في الـــمعجم " [6 ص27 .

أمّـــا . إبراهيم أنيس فإنّه يقف موقفا وسطا بين الـــمؤيّدين لفكرة العلاقة بين الأصوات ومدلولاتها و بين المعارضين لها و هذا يتبيّن لنا من خلال كتابه " من أسرار اللّغة " بقولـــ :
" ... ونحن حين نتّخذ طريقا معتدلا بين هؤلاء و هؤلاء ندرك كلّ الإدراك أنّ في اللّغة معاني تتطلّب أصواتا خاصة، وأنّ هناك من المدلولات ما تسارع اللّغة للتعبير عنه بألفاظ معيّنة وربّما كان من العسير حصر تلك المجالات اللّغوية التي نلحظ فيها وثوق الصلة بين الأصوات و المدلولات " [48] ص45 . ثمّ حـــاول إيجاد بعض النواحي أو بعض المواضيع التي يكون فيها الصلة بين الأصوات ومدلـــولاتها واضحة منها :

" أولا : حين تكون أصوات الكلمة نتيجة لتقليد مباشر لأصوت صادرة عن الإنسان أو الـــحيوان أو الأشيا . ثانيا : نشوء الكلمة للتعبـــير عن مصدر الصوت الطبيعي في الوقت الذي تكـــون فيه مشتقة من هذا الصوت؛ كتسمية بعض الأوربـــيين لطـــائر يظهر في الربيع باسم (كوكو) لأنّه يصدر هذا الصوت ثم صارت تطلقه على الطائر نفسه لا على صوت . ثالثا : حركات الإنسان وما ينشأ عنها من أصوات قد توحي بنوع من الكلمات ..." [48 ص46 .

من خلال عرضنا لآراء القدامى والمـــحدثين لفكرة العلاقة بين الأصوات ومدلولاتها ما بين مؤيّد لها و معارض نتوصّل إلى النتائج التالية :

. – لا يمكننا نكران فكرة العلاقة بين الصوت و الدلالة نظرا لأنّ اللّغة العربية تحوي كثيرا من مظاهر الدلالة الصوتية و هذا لتميّزها بعدّة خصائص منه : سعة مدارجها الصوتية التي تتوزّع على تسعـــة وعشرين حرفا بينما في الفرنسية مثلا ستة وعشرون حرفا، ووجود صيغ صرفية تحمل دلالات معيّن مثل صيغة افعوعل التي تدلّ على التأكيد و المبالغة وصيغة فعلان التي تدلّ على الحركة والاضطراب .

. – ما يؤكّد على فكرة العلاقة بين الصوت والدلالة هو الـــخطاب القرآني الذي يوجد به عدد هائل من ألفاظها منها (مقتدر) التي هي أبلغ من قادر، و غفّار) التي هي أبلغ من غافر، والـــمتدبّر لآيات القرآن الكريم يجد الكثير من الأمثلة .

. – رغم أنّ ابن جني قد شرح نظريته الصوتية بوجه عـــام غير أنّه لـــم يخرج منها إلى نظرية واضحة لأنّه رأى بأنّ بعض الألفاظ يصعب فيها تلمس العلاقة بين أصواتها و دلالتها فقـــال في هذا الشأن : " فإن أنت رأيت شيئا من هذا النحو لا ينقاد لك فيما رسمناه ... فأحد أمرين : إمّا أن تكون لم تنعم النظر فيه فيقعد بك فكرك عنه، أو لأنّ لهذه اللّغة أصولا و أوائل قد تخفى عنّا و تقصر أسبابها دوننا ، أو أنّ الأول وصل إليه علم لـــم يصل إلـــى الآخـــر " [38] . /13 .

. – ضرورة إعادة النظر في بعض الأحكام التي أطلقها المحدثون في ما يتعلّق بدلالة بعض الأصوات كإشارتهم إلى أنّ الغين تدلّ على الخفاء أو الغور مثل : غياب، غرور، غفلة، غفوة، غدر، غل ... هي إشارات ذكيّة لكنّها لا تنطبق على بعض الألفاظ مثل : غدير، غذاء، غسيل، غنا ... فهي تحمل دلالة الظهور، فقد حمل الغين دلالتين متضادّتين و هذا أمر يصعب تصوّر .

. – ضرورة التفريق بين القيمة التعبيرية للصوت و دلالة الصوت؛ فالأولى متغيّرة تعود إلى طبيعة الأصوات نفسها و تتغيّر مع ما يتألّف معها في البنية الصوتية للفظة كقولنا (سطع) و (صطع) ؛ فالسين و الصاد يتّفقان في الهمس والصفير والرخاوة ولكنّهما لا يتّحدان في الإطباق، فكلّ من السين و الصاد له خصائص تميّزه عن غيره في السّمع، أمّا دلالة الصوت فهي ساكنة و ثابتة ينفرد بها كلّ صوت عن غيره كدلالة صوت الخاء في (ينضخ) على القوّة والعنف ودلالة الحاء في (ينضح) على التؤدة و البط .

. – كلّ زيادة في قوّة الصوت وجهره تستلزم قوّة في الدلالة و ارتقاء في المعنى و هذه واحدة من أبرز الخصائص الصوتية للغتنا العربية، كما أنّ اختلاف الأصوات قوّة وضعفا و تباين أجراسها و رنّاتها يؤدي إلى اختلاف الألفاظ التي تكون فيها من حيث وقعها على السّمع، ومن حيث دورها في أداء الدلالة فالأصوات القويّة تناسب مواقع الشّدة و الزّجرو التعنيف و غيرها، أمّا الأصوات اللّينة الهادئة فهي تناسب حالات الرّخاء و الهدوء و الارتياح و غيره .

و بما أنّ موضوعنا ينصب حول الخطاب القرآني نتساءل في هذا المقام عن دلالة مصطلح الصوت في الخطاب القرآني، وهل تختلف عن دلالته في غير القرآن – أي كما عرّفه علماء الأصوا – .

1.3.2 دلالة الصوت اللّغوي في الفواصل القرآنية

إنّ المتدبّر لسور القرآن الكريم يتبيّن له أنّ مصطلح صوت » قد ورد ثماني مرّات في خمس مواضع من الآيات الكريمات في أربع سور هي : سورة الإسراء ، سورة طه ، سورة لقمان ، سورة الحجرات، وهذه الآيات هي :

– قال الله تعالى : ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ ﴾ [11] (64).

– قال الله تعالى : ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَـٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ [73] (108).

- قال الله تعالى : ﴿ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾ [48] (9).

- قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ [76] (1).

- قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ ﴾ [76] (1).

ورد مصطلح صوت في سورة الإسراء من الآية (64) بصيغة المخاطب و هو الشيطان حيث خاطبه الله سبحانه عزّ وجلّ قائلا له : " واستفزز من استطعت منهم بصوتك " ورد في تفسير هذه الآية " هو تجسيم لوسائل الغواية و الإحاطة و الاستيلاء على القلوب والمشاعر والعقول فهي المعركة الصاخبة تستعمل فيها الأصوات والخيل والرجل على طريقة المعارك والمبارزات ، يرسل فيها الصوت فيزعج الخصوم ويخرجهم من مراكزهم الحصينة أو يستدرجهم للفخ المنصوب والمكيدة المدبّرة؛ فإذا استدرجوا إلى العراء أخذهم الخيل وأحاطت بهم الرجال " [49] 5/2391 .

من كلّ ذلك يتّضح لنا بأنّ الصوت هو مصدر إزعاج من الشيطان،و هذا ما ورد أيضا عند الأصفهاني الذي قال في استفزز بمعنى " أزعج " [ص381 ، أمّا ابن الملقّن فقال في معنى استفزز أي " استخفف عقل من قدرت على إغوائ " [50 ص2091 ، و قال في " بصوتك أي بدعوتك " [50 ص2091 ، فإن أردنا التوفيق بين المعنيين يكون معنى الآية : أزعج واستخفف عقل من قدرت على إغوائه بدعوتك لهم إلى الشرك . من كلّ ذلك يتبيّن لنا بأنّ الصوت هو مصدر إزعاج واستخفاف واستفزاز .

ورد مصطلح صوت في سورة طه من الآية (108) بصيغة الجمع أي الأصوات و قد ورد في تفسير خشعت الأصوات " خشع من الخشوع وهي الضراعة و أكثر ما استعمل فيها و هي في القلب، ولذلك فيما روي إذا ضرع القلب خشعت الجوارح " [ص1367 .
أمّا الهمس فهو " الصوت الخفي أو صوت الأقدام للمشي إلى الدّاعي وهو إسرافيل " [50 ص2091 .
و كما روي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنّ الهمس هو تحريك الشفاه بغير نطق [50 ص2091 ، كما ورد عن الزمخشري في تفسير هذه الآية " أي خفضت الأصوات من شدّة الفزع و خفتت " [151] 3/414 .

فمصطلح صوت في هذه الآية يشمل جميع الأصوات أي صوت الإنسان أو صوت الرّيح أو صوت الحيوان ... و كلّها منخفضة و ضارعة إلى الله سبحانه و تعالى من هول الموقف فلا يُسمع إلاّ صوت الأقدام الماشية إلى المحشر .
ورد مصطلح صوت ثلاث مرات في سورة لقمان من الآية (19) فهذه الآية تتضمن وعضا من الرجل الحكيم لقمان – عليه السلام – لابنه قائلا له " و اغضض من صوتك " فكانت صوت

الأولى بصيغة المخاطب وهو الابن الذي أوصاه والده بغض صوته، والغض هو ' النقصان من الطرف و الصوت و ما في الإنـــاء " [ص63؛ . وفي الآية بمعنى ' اخفض بغَض صوتك و لا ترفعه " [50 ص03؛ . أو كما قـــال الزمخشري : ' انقص من صوتك أو اقصر من صوتك " [1ز] ز /0؛ .

و يعود السبب في غض الصوت عند الكلام إلى أنّ " فيه أدب و ثقة في النّفس واطمئنان إلى صدق الحديث و قوّته " [49] 1؛ /790؛ . فمصطلح صوت في هذا الموضع يقصد به الصوت الإنســاني الذي خُصّ بالغضّ و عدم رفعــ . أمّا الشق الثاني من الآية و هو قوله تعالى : ' إنّ أنكر الأصوات لصوت الحمير ' فأنكر الأصوات أي " أقبحه " [50 ص03؛ ، و" أوحشها من قولك شيء نكِــر إذا أنكرتـــه النفوس و استوحشت منه ونفرت " [1ز] ز /0 -1؛ .

وأمّـــا ما جـــاء في معنى قوله لصوت الـــحمير ' فيقع الصوت من الآدمي كذلك إلاّ فيما أمـــر أن يرفع صوته كالأذان ونـــحوه " [50] 03، ، و أمّا عن تخصيص الـــحمار عن غيره من الـــحيوانات الأخرى " فهو مثل في الذّم البليغ والشتيمة و كذلك نهاقه ... فتشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير و تمثيل أصواتهم بالنـــهاق ... و أن جُعِلوا حميرا و صوتهم نهاقا مبالغة شديدة في الذّم و التهجين و إفراط في التثـــبيط عن رفع الصوت و الترغيب عنه، و تنبيه على أنّه من كراهة الله بـــما كان [فإن قلت] لـــِمَ و حّد صوت الحمار ولم يـــجمع [قلت] ليس المراد أن يذكر صوت كلّ واحد من آحاد هذا الـــجنس حتى يجمع، و إنّما المراد أنّ كلّ جنس من الحيوان الناطق له صوت و أنكر أصوات الأجناس صوت هذا الـــجنس فوجب توحـــيده " [1ز] ز /1؛ .

فالصوت في هذا الـــموضع قد خُصّ بالنهي عن عدم رفعه وغضه " لكونه أعمّ من النطق والكلام، و يجوز أنّه خصّه لأنّ المكروه رفع الصوت فوقه لا رفع الكلام " [ص92؛ . فمصطلح صوت هنا يدلّ على الصوت الصادر عن جهاز النطق للإنسان وهو صوت اختياري يصدر بطواعية عن الإنسان أو يدل على الصوت الصادر عن جهاز النطق للحيوان وهو صوت غير اختياري .

، كما ورد مصطلح صوت في الآية رقم (2) من سورة الـــحجرات بصيغة الجمع للمخَاطب و هم المؤمنون وقد نهاهم الله سبحانه عزّ وجلّ عن رفع أصواتهم عند الكلام مع النبي – عليه السلا – يقول الزّمخشري في هذا الشأن : " والـــمراد بقوله لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي أنّه إذا نطق ونطقتم فعليك ألاّ تبلغوا بأصواتكم وراء الـــحدّ الذي يبلغه بصوته وأن تغضوا منها بـــحيث يكـــون كلامه عاليا لـــكلامكم وجهره بـــاهرا لصوتكم حتى تكـــون عليكم لائحة وسابقـــته واضحة " [1ز] ز /2 .

فهذا أدب أدّب الله به المؤمنين ألاّ يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي – عليه الصلاة والسلا – و قد روي أنّها نزت في الشيخين أبـــو بكر وعمر · رضي الله عنهم – فقال أبو بكر : يا رســـول الله؛ و الله لا أكلّمك إلاّ كأخي السرار [ز] ا /59 -60؛ .

أمـــّا في الآية رقم (١) من السورة نفسها فقد ورد مصطلح صوت بصيغة الجمع للغائب و هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لأنّهم يغضون من أصواتهم أي ' يخفضون و قيل يخفون وقيل يحبسون " [50 ص393 ، وهذا يدلّ على حرص الصحابة – رضوان الله عليهم – للعمل بـــما جاء في القرآن الكريم فيخفضون من أصواتهم فكان جزاؤهم الـــجنة [51 ص91 –92؛ .

1.3.2 دلالـــة الصوت اللّغوي في فواتح السور

لقد وجّـــه القرآن الكريم اهتمام العرب ولفت نظرهم إلى ضرورة الإفادة من الزخم الصوتي في اللّغة العـــربية وهو يستهلّ بعض السور القرآنية بجملة محدّدة من الحـــروف الهجائية، وقد استفتح تســـع وعشرون سورة بـــحروف الهجاء المقطّعة و عددها أربعة عشر حرفا و هي : الألف، اللاّم، الـــميم، الصّاد، الرّاء، الكاف، الهاء، الياء، العين، الطّاء، السّين، الحاء، القاف و النّون، و يمكن حصرها على النحو الآتـــي :

– الفواتح البسيط : وهي المؤلّفة من حرف واحد وعددها ثلاثة و هي موزعة على ثلاث سور هي : ص في سور ص ، وق في سورة ق ، ون في سورة القلم .

– الفواتح المؤلّفة مثنى مثنى : وعددها عشرة؛ سبعة منها متماثلة ســـميت بالـــحوا ميم وهي مؤلفة من حرفين هما الـــحاء و الـــميم وُزِّعت على سبع سور هي الأحقاف، الجاثية، الدخان، الزخرف، فصلت، غافر، أمّا الســـابعة فهي مضمومة إلى عسق) فأصبحت حمعسق) وهي سورة الشورى، وثلاث منها غير متماثلة هي يس في سورة يس) و طه في سورة طه) و طس في سورة (النمل .

– الفواتح الـــمؤلّفة من أربعة أحرف و عددها اثنان موزّعة على سورتين هما ألـــمص في سورة الأعراف) وألـــمر في سورة الـــرعد .

– الفاتحة المؤلّفة من خـــمس حروف هي و هي كهيـــعـــص في سورة مـــريـــم .

وبهذا يكون مـــجموع هذه السور هو تسع وعشرون سورة وعدد الأحرف الـــموزعة عليها أربعة عشر حرفا، و قد اهتمّ علماء الإعجاز القرآني بالتصنيف الصوتي لـــهذه الـــحروف في فواتح هذه السور وبيان أسرارها التركيبية ودلائـــلها الصوتية وعلى رأسهم القاضي أبو بكر الباقلاني الذي قال في هذا الشأن : ' إنّ الـــحروف التي بني عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفا وعدد السور التي افتتح فيها بذكر الـــحروف ثماني وعشرون سورة وجـــملة ما ذكر من هذه الـــحروف في أوائل السور من حروف الـــمعجم نصف الـــجملة؛ و هو أربعة عشر حرفا ليدلّ بالمذكور على غيره والذي تنقسم إليه هذه الـــحروف أقسام : فمن ذلك قسّموها إلى حروف مهموسة وأخرى مـــجهورة ... وقد عرفنا أنّ نصف الحروف المهموسة مذكورة في جـــملة الحروف المذكورة في أوائل السور و كذلك نصف الحروف المـــجهورة على السواء لا زيادة و لا نقصان [10 ص6 –8؛ .

يتبيّن لنا أنّ الباقلاني قارن عدد حروف الـــمعجم بعدد حروف السور المفتـــتحة بها، ويشير إلى أنّ نصف الحروف المـــجهورة و الـــمهموسة مقســـوم على السواء بين حروف هذه الفواتح القرآنية ،

ثــمّ ينتقل إلى تفصيل آخر هو أنّ نصف حروف الحلق **ع، ح، ء، هــ، خ،غ**) مذكور في جملة هذه الحروف وهي **ع، ح، هــ**) و كذلك نصف عدد الحروف التي ليست من حروف الــحلق مذكور في جــملة هذه الحروف، وأنّ نصف الحــروف الشديدة (**ء، ق، ك،ج، ت، د، ط، ب**) مذكور في جــملة هذه الحروف والمذكور هو (**ط، ق، ك، ء**) وأنّ نصف الحروف المطبقة و هي **ط، ظ، ص، ض**) مذكور في جــملة هذه الــحروف و المذكور هو **ص،د**) [10 ص8ر .

و الذي نــخلص إليه من كلّ ذلك هو اشتمال فواتح السور القرآنية المبدوءة بالحروف الهجائية على نصف تقسيمات أصناف الــحروف جاءت على النحو الآتي :

- نصف الحروف الــمجهور .
- نصف الحروف الــمهموس .
- نصف حــروف الــحلق .
- نصف حروف غير الــحلق .
- نصف الــحروف الشديد .
- نصف الــحروف الــمطبق .

وهذا التصنيف يمثّل بُعدا استقرائيا في حصر أوائل السور ذات الحروف الهجائية المــقطعة على أساس المخارج، ثمّ يضيف إلى ذلك تصورا صوتيا منظما ويعلّل استعمال بعض الحروف دون سواها للتأكيدعلى المناخ الصوتي المتميّز في وضع الحروف بموقعها الــمناسب بحسب تسلسلها في النّــطق مرتبّة في جهاز النطق من مبدئه إلى منتهاه؛ فأوّل سورة قرآنية ضمن ترتيب الــمصحف الشريف و هي البقرة بدأت بفاتحة مؤلّفة من ثــلاثة أحرف هي (ألــم) قدّم لنا الباقلاني تعليلا صوتيا لها هو : " لأنّ الألف المبدوءة بها أقصاها مطلقا واللاّم متوسطة والميم متطرّفة لأنهّا تأخذ في الشفة فنبّه بذكرها على غيرها من الحروف، و بيّن أنّه إنّما أتاهم بكلام منظوم ممّا يتعارفون من الحروف التي تردّد بين بين هذين الطرفين " [10 ص8 –9ر .

و جاء الزمخشري بعد الباقلاني فأفــاض في تعقّب هذه الوجوه و زاد عليه توسّعا وفصّل فيه فقــال : اعلم أنّك إذا تأملت مــا أورده الله عزّ سلطانه من هذه الفــواتح من هذه وجدتها نصف أســامي حروف المعجم أربع عشر سواء و هي : الألف و اللاّم و الميم والصّاد و الرّاء و الكاف و الهاء و الياء و العين و الطّاء والسّين و الحاء و القاف و النّون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم، ثمّ إذا نظرت في هذه الأربعة عشر وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف " [51ر] /10 . والملاحظ من كلامه أنّه في البداية جعل حروف المعجم ثمانية وعشرون، ثــمّ نصّ على أنّ عددها تسعة وعشرون حرفا ممــّا قد يبدو لنا متناقضا و الأمر ليس كذلك و إنّما الألف عندهم رسم يتناول جزأين من الــحروف هما رسم (ا) و ء) أي المدّة والهمزة، لهذا قالوا الألف إمّــا ساكنة و إمّــا متحركة فالأولى هي المدّة والثانية هي الهمزة، فأطلق الرّسم الأول على الألف الليّنة أمّــا الرسم الثاني فقد أطلق على الهمزة، و قد نبّه الزمــخشري إلى ذلك فقال :

" و الهمزة و الألف حرف واحد عند الفقهاء و حرفان في عرف العامة " [51ر] /01 .

وسواء أكانا حرفا أم حرفين فهما صوتان . كما استدرك الزمخشري على الباقلاني في تقسيمه لأنصاف الحروف الواردة في فواتح السور :

- الـــحروف الرخوة و هي **(ل، م، ر، ص، هـــ ، ع، س، ح، ي، ن)**
- الـــحروف المنفتحة و هي **(ا، ل، م، ر، ك، هـــ، ع، س، ح، ق، ي، ن)**
- الـــحروف المستعلية و هي **ا ق، ص، ط)**
- الـــحروف المنخفضة و هي **(ا، ل، م، رن ك، هـــ ،ي، س، ح، ن)**
- حـــروف القـــلقلـــة و هي **ق، د)**

وكلّها داخلة عند الباقلاني في جملة حروف الـــحلق وغير الـــحلق إلاّ أنّ الزمخشري ترك الإجـــمال واتّجه إلى التفصيل [1ذ] . /01 ، و بعد هذا التقسيم ذكر حكمة هذا التركيب قائلا :

" ثمّ إذا استقريت الكلم وتراكيبها ورأيت الحروف التي ألغى الله ذكرها من هذه الأجناس المعدودة مكثورة بالمذكور منها، فسبحان الذي دقّت في كلّ شيء حكمته وقد علمت أنّ معظم الشيء وجلّه ينزل منـــزلة كلّه، وهو المطابق للِطائف التنزيل واختصاراته فكأنّ الله عزّ اسمـــه عدّد على العرب الألفاظ التي منها تراكيب كلامهم " [1ذ] . /01 .

ثمّ رصد مواطن استعمال هذه الأصوات وكثرتها بحسب الـــجاري على ألسنة العرب، وفائدة التكرار في جملة منها و مسألة تفريقها على السّور دون جمعها في أول القرآن و الحكمة من ذلك :

" و ممّا يدلّ على أنّه تعمّد بالذكر من حروف المعجم أكثرها وقوعا في تراكيـــب الكلم ؛ أنّ الألف و اللاّم لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا هذه الفواتح مكرّرتين و هي فواتح ســـورة البقرة و آل عمران والرّوم والعنكبوت ولقمان والسجدة و الأعراف و الرعد و يونس وإبراهيم وهود ويوسف و الحجر [فإن قلت : فهلا عددت بأجمعها في أول القرآن ومـــا لها جاءت مفرقة على السور ؟ قلت] لأنّ إعادة التنبيه على أنّ التّحدي به مؤلّف منها لا غير، و تجديده في غير موضع واحد أوصل إلى الغرض وأقوله في الأســـماع و القلوب من أن يفرد ذكره مرة و كذلك مذهب كلّ تكـــرير جاء في القرآن فمطلوب بـــه تـــمكين الـــمكرّر في النفوس و تقريره " [1ذ] . /01 .

أمّا عن سبب اختلاف أعداد حروفها فإنّ " هذا على عادة افتنانهم في أساليب الكلام و تصرّفهم فيه على طرق شتى و مذاهب متنوعة، و كما أنّ أبنية كلماتهم على حرف وحرفين إلى خـــمسة أحرف لـــم تتجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح ذلك الـــمسلك " [1ذ] . /01 .

ثـــمّ جـــاء الزركشي و وقف على الصدى الصوتي للحروف المقطعة في فواتح السور و وقف عند ما ابتدئ بـــه بثلاثة أحرف و اعتبر ذلك سرّا صوتيا بارزا علّله بقولـــ :

2.4 الصوت اللّغوي في الفواصل القرآنية

إنّ المصغي لتلاوة القرآن الكريم تطرق أسماعه أصوات منظومة نظما موسيقيا فتصدر إيقاعا صوتيا بارزا يحدث تأثيرا في النّفس؛ إنّها الفاصلة القرآنية .
فما هي الفاصلة القرآنية؟ ولماذا سميت كذلك؟ وكيف تحدث ذلك الإيقاع الذي يثير النفوس؟

4.2. مصطلح الفاصلة في القرآن الكريم

1.4.2. الفاصلة لغة

مأخوذة من : الفصل وهو بون ما بين الشيئين، و الفصل من الجسد موضع المفصل، و الفصل الحاجز بين الشيئين، و بين كلّ فصلين وصل، والفصل القضاء بين الحقّ والباطل ... والفواصل جمع واحدتها فاصلة " [1] 1 /18 .

2.1.4.2 اصطلاحا

عرّفها الزركشي بأنّها " كلمة أواخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع في النثر خلافا لأبي عمرو الداني الذي اعتبرها كلمة آخر الجملة " [5] 3/ .
والملاحظ أنّ تعريف الزركشي أوضح من تعريف أبي عمرو لأنّ الآية قد تشتمل على عدّة جمل وليست آخر كلّ آية فاصلة لها، بل الفاصلة كما أورد الزركشي هي آخر كلمة في الآية لنتعرّف بعدها على بدء الآية الموالية للآية التي سبقتها، وهذا يتناسب والتعريف اللّغوي القائل بالفصل ما بين الشيئين فالفاصلة القرآنية تفصل ما بين الآيتين .

و الواضح من تشبيه القدماء للفاصلة القرآنية بقافية الشعر أو قرينة النثر محاولة توجيه النّظر إلى الجرس الصوتي و الملائمة اللّفظية أكثر من لفت الانتباه إلى المواءمة الدلالية و الارتباط العضوي بين مضمون الآيات وخواتيمها، و لكن هذا غير صحيح مطلقا لأنّ بعض القدماء قد لاحظوا في الفواصل تبعيتها للمعاني بخلاف الأسجاع التي تتبع المعاني فيها الألفاظ [54 ص32 .
هذا وقد أطلق الفراء عليها أربعة أسماء هي : الفواصل ،رؤوس الآيات، آخر الآيات، أواخر الحروف [55] 6/ -4 .

أمّا أبو عمرو الداني فقد فرّق بين الفواصل ورؤوس الآي بقوله :
" فأما الفاصلة فهي الكلام المنفصل عمّا بعده والكلام المنفصل قد يكون رأس آي وغيرها، وكلّ رأس آية فاصلة وليست كلّ فاصلة رأس آية، فالفاصلة تعمّ النوعين وتجمع الضربين " [56] ص23 . و تقع الفاصل عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يباين بها القرآن بها سائر الكلام وتسمى فواصل لأنّ ينفصل عندها الكلامان وذلك أنّ آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها [5] 4/ -5 .

وهذا ما أكّده لنا القاضي الباقلاني عند توضيحه لمفهوم الفواصل بقول : ' الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعنى " [57 ص9 ، و ذلك لأنّ " تشاكل المقاطع يحسّن النظم تحسينا بليغا إذا كانت الحروف المتشاكلة في المقاطع لم يُتكلّف إحضارها، ولم تُجعل المعاني تبعا لها لما في التشاكل والتشابه من العذوبة " [58 ص00 . كما أنّ المشاكلة " تتضمن مع ما فيه من الحسن ضربا من البيان؛ و هو أنّ الكلام إذا كان ذا فواصل تبيّنت مقاطعه و إن كان المتكلّم به لا يقف عن مقاطعه و لا يفصل من كلامه الأول وكلامه الثاني، وفي الوقوف على المقاطع ما فيه من سرعة الفهم لما يتضمّنه الكلام المنفصل " [58 ص00 .

أمّـــا عن تعليل تسميتها بالفواصل فهو كما قيل مأخوذ من قوله تعالى :

﴿ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [59] (؛).

وقد قال بهذا الـــرّأي بهاء الدين السبكي [5( ] /5؛ ، كما قيل إنّها مأخوذة من قوله تعالى :

﴿ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ ﴾ [60] (7؛ و8( ). وقال بهذا الرأي العلامة عبد الرحمن بن خلدون

[61 ص1. . كما وجد رأي ثالث يقول بأنّ بأنّه مأخوذ من قوله تعالى :

﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَأَعۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ ﴾ [59] (4؛).

وذهب . أحـــمد أحـــمد بدوي إلى أنّ سبب اختيار هذه الآية هو أنّ بـــها يتمّ بيان المعنى ويزداد جلاء وقوة وهذا لأنّ التفصيل فيه ذاك [61 ص1 -2. .

4.2؛ بين الفاصلة و السجعة

نشأ خلاف بين العلماء حول إطلاق تسمية السّـــجع على الفواصل القرآنية وصارت قضـــيّة " ما لبثت أن دخلت معترك الجدل الكلامي بين الفرق الإسلامية فارتبطت بقضيّة الإعجاز بالنظم وبدأت تستقلّ بمباحث منفردة " [62 ص45؛ .

فظهر المؤيّـــدون الذين يرون بجواز إطلاق السجع على الفواصل نظرا لما ورد في القرآن الكريم من تناسق حروف الروي والإيقاع، نذكر منه : الفرّاء، ابن سنان الخفاجي، أبو هلال العسكري، ضياء الدين ابن الأثـــير . فقد أظهر العسكري رأيه في الازدواج في القرآن الكريم و ذهب إلى أنّ منثور الكلام لا يحسن ولا يـــحلو حتى يكون مزدوجا ولا تكاد تـــجد لبليغ كلاما يخلو منه، ولو استغنى كلام عنه لكان القرآن لأنّه في نظمه خارج عن كلام الـــخلق، وقد كثر الازدواج فيه حتى حـــصل في أوساط الآيات فضلا عمّا تزاوج في الفواصل منه [63 ص85؛ .

ويقصد بالازدواج اتّفاق فاصلين أو أكثر في الحرف الأخير أو الحرفين الأخيرين كقوله تعالى :

﴿ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ﴾ [164] (7-8) أمّا عن السجع فلم يعلن عن موقفه صراحة من وجوده ولكنه يتبين لنا من كلامه عنه بقول : "... كذلك جميع ما في القرآن ممّا يجري على التسجيع والازدواج مخالف في تمكين المعنى وصفاء اللّفظ ... ألا ترى في قوله عزّ اسمه

﴿ وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ﴿١﴾ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ﴿٢﴾ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ﴿٣﴾ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ﴿٤﴾

فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ﴾ [165] (1-5) قد بـــان عن جميع أقسامهم الجـــارية هذا المجرى مثل قول الكاهن : ' والسمـــاء والأرض، والقرض والفرض، والغمر والبرض " ومثل هذا السجع مذموم لما فيه من التكلّف والتعسّف [63 ص85. - 86؛ .

كما أيّد موقفه بأنّ النبي - صلى الله عليه وسلّم - كره سجع الكهان لما فيه من التكلّف فلو أنّه كره السجع لكونه سجعا لقال : أسجعا ثمّ سكت، و استنكر أن يكرهه و يذمّه، و هو إذا كان سليـــما من التكلّف أحسن أنواع الكلام [63 ص86. - 87؛ .

أمّا ابن سنان الخفاجي فقد دافع هو الآخر عن وجود السجع في القرآن الكريم عند حديثه عن المناسبة بين الألفاظ في الصيغ ، و جعل هذه المنـــاسبة من شروط الفصاحة فقد استهلّ حديثه بتعريف السجع قائلا : ' هو تماثل الحروف في مقـــاطع الكـــلام " [42 ص63. ثـــمّ انتقل إلى اختلاف الناس فيه بين مستحسن له و كاره ، فكانت " حجة من يكرهه أنّه ربّما وقع بتكلّف واستكراه فأذهب طلاوة الكلام وأزال ماءه، وحجة من يختاره أنّه مناسبة بين الألفاظ يـــحسّنها و يظهر أثـــر الصنعة فيها و لولا ذلك لم يرد في كلام الله تعالى وكلام النبي صلى الله عليه وسلم والفصيح من كلام العرب [42 ص63. .

ثمّ أورد رأي علي بن عيسى الرماني القائل بأنّ السجع عيب و قال بأنّ كلامه غير صحيح وأعلن بأنّ " المذهب الصحيح أنّ السجع محمود إذا وقع في سهلا متيسّرا بلا كلفة و لا مشقة وبـــحيث يظهر انّه لـــم يقصد في نفسه و لا أحضره إلاّ صدق معناه ولا يكون الكلام الذي قبله إنّما يتخيل لأجلهن وورد ليصير وُصلة إليه " [42 ص63. . ثمّ قام بتقسيم الفواصل إلى ضربين : ' ضرب يكون سجعا و هو ما تماثلت حروفه في المقـــاطع، و ضرب لا يكـــون سجعا وهو ما تقاربت حروفه في المقاطع و لم تتماثل ... فإن كان من القسم الأول فهو الـــمحمود الدال على الفصاحة وحسن البيـــان و إن كان من الثـــاني فهو الـــمذموم الـــمرفوض " [42 ص64. .

ليتوصّل إلى أنّ ما في القرآن كلّه إنّما هو من القسم الأول الـــمحمود، وأنّه لا مانع أن تشارك بعض آيـــات القرآن غيرها من الكلام الذي يتضمّن سجعا وهذا من خلال قول :
" لا فرق بين مشـــاركة القرآن لغيره من الكلام في كونه مسجـــوعا، و بين مشاركة جميعه في كونه عرضا و صوتا وحروفا و كلاما و عربيا ومؤلّفا ... و لا فرق بين الفواصل التي تتمـــاثل حروفها في المقاطع وبين السجع " [42 ص63. . وأيّد موقفه هذا بقول : ' القرآن أنزل بلغة العرب وعلى عرفهم وعاداتهم، وكان الفصيح من كلامهم ألاّ يكون كله مسجوعا لما في ذلك من أمارات التّكلّف والاستكراه، لا سيما ما يطول من الكلام فلم يرد مسجوعا كلّه جريا على عرفهم في الطبقة العالية من كلامهم ، ولم يخلُ من السجع لأنّه يحسن في بعض الكلام فلم يـــجُز أن يكون عاليا في الفصاحة " [42 ص65. .

من جهة أخرى ظهر الـــمعارضون الذين يرون بعدم جواز إطلاق صفة السجع على الفواصل القرآنية منهم : الأشاعرة، الباقلاني، الرّماني وغيرهم، فقد ردّ الباقلاني على من أثبت السجع في القرآن بقولـــ : ' و هذا الذي يزعمونه غير صحيح؛ فلو كان القرآن سجعا لكان غير خـــارج عن أساليب كلامهم، ولو كان داخلا فيها لم يقع بذلك إعجاز و لو جاز أن يقال سجع معجز لـــجاز أن يقـــولوا شعر معجز، وكيف و السجع مـــما كان تـــألفه الكهان من الـــعرب، لأنّ الكهانة تنافي النبوات بـــخلاف الشعر " [56 ص65. .

وقد وافقه من المـــحدثين عبد الكريم الـــخطيب بذلك غير أنّـــه عارضه في قوله بأنّ الكهانة تنافـــي النبوات بخلاف الشعر وهذا ما يتبيّن لنا من قول : كيف هذا؟ و كيف ذهب عن القاضي قول الله تعالى :

﴿ وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ﴾ [164] (69) أفلا يكون الشعر بعد هذا مخالفا للنبوات ؟ "

[61 ص09 -10!. كما اعترضه على تسويته بين نفي الشعر و نفي السجع فقد صرّح بأنّ الله نزّه القرآن عن أن يكون شعرا بسبب المعاني التي يحملها الشعر وأغلبها منتزع من الـــخيال والوهم وقـــائم على الكذب والمبالغة، أمّا السجع - و إن كان قد اعتمد في عليه الكهان في تصوير همهماتهم وكان بهذا مقاربا للشعر في خياله وأبـــاطيله - إلاّ أنّ العرب قد عرفت النثر المسجوع في غير سجع الكهان، عرفته في خطاباتـــها ووصاياها وحكمها وأمثالـــها فحمل أجـــمل المعاني وأكرم ما عرفت العرب من أخلاق [61 ص10!. .

وأمـــا عن سبب عدم تسميتها بالسجع فهو راجع إلى أنّ " أصله من سجع الطيـــر فشُـــرِّف القرآن عن أن يستعار لشيء منه لفظ أصله مهمـــل، ولأجل تشريفه عن مشـــاركة غيره من الكلام الحادث في وصفه بذلك، ولأنّ القرآن من صفاته تعالى فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الإذن بـــها " [6] ! /36 . وبهذا يتّضح لنـــا بأنّ أئمة علماء القراءات و علماء اللّغة اتّفقوا على أنّ نهاية بيت الشعر تسمى قافية، ونهاية جـــملة النثر تسمى سجعة، أمّا نهاية الآية فهي تسمى فاصلة، و على هذا الأساس يـــمكننا أن نقـــول بأنّ الكلام العربي على ثلاثة أنواع : قرآن، نثر، شعر، و ليس القرآن شعرا و إن اشتمل على جـــميع بحـــور الشعر العربي المعروفة، بل هو قرآن وكفى مصداقا لقول الله سبحـــانه وتعـــالى :

﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ ﴾ [165] (77-78).

وهذا الرأي قال به بعض العلماء المحدثين الذين قالوا بأنّ القرآن جنس خاصّ لا هو بالشعر ولا هو بالنثر منهم العلامة عبد الرحمن بن خلدون؛ فبعد أن قسّم الأدب إلى شعر ونثر ثمّ قسّم النثر إلى مسجع ومرسل أورد قائلا : " ... وأمّا القرآن وإن كان من المنثور إلاّ أنّـــه خارج عن الوصفين وليس يسمى مرسلا مطلقا و لا مسجعا بل تفصيل آيات ينتهي إلى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها، ثمّ يعاد الكلام في الآية الأخرى بعدها ويثنى من غير التزام حرف يكون سجعا ولا قافية، و يسمى آخر الآيات منها فواصل إذ ليست أسجاعا و لا التزام فيها ما يلتزم في السّجع ولا هي قوافٍ " [61 ص3] .

وفي هذا السياق يقول سيّد قطب : " جـــمع النسق القرآني بين مزايا والنثر الشعر جميعا، ولكنه أعفى التعبير من قيود القافية الموحدّة والتفعيلات التّامة فنال بذلك حريّة التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامّة " [48] /5 . وتبعهم في ذلك . طه حسين في كتابه من حديث الشعر والنثر " بقوله : " والقرآن ليس نثرا كما أنّه ليس شعرا إنّما هو قرآن ولا يمكن أن يسمى بغير هذا الاسم، ليس شعرا وهذا واضح فهو لم يتقيّد بقيود الشعر وليس نثـــرا لأنّه مقيّد بقيود خاصة لا توجد في غيره، و هي هـــذه القيود التي يتّصل بعضها بأواخر الآيات و بعضها بتلك النغمة الـــموسيقية الخاصّة فهو ليس شعرا ولا نثرا " [66 ص5] .

يتّضح لنا من كلّ هذه الأقوال أنّ القرآن الكريم مـــميّز في التسمية عن كلام العرب تشريفا له واعتدادا به، حتى وإن وافق صور الكلام العربي وجرى على سننه في جـــملة من الأبعاد، وكما يرى بعض الدارسين بأنّ ختام فواصله الـــمتوافقة هي من السجع فهذا يقتضي منّا الفصل بين الأمرين لأنّ مجيء أكثر الآيات على صورة السجع لا توجب كونه هو أو أنّها منه لأنّـــه " قد يكون الكلام على مقال السجع و إن لم يكن سجعا؛ لأنّ السجع من الكلام الذي يتبع المعنى فيه اللّفظ الذي يؤدي السجع، وليس كذلك ممّا هو في معنى السجع من القرآن لأنّ اللّفظ وقع فيه تابعا للمعنى، وفرق بين أن يكون المعنى منتظما دون اللّفظ وبين أن ينتظم الكلام في نفسه بألفاظه التي تؤدي المعنى المقصود فيه،ومتى ارتبط المعنى بالسجع كان إفادة السجع كإفادة غيره و متى انتظم المعنى بنفسه دون السجع مستجليا لتحسّن الكلام دون تصحيح المعنى " [5] /5 . فالتعبير المسجوع في القرآن لا تفرضه طبيعة النسق القرآني فحسب كما يعتقد الكثيرون فعند النظر مثلا إلى قوله تعالى : ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴾ [167] (1-2) بدليل أنّه ينتقل منه فورا إلى نسق في فاصلة تقف عند النون دون التفات إلى الصيغة الأولى السارية في طريقها البياني وهي قوله تعالى :

﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ ﴾ [167] (3-4).

فإذا جاز للقرآن الانتقال بـــها جاز له الانتقال فيما قبلها كما هو ظاهر بل لأنّ لفظ الـــمقابر يفرض نفسه فرضا بيانيا قاطعا دون حاجة للنظر في الفاصلة معه ، أو مع محسنات الفاصلة، ذلك أنّ الإنسان المتناسي الطاغي المتكاثر بأمواله و لذاته و شهواته ... و هذا كلّه تكاثر يصحبه التفاخر والتمايز والتنافر ... إنّ هذا ممّا يناسبه لفظ الـــمقابر بلاغيا ولغويا، فالمقابر جمع مقبرة والمقبرة الواحدة مرعبة فإذا ضممنا عدّة مقابر إلى بعضها ازددنا رعبا وفزعا ورهبا، إذن هذا التـــكاثر الشهواني في كلّ شيء يوافقه بدقّة متناهية الجمع المليوني للقبور لتصبح مقابرا لا قبورا ولو قيل في غير القرآن بـــمساواة القبور للمقابر في الدلالة لما سدّ هذا الشاغر الدلالي شيئا آخر من الألفاظ فهو لها فحسب [168] ص70 .
إذن ليست هذه الصيغة البلاغية في استعمال الـــمقابر مـــجرّد ملائمة صوتية للتكاثر، وقد يحسّ أهل هذه الصنعة نسق الايقاع وانسجام الـــنغم [162] ص507 .

و الـــخلاصة من كلّ ذلك أنّ السجع عند العرب مهمة لفظية تأتي لتناسق أواخر الكلمات في الفقرات وتلاؤمها، فيُأتى بها لسدّ الفراغ اللفظي، أمّا الفاصلة القرآنية فلها مهمة لفظية وأخرى معنوية فلا تفريط للألفاظ على حساب المعاني ولا اعتداد بالمعاني من أجل الألفاظ ولهذا ارتفع مستوى الفاصلة في القرآن الكريم بلاغيا ودلاليا عن مستوى السجع فنّيا وإن توافق معه صوتيا . ولعلّ الذي دعا القائلين بعدم وجود السجع هو استنادهم إلى قصّة ذمّ السجع في حـــادثة مقتل الجنين التي رفعت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلّم - ومـــختصر هذه القصة : " أنّ رجلا يدعى مالك النابغة تزوّج امرأتين فتعايرتا يوما فضربت إحداهما الأخرى بمسطح بيتها أو بعمود فسطاطها وهي حامل، فألـــقت جنيـــنها أي أجهضت فرفعت القضية إلى النبي - عليه الصلاة والسّلا – فقضى على الفاعلة بغرّة أي بديّ) تدفعها إلى الثانية مقدارها عبد و أمة فقال أخوها عبد الله بن مسروح معترضا على ذلك : يا رسول الله أنغرم من لا أكل ولا شرب ولا نطق ولا استهل، أفمثل هذا يُطل؟ فقـــال عليه السّلا : أسجع كسجع الجاهلية . " [69 ص506] .

يعلّق ا . كمال الدين المرسي على هذه القصّة قائلا : "... ونحن لا نفهم أنّ النبي ذمّ السجع من خلال هذا الحديث – الذي تعدّدت الراويات فيه - فردّ العلاء بن مسروح قد أهاج النبي وأثار ثائرته لأنّه ردّ ينطوي على إهدار حقّ من الحقوق المقررة في شريعة الإسلام، وبخاصة أنّ العلاء كـــان يتشادق بقوله المسجوع المبدوء باستفهام تشتمّ منه رائحة الاستنكار فكأنّه اعترض على حكم النبي ولم يعجبه قوله، و في هذا فتح لباب واسع من أبواب التشكك في الدين توشك أن تطلّ منه فتن كقطع اللّيل الـــمظلم " [70 ص1] .

ثم يرى بأنّ النبي – عليه الصلاة والسلا - لم يستنكر السجع في ذاته وإنّما بما يتعارض مع شريعة الإسلام فقد كان النبي يسجع في دعائه المعرف : " اللّهم إنّي أعوذ بك من قلب لا يخشع، و من دعاء لا يسمع، ومن نفس لا تشبع، ومن علم لا ينفع، أعوذ بك من هؤلاء الأربع ".
ونحن نقف مع الرأي المعتدل وهو رأي ا أحمد فتحي عامر الذي يرى بأنّ " القول بالسجع في القرآن تقريـــر للفاصلة و القول بالفاصلة ليس إنكارا للسجع في حقيقة الأمر ، إذ هما متقابلان أو متلاقيان في معناهـــما فكلمة آخـــر الآية تسمى رأس آية أو فاصلة ، فإذا توالـــت الآيات على نمط واحد وقد اشتركت حروف فواصلها ســـميت فواصلا أو أسجاعا لا غضـــاضة في أيّه . إلاّ أنّ الفواصـــل أعمّ فـــالفواصل تكون شاجبة النـــغم حلوة الـــجرس عذبة الرنيـــن، تطرب بلفظها كما تطرب بمعناها ليتمّ الـــحسن من جميع جهاته " [69 ص516] .

4.2؛ بين الفاصلة و القــافية

حين ســمع كفار قريش تلاوة القرآن الكريم عجبوا لبديــع نظمه وإتقانه فراحوا ينسبونه إلى السّحر مرّة فقالوا بأنّه فرّق بين المرء وأهله، وعلى رأسهم الوليد بن المغيرة الذي نزلت فيه آيات تفضح كيده وهي قوله تعالى :﴿ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾[171] (18-25) كما نسبوه مرة ثانية إلى الشعر فجاء التأكيد في القرآن نفسه بنفي صفة الشعر عنه، وبأنّ النبي عليه الصلاة والسّلام ليس بشاعر وهذا في قوله تعالى :

﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ ﴾ [164] (69)

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [172] (41).

﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَـٰثُ أَحْلَـٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ [173] (5).

و هكذا فإنّ العرب لو اعتقــدوا أنّ القرآن شعر لأسرعــوا إلى معارضته من قبل شعــرائهم، فالشعر هو ديوان العرب وهم الذين عرفوا بفصاحتهم ' ولو كان ذلك لكانت النفوس تتشوّق إلى معــارضته لأن طريق الشعر غير مستصعب على أهل الزمان الواحد و أهله يتقاربون فيه أو يضربون فيه بسهم " [09 ص2؛ فالقرآن منــزّه عن ســمة الشعر وصفته وهو ينتــهي بفواصل أو رؤوس الآي و' لا يجوز تسمية رؤوس الآيات قوافي إجــماعا " [6؛ ! /36؛ .

والقافية سميت كذلك " لكونها في آخر البيت مأخوذة من قولك : قفوت فلانا إذا تبعته، وقفــا الرّجل آثار الرّجل إذا قصّه، وقافية الرأس مؤخّره " [74 ص5؛ . ومن هنا يتبيّن لنا أنّ القافية مأخوذة من القفــا وهو مؤخر الرأس فكذلك بالنسبة للشعر القافية هي مؤخر كلّ بيت .
وقد اختلف علمــاء العروض في تحديــد الأصوات التي تتألّف منها القافية فظهرت آراء مختلفة منه :
- يرى الــخليل بن أحمد أنّ القافية هي : ' آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه مع الــمتحرك الذي قبل الساكن، كقول الشاعر :

يــا هلالا قد تجلى في ثياب من حرير

فالقافية في هذا البيت حسب الــخليل هي ريــر) وهي بضع كلمة [75] 3؛ .
- يرى الأخــفش أنّ القــافية هي : " آخر كلمة في البيت " كقول المتنبي :

إذا أنت أكرمت الكريــم ملكته وإن أنت أكرمت اللّئــيم تمردا

فالقافية في هذا البيت هي تمرد) [75 ص؛ .
- رأي أورده الأخفش هو أنّ القافية هي القصيدة برمّتها [75 ص؛ .

. – يرى قطرب بأنّ القافية هي حروف الــرّوي، ويرى آخر لا يعرف من هو و قد أورده التنوخي) أنّ القافية هي البيت الــمفرد [74 ص2، و6] .
ومهمــا يكن من أمــر هذا الاختــلاف فالــمهمّ هو أنّ القــافية في الشعر الــمقصود بها " تطابق خواتيــم الأبيات من الناحية الصوتية، وجعل الالتــزام بالقافية جزء مهما من عمود الشعر الذي لا يكون الشعر شعرا إلاّ بــه، وفي القرآن من الفواصل ما يتشابه جرسه في الأذن ولا يتطابق بالضرورة في الحرف " [76] . /92 بمعنى أنّ الجرس في الشعر يكون بنفس القافية التي تــتكرّر في الأبيات بينما في القرآن الكريم يحدث الجرس عن طريق القافية التي لا يشترط أن تنتهي بنفس الحروف؛ فنجد في السورة الواحدة فواصل تنتهي بحروف مختلفة، لذا فإنّ القرآن ليس شعرا " والشرع لما سلب عنه اسم الشعر وجب سلب القافية عنه لأنّها منه وخاصة به في الاصطلاح، وكما يمنع استعمال القافية في القرآن لا تطلق الفاصلة في الشعر لأنّها صفة لكتاب الله فلا تتعداه " [75] . /93 .

فقد حكى الزركشي يوما أنّ أعرابيا سمع رجلا يقرأ قولــه تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ ﴾ [57] (1)

فقال كسرت، إنّما قال : يا أيّها ـ اس اتّقوا ربّكم زلزلةُ ا ـ اعةِ شيء عظيم
فقيل لـ : هذا القرآن وليس الشعر [75] . /16 .
فالواضح أنّ الأعرابي اعتقده لأوّل مرة أنّه شعر فحذف إ) ليستقيم الوزن فيما عنده، وهذا ما ورد عن الموزون المقفى في الشعر من سنن العرب في كلامه .
وقد تمكّن . تــمام حسان من تلخيص الفوارق بين القافية الشعرية والفاصلة القرآنية وهي [76] ص92 – 93 .

– القافية تتــطلّب التطابق التام بين عدد الحروف في آخر كلّ بيت من القصيدة كأن تنتهي القصيدة كلّها بحرف الباء فتسمى بالبائية، بينما القافية لا تلتزم شيئا من هذا الاطّراد المطلق إذ تجري في عدد من آيــات السورة على نــمط واحد لكن سرعان ما تتحوّل عنه إلى نمط آخر، وخلال جريها على نمط واحد قد يكون على حرف مدّ فقط كما في قوله تعالى :

﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝٨ ﴾ [60] (7-8).

فلا تصلح إحدى القافيتين عظيــ مؤمنيــر) أن تقفو شعر .

. – في كثير من سور القرآ لا يلتزم بشيء بعد الحرف الضّيق (هي الواو والياء لأن الفم عند النطق بها يضيق بتقريب جزء من جسم اللسان من الحنك الأعلى أثناء النطق) فمثلا في سورة الحج نجد بعد حرف الضيق حروفا مختلفة مثل الميم ثمّ الدال ثمّ الرّا ... في الفواصل (عظيم - شديـ – مريـ – السعير ..) إلى أن نصل إلى الفاصلة (يشاء) ثمّ تعود الفاصلة إلى حرف الضيق فنقرأ (الحليـ – الجلو – جديـ .. وبالإحصاء فإنّ الباء في هذه السورة جاءت سبعة وخمسين فاصلة، أمّا الألف فاصلة واحدة ولم يلتزم حرف من الحروف بعد الواو ولا بعد الياء ولا نجد كلّ ذلك في القوافي لأنّ الواو والميم في الشعر لا تقفو الياء والنور .
كما لا يمكن للقافية أن يكون الحرف الأخير منها ألفا مطلقة إذا اختلفت حركــات ما قبلها، فلا تتوالى مثلا : عجبا، همس ... فالفــاصلة إذن تضفي على النّص قيمة صوتية منتظمة ينقسم سياق النّص بــها

إلى وحدات أدائية للوقف والابتداء، وهذه الروعة لا نجدها في قوافي الشعر . من كلّ ذلك نتوصّل إلى أنّ السّجع موجود في القرآن بينما القافية فهي غير موجودة فلا يمكن تسمية الفواصل قوافٍ .

1.4.2 . طرق معرفة الفواصل صوتيا

إنّ أقدم كلام عثر عليه عن الفواصل هو حديث أم سلمة هند بنت سهيل المخزومية الذي يتبيّن لنا منه أنّ المسلمين وقعوا في شيء من الحيرة عندما تصدّوا لإبانة مواضع انتهاء الآيات القرآنية بسبب أنواع الوقف المتعدّدة، فقد روى أبو داود أنّها سُئلت عن قراءة رسول الله – صلى الله عليه وسلم - فقالت : كان يقطع قراءته آية آية، فقرأت من سورة البقرة بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ إلى الذين تقف على كلّ آية، فعقّب إبراهيم بن عمر الجعبري على ذلك قائلا :
" و ما وقف عليه السلام عليه دائما تحققنا أنّه فاصلة، وما وصله دائما تحققنا أنّه ليس بفاصلة، وما وقف عليه مرّة و وصله أخرى احتمل الوقف أن يكون لتعريفها أو لتعريف الوقف التّام أو للاستراحة، واحتمل الوصل أن يكون غير فاصلة أو فاصلة وصلها لتقدّم تعريفه " [5] ص29 . و هذا الطريق أطلق عليه " الطريق التوقيفي ".

كما ذكر الجعبري طريقا آخر هو القياسي وهو : ' ما ألحق من المتحمّل غير المنصوص عليه بالمنصوص لمناسب،ولا محذور في ذلك لأنّه لا زيادة فيه ولا نقصان وإنّما غايته أنّه محلّ فصل أو وصل والوقف على كلّ كلمة جائز ووصل القرآن كلّه جائز، فاحتاج القياس إلى طريق تعرّفه فأقول فاصلة الآية كقرينة السجعة في النثر وقافية البيت في الشعر، وما يذكر من عيوب القافية من اختلاف الحدّ والإشباع والتوجيه فليس بعيب في الفاصلة، و جاز الإنتقال في الفاصلة والقرينة وقافية الأرجوزة بخلاف قافية القصيد " [5 ص30 .

يتبيّن لنا من هذا الكلام أنّ الانتقال في فواصل القرآن إذ لا يلتزم فيها الوقوف عند حرف معيّن في مواضع السور بينما نجده ملتزما في مواضع أخرى، في حين يجمع بين الالتزام وعدمه في بعض السور، لأنّ الانتقال من الوقوف على حرف إلى الوقوف على حرف آخر أو من صيغة إلى صيغة أخرى في فواصل القرآن أمر مطّرد وشائع، كما أنّ الالتزام به أمر شائع هو الآخر، والجمع بينهما وارد أيضا مثل قوله سبحانه وتعالى في سورة الأنفال :

﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [52] (24-25).

جمع بين تحشرون والعقاب وهما مختلفان في حرف الفاصلة وفي الوزن كما جمع في السورة نفسها بين تعلمون وعظيم في قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [52] (27-28).

بينما نجد الوقف عند حرف معيّن لا يتغيّــر في الفاصلة في سور عديدة و نماذج متعدّدة، و من أمثلته السور القصار كسورة القدر و سورة العصر وغيرهما ، و بعض السور غير القصــار مثل سورة الأعلى وسورة القدر حيث نلمح فيها مراعاة للمنهج الصوتي والبعد الإيــقاعي و النغ .

و من أمثلة الجمع بين الالتزام بحرف ثمّ الانتقال إلى حرف آخر ما نجده في سورة عبس إذ يلتزم بفواصل من حرف الــهاء ليتمّ الانتقال إلى حرف الــراء مضافا إليه التاء الــمربوط :

﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [177] (34-42).

ومنهــا أيضا ما نجده في سورة النبأ والــمرسلات والنازعات والتكوير وغيره .
فعند تتبُّــع أصوات الكلمات عند الوقف أثناء قراءة القرآن يتمّ التعرُّف على الفواصل .

4.2. الإيــقاع في الفواصل القرآنية

أشرنا إلى أنّه لا مانع من وجود السجع في القرآن الكريم لأنّه يشارك غيره من كلام العرب فقد أنزل بلغتهم تحدّيا لهم و إعجازا ، و العرب تسجع في كلامها أمّا السجع الموجود في القرآن الكريم فهو أبلغ وأفصح، يقول ضياء الدين بن الأثيــر في هذا الشأن : ' المسجوع من الكلام أفضل من غير المسجوع وإنّما تضمّن القرآن غير المسجوع لأنّ ورودالــمسجوع معجزا في باب الإعجــاز من ورود المسجوع، ومن أجل ذلك تضمّن القرآن القسمين جــميعا " [78 ص76] .
كما أنّ ورود الأسجاع في القرآن الكريم يحدث إيقاعا خاصا تطرب له آذان السامعين، فما هو المقصــود بالإيقاع؟ وما هي صوره .

الإيــقاع لغ مستمدّ من ' وقع المطر وهو شدّة ضربه الأرض إذا وبل، ويقال إذا سُــمعتْ لحوافر الدواب وقعا ووقوعا " [ ] 5 /62. كما أنّــه " من إيقاع اللّحن و الغناء و هو أن يوقع الألحان ويبيّنها، وقد سمى الخليل – رحمه الله – كتابا من كتبه في ذلك المعنى كتاب الإيقاع " [ ] 5 /63. من هذين المفهومين يتبيّن لنا بأنّ الإيقاع قد يكون من وقع الشيء بقوّة، ومن جهة أخرى فهو يرتبط باللّحن والغنــا .

أمّــا الإيقاع اصطلاح فهو " مصطلح نشأ مرتبطا بالموسيقى والغناء ثمّ بدأ يتحرّك ليمتدّ إلى دائرة اللّغة حيث ظهر في عروض الشعر " [79 ص18] .

فقد ربط القدماء الإيقاع بالشعر لأنّهم " لاحظوا تأثير خطابه على المتلقي فعبّروا عنه بالارتياح والأريحية والطرب، ولما وجدوا فيه من لذة أدبية أكثر من فنون القول الأخرى وصفوة العذوبة والــحلاوة والرّقة وكثرة الــماء " [80 ص39] .

وعلى هذا الأساس يعرّف الإيقاع بأنّه ' تكرار منتظم لأصوات موسيقية هي بدورها تتولّد عن تشاكل العناصر مقطعيا عبر سلسلة عناصر الكلام " [81 ص]. أمّا المحدثون فهم يرون بأنّ الإيقاع لا يقتصر فقط على الشعر وإنّما يتعدّاه أيضا إلى النثر لأنّه ' يتضمّن الصوت والتساوي والتوازي

والتكرار والتوازن والتقسيم وهي عناصر إيقاعية اهتمّ بها البلاغيون العرب القدامى وبذلوا جهودا في اكتشاف قوانينها " [82 ص5].

كما أنّ تعدّيه إلى النثر راجع إلى أنّ " استثمار إمكانيات الأدلّة الصوتية ليس حكرا على الشعراء وحدهم، إنّما فعله ويفعله بعض الناثرين " [83 ص 5]، وبناء على ذلك فقد عرّفه رشاد الحمزاوي بأنّه تردد ارتسامات سمعية متجانسة ذات مدى متشابه يمكن الحصول عليه بوساطة وسائل مختلفة [84 ص16]. و من بين الوسائل المختلفة التي تحدث الإيقاع ذكر لنا محمد مفتاح : الحالة النفسية للسامع وليس للمتكلّم فقط لأنّه إيقاع للنشاط النّفسي الذي من خلاله يدرك صوت الكلمات و ما فيها من دلالة وإحساس [85 ص8].

نفهم من ذلك بأنّ المتكلّم قد يكون في حالة نفسية معيّنة فقد يكون هادئا أو حزيناأو مكتئبا إلى غير ذلك من الحالات النّفسية فيؤثّر بذلك على المستمع الذي يتجاوب معه ويتأثر به ويحسّ إحساسه،
و مع هذا فلم يهتمّ المحدثون بالإيقاع النثري بقدر اهتمامهم به في الشعر رغم أنّ أهمّ ما يظهر من تغيّر الإيقاع في الجملة العربية هو في النثر قبل كلّ شيء يحسّ به ويبرز لكلّ قارئ ومطّلع لما كتبه عباقرة اللّغة العربي .

و الإيقاع الصوتي هو الدرجة الأولى للإيقاع في الأدب؛ إذ يتدرّج من تناغم الأصوات إلى جرس الكلمات ثمّ التراكيب وصولا إلى النّص كلّه ' فتتابع المقاطع على نحو خاص سواء كانت هذه المقاطع أصواتا أو صورا للحركات الكلامية يهيئ الذهن لتقبّل تتابع جديد من هذا النمط دون غيره " [86 ص1]. فالإيقاع في الشعر والنثر لا يحدث بغير آلية التكرار والتردّد للوحدات بنفس الوتيرة، أمّا الإيقاع في القرآن الكريم فيقصد بـ : ' إحساس الأذن والنفس بتناغم الصوت الحاصل من قراءة الآيات [70 ص66].

ومن صور الإيقاع في القرآن كما ذكر . تمّام حسان الوزن والتوازن " أمّا الوزن فبحسبك أن تتأمّل ما يمنحه من الجمال و الشعر الموسيقي ونحوهما، وأمّا التوازن فيكفي أن تنصت إلى صوت قارئ مجيد يرتّل القرآن الكريم و لا أقصد التطريب بل الترتيل بدون تطريب) فسترى عندئذ أنّ ما في القرآن من جمال التوازن قد يُجاوزُ أحيانا جمال الوزن " [76 ص87].

ويحسن الإيقاع إذا " تقاربت أعداد المقاطع بين النبرين أو انتظم اختلاف بعضها عن بعض ... وهذا التقارب و ذاك الانتظام فهو الذي نجده في إيقاع الأسلوب القرآني [87 ص69].
والمقطع هو كما أوضح لنا كمال بشر مفهومه بأنّه " من حيث بناؤه المثالي أو النموذجي أكبر من الصوت و أصغر من الكلمة، و إن كانت هناك كلمات تتكوّن من مقطع واحد مثل : من بفتح الميم أو كسرها بلا فرق " [6] 03]. فيكون المقطع أكبر من الصوت أي يتألّف على الأقل من صوت صامت وحركة قصيرة مثل كَ) ويسمى المقطع الصغير المفتوح ، وقد تكون الكلمة هي المقطع مثل مِن) و هي تتألّف من صامت وحركة قصيرة وصوت صامت ويسمى المقطع المتوسّط المقفل، وفي العربية يوجد ستّ أنواع من المقاطع [9 ص55].

أمّا النبر فهو " وضوح نسبي لصوت أو مقطع إذا ما قورن ببقيّة الأصوات أو المقاطع في الكلام " [0 ص60]. كما أنّ النبر والمقطع مقترنان ببعضهما لأنّ " المقطع حامل للنبر، والنبر أمارة من أمارات تعرّفه " [6 ص03]، فالكلام مقسّم إلى مقاطع يقع النبر على أحد المقاطع دون غيرها ، فيتطلّب بذلك بذل جهد أكبر نسبيا من طرف أعضاء النطق ويكون ذلك ' بضغط الحجاب الحاجز على

الرئتين فيزداد مقدار النفس الــمطلوب لإحداث الصوت فيعلو الصوت عمّا جاوره فيحظى بوضوح سمعي أكبر من وضوح الأصوات الأخرى " [76 ص79 .

ويتّضح لنا تقارب المقاطع بين النبرين من خلال الــمثال الذي قدّمه لنا . تمّام حسان والمتمثّل في قوله تعالى :﴿ أَو كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩ ﴾ [60] (19).

فقد قــام بتقطيــع هذه الآية إلى دفعات النبــر كالآتي :

أوْكَ – صيّبِ – مِنَ السَّ - ماءِ - فيه ظُـ – مات ا – رعد ا – برؤ – يــجْ – لوا – أصَــا – بعهم – في – ذانهِ – من الصـ – واعؤ – حذر ا – موت وا – لاهـُ – حيط بالكــافرين .

بين النبر الأوّل والثاني مقطع واحد هو **(كَ)** وبين الثاني والثالث اثنان هما **يبـ)** و **من** ، وبين هذا والذي بعده اثنان هــما **(ن والسَّ)** وبعد النبر الثاني مقطع واحد هو **ء)** وهكذا يستمرّ الفــارق في هذه الــحدود فيكون الإيقاع ' [76 ص79 .

ليتوصّل في الأخير إلى أنّ الــمقصود بالإيقاع هو ذلك " التوازن النّاشئ عن تقارب الشبه بين المسافات الفاصلة بين كلّ نبــر وآخر، ثمّ ترى بعد هذا أنّ التوازن هو مصدر رشاقة الأسلوب وسبب قوي من أسباب ارتياح النّــفس لــه، واحتــفائها بــه " [76 ص80 .

فالإيقاع موجود في كلّ آيات القرآن الكريم وهو متعالٍ على الإيقاع الموجود في الشعر أو النثر و الفواصل القرآنية هي أهمّ عامل لتشكيل الإيــقاع القرآني، فالفواصل الــمتوازية يحدث فيها الإيقاع " بــما تحمله من توافق صوتي بإعادة القالب الصوتي الأخــير، و تكرار حرف الرّوي يؤدي إلى إثراء التعبير بهذا الرنين الموسيقي المــحبّب الذي تنشط له النفس " [87 ص86؛ .

فتكرار حرف العين في الفاصلتين (الرّجِ – الصّدع) والوزن نفسه فهما على وزن الفَعْل) يحدث يُــحدِث إيقاعا صوتيا خاصا يتعلّق بالوعيد الذي يصكّ أسماعنا فتخشع قلوبنا وكذلك بالنسبة لأنواع الفواصل الأخرى كالــمتماثلة أو المتقاربة فلكلّ منها إيقاعها الــخاص الذي تــحقّق به الانسجام والتوازن . فما هي أنواع الفواصل كما قسّمها علماء القراءات .

أنواع الفواصل القرآنية :

قسّم علماء القراءات الفواصل إلى قسمين : قسم باعتبار التماثل والتقارب في الحروف، و قسم باعتبار الوزن والحرف الأخير أمّا القسم الأول فهو : المحمود الدال على الفصاحة وحسن البيان [5] ، 02/ .

فالمتماثل هو ما توافقت فواصله في الحرف الأخير، ومثاله حرف الراء في قوله تعالى :

﴿وَٱلطُّور ۝١ وَكِتَٰب مَّسْطُور ۝٢ فِى رَق مَّنشُور ۝٣ وَٱلْبَيْت ٱلْمَعْمُور ۝٤﴾ [188] (5).

و **المتقارب** هو ما تقاربت حروفه في المخرج أو الصفة، ومثاله قوله تعالى :

﴿ الرَّحْمَٰن ٱلرَّحِيم ۝٣ مَٰلِك يَوْمِ ٱلدِّين ۝٤﴾ [189] (3-4).

فالتقارب في هذه السورة هو بين الميم في الرّحيم) والنّون في (الدّين .
و هذ " لا يسمى سجعا قطعا عند القائليـن بإطلاق السجع في القرآن ؛ لأنّ السجع ما تماثلت حروفه " [5] ، 04/ ، أمّا الفواصل المتماثلة والمتقاربة التي تكون متكلفة تتبعها المعاني فهو القسم المذموم، أمّا القرآن فلم يرد فيه إلاّ القسم الأول المحمود) لعلوّه في الفصاحة [5] ، 02/ .

أمّا القسم الثاني فهو ثلاثة أنواع هي المتوازي، المتوازن، و المطرّف .
- **المتوازي :** وهو أن تتّفق الكلمتان في الوزن وحروف السجع [5] ، 05/ كقوله تعالى :

﴿ فِيهَا سُرُر مَّرْفُوعَة ۝١٣ وَأَكْوَاب مَّوْضُوعَة ۝١٤﴾ [190] (13-14).

فكلمتي مرفوعة) و (موضوعة) كلاهما على وزن واحد و هو مفعولة ، وتنتهيان بحرف واحد و هو العين المرتبطة بالتاء المربوط .

- **المتوازن :** وهو أن يراعى في مقاطع الكلام الوزن فقط [5] ، 05/ كقوله تعالى :

﴿ وَنَمَارِق مَصْفُوفَة ۝١٥ وَزَرَابِى مَبْثُوثَة ۝١٦﴾ [190] (15-16).

فكلمتي مصفوفة) و (مبثوثة) كلاهما على وزن (مفعولة) وتختلفان في الحرف الأخير .

- **المطرّف :** وهو الذي تتّفق فيه الكلمتان في حروف السجع لا الوزن [5] ، 105/ كقوله تعالى :

﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُون لله وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤﴾ [191] (13-14).

فالاتّفاق كما يبدو واضحا في حرف السّجع و هو الراء المتبوعة بألف المدّ أمّا الوزن فهو مختلف تمام فـ (وقارا) وزنها فعالا) أمّا أطوارا) فوزنها أفعالا .
و الخطاب القرآني قد " يخرج من الفواصل المتوازية إلى المتوازنة أو المطرّفة ثمّ يعود إلى المتوازية، ويخلط بين أنغامها المتنوّعة وأصواتها المختلفة والمؤتلفة ليقدّم لنا في النهاية لحنا موسيقيا عذبا تتنافر نغماته " [87 ص80] .

4.2. بعض الظواهر الملاحظة صوتيا

إنّ القارئ المتدبّر للقرآن الكريم يلحظ ظواهر صوتية متعدّدة؛ فقد تطرأ تغييرات نطقية على الفواصل تختلف من قارئ إلى آخر، وهذا يحدث لتحقيق الإيقاع في مقاطع الفواصل و من أهم هذه الظواهر ما يلي :

- زيادة حرف ما في الفاصلة : و هذا للمحافظة على التنغيم الموسيقي وتكامل المعنى، و عنايةً للبعد الصوتي ليحدث تأثيرا في النفس ، و أهم مظاهر هذه الزياد : ألف الإطلاق فقد ألحقت هذه الألف في جملة من الآيات بأواخر بعض كلماتها فأصبحت مفتوحة مطلقاً كقوله تعالى :

﴿ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ ﴾ [192] (10) وقوله تعالى: ﴿ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ ﴾ [192] (66) وقوله تعالى: ﴿ فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ ﴾ [192] (67).

فالملاحظ على هذه الآيات أنّ إلحاق الألف على كلّ من الظنون، السبيل، الرسول) قد شكّل تلقائيا ظاهرة صوتية تدعو إلى التأملّ وهذا " لأنّ فواصل هذه السورة ألفات منقلبات عن تنوين الوقف، فزيد على النون ألفٌ لتساوي المقاطع وتناسب نهايات الفواصل " [5] /1 .

ومن مظاهر هذه الزيادة أيضا : زيادة هاء السكت وإلحاقها في هي " في قوله تعالى :

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾ ﴾ [193] (10-11) وهذا لتحقق الفاصلة مع ما قبلها وما بعدها، كما أنّ إلحاقها في هذا الموضع له تأثير عظيم في الفصاحة [5] /1 .

كما أضيفت هاء السكت في جملة من الآيات من سورة الحاقة فيقف القارئ هنا خاشعا مبهورا أمام هذا الوضع الحزين والمؤلم والمفزع، وما من شك أنّ أحدا يقرأ هذه الآيات ولا تدمع عيناه من خشية الله وهو يتعوّذ من كلّ ذلك، وهذه الآيات هي قوله سبحانه وتعالى :

﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ ﴾ [172] (18-29).

نلاحظ أنّ الفواصل (كتابيه، حسابيه، ماليه، سلطانيه) قد زيد على نطقها هاء السكت رعاية لفواصل الآيات المختومة بالتاء المربوطة، و التي اقتضى السياق نطقها هاءً للتوافق فهي " تثبت وقفا ووصلا اتّباعا للمصحف الإمام والنّقل " [51 ص67] .

: - حذف حرف م وذلك رعاية للنـــطق مثل حذف يـــاء العلة في قوله تعـــالى :

﴿ وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٍ ۝٢ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤ ﴾ [195] (1-4).

فقد حُذِفَت اليـــاء من يسرِ) موافقة للفواصل التي قبلها و هي الفجر، عشر، الوتر) و لو ذكرت لكانت كالنغمة النشاز [1] . كما حذفت في موضع آخر من السورة نفسهـــا في قول :

﴿ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ۝١٦ ﴾ [194] (15-16).

وعلّل الفراء ذلك بقوله " أنّهن رؤوس الآيات لـــم يكن في الآيات قبلهنّ ياء فأُجرين على ما قبلهنّ إذ كـــان ذلك من كلام العرب ...] /01، وأمثلتها كثيرة في القرآن الكريم؛ منها قوله تعالى :

﴿فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ۝١٧ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ۝١٨ ﴾[21] (18).

: - التقديم و التأخير ويكون بتأخير ما حقّه التقديم كتأخير الفاعل عن صاحبه كما في قول تعالى :

﴿ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ۝٦٧ ﴾[195] (67). و الحكمة من هذا التأخير هي : " أنّ النّفس تتشوق لفاعل أوجس) فإن جاء بعد إن أخر وقع بموقع " [5] /3 .

ومثال التقديـــم أيضا تقديـــم الـــمعمول على العامل وهذا في قوله تعـــالى :

﴿ بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٣ [196] (3) فقد قدّم المعمول و هو الآخرة) وأخّر العامل وهو يوقنون) و تقدير الكلا – لو كان في غير القرآ – : وهم يوقنون بالآخرة [6] /171 . وهذا مراعاة للفواصل التي بعدها و التي تنتهي بنون مسبوقة بمدّ، و هي : يعمهون، الأخسرون، تبطلـــون . والقارئ للقرآن الكريم يجد مواضع أخرى للتقديم والتأخير مراعاة للفواصل .

: - ختم مقاطع الفواصل بحروف الـــمدّ واللّين وإلحاقها بالنون و حكمته من ذلك هي وجود التمكّـــن من التطريب بذلك [5] /99 فقد ذكر سيـــبويه أنّ العرب إذا " ما ترنّموا فإنّهم يلحقون الألف والواو والياء ما ينوّن وما لا ينوّن أنّهم أرادوا مدّ الصوت " [4] /198 .

فورود النون بعد حروف المدّ متتالية في القرآن الكريم أصبح سرّا صوتيا تجلّى في جزء كبير من فواصل الآيات، وهذا نتبيّنه من خلال الأمثلة التالية :

– اقتران الألف بالنون في فواصل سورة الرحمـــن في قوله تعالى :

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ ﴾[139] (1-5) الملاحظ هو أنّ الفواصل (الرحمن، القرآن، الإنسان، البيان) وردت فيها الألف والنون من أصل الكلمات، بينما في قوله تعالى : مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ۝١٩ بَيۡنَهُمَا

بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ [139] (19- 25) .

فقد وردت الألف والنّون في الفواصل (يلتقيان، يبغيان، تكذّبان) وهما ملحقان بالكلمة كعلامة للرفع وكدلالة على التثنية، وكِــلا النّوعين يحقّقان التــرنيم .

ب – اقتران اليــاء بالنــون في فواصل سورة الــمؤمنون في قولــه تعالى :

﴿ فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ وَإِن كُنَّا لَمُبۡتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[196] (28-31) .

فالفواصل (الظالمين، المنزلين، مبتلين، آخرين) وردت فيها الياء والنون و هما ملحقان بالكلمة كعلامة للجــرّ وكدلالة على الجمع .

ج – اقتران الواو والنّــون في سورة المؤمنين أيضا في قوله تعالى :

﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ ﴾[196] (1-5) .

فواصل هذه الآيات وردت فيها الواو والنون وهما ملحقان بالكلمة كعلامة للرفع وكدلالة على الــجمع، و الملاحظ أنّ سورة الــمؤمنون تتعاقب فيها الفواصل المنتهية بالواو و النون، و الياء و النون شأنــها شأن جملة من سور القرآن مثل سورة الشعراء وسورة التــين .

من كلّ ما سبق ذكره يتبيّن لنا أنّ بنـــاء الفواصل على هذه الـــحروف التي تتّسم بالتطريـــب يحقّق الإيقاع الذي يطرب الآذان عند سماع التلاوة لهذه السور وغيرها، و مـــا هذه " الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلاّ صور تامة للأبعـــاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى، وهي متّفقة مع آياتها في قرار الصوت اتّفاقا عجيبا يلائم نوع الصوت و الوجه الذي يُساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب، و نراها أكثر ما تنتهي بالنون و الميم وهما الـــحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها، أو بالـــمدّ وهو كـــذلك طبيعي في القرآن ' [97 ص10! .

من خلال عرضنا لـــمبحث الصوت اللّغوي في القرآن الكريـــم نتوصّل إلى النتائج التالية :

– الفاصلة هي آخر كلمة الآية وتقع عند الاستراحة في الـــخطاب لتحسين الكلام بها أمّـــا تسميتها بالفواصل فهو مستمدّ من القرآن نفسه .

– الفاصلة كقرينة السّجع في النثر وكقافية الشعر، و يجوز إطلاق السّجع على الفواصل على سبيل الـــمقاربة و لكن لا يجوز إطلاق القافية عليها لأنّ الردّ جـــاء في القرآن نفسه بأنّه ليس بقول شاعر بل هو ذكر و قرآن مـــجيد .

– تتنوع الفواصل في القرآن الكريم فمنها المتماثلة والمتقاربة والمتوازية والمتوازنة والمطرّفة، فنجد في السّورة الواحدة الانتقال من نوع إلى آخر كخروجه من المتوازنة إلى المتوازية إلى الـــمطرّفة وهذا ما يشكّل الإيقاع المتناغم الذي ترتاح إلـــيه النفس .

– إنّ القارئ للقرآن أو الـــمنصت له والمستمع يلحظ ظواهر صوتية كثيرة؛ كزيادة حرف ما أو تأخير ما حقّه التقديـــم وهذا يدلّ دلالة واضحة على روائع الإعجـــاز في القرآن التي تحقّق حسن النظم و عذوبة الألفاظ .

الفصل 3
التحليل الصوتي لسورة القيامة

مدخل : التعريـــف بالسورة

تقع سورة القيامة في الـــجزء التاسع والعشرون من القرآن الكريم، ورقمها خمس وسبعون (75) في ترتيب المصحف الشريف، وهي مسبوقة بسورة « المدثر » و متبوعة بسورة « الإنسان » نزلت بعد سورة « القـــارعة » و هي سورة مكية [98] 0 /0 .

أجمع معظم المفسرون على أنّ عدد آيات السورة (40) آية، و قد نزت السورة مجزّأة إلى ثلاثة أشطر؛ وهذا يعني اختلاف سبب نزول كلّ شطر منها، فقد ورد في سبب نزول الشطر الأول منها و الذي يبدأ من الآية الأولى (1) إلى الآية الخامسة عشر (15) أنّ " القرآن الكريم جاء بالرّد على الذين أنكروا البعث و الجنّة و النّار، فجاء الإقسام بالرّد عليهم في كثير من الكلام المبتدأ منه و غير المبتدأ، وذلك كقولهم والله لا أفعل فلا ردّ لكلام قد مضى ... فنـــزل قوله تعالى :

﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ ﴾ [99] (1) [99] 0 /0 .

أمّا الشطر الثاني فبدايته من الآية السادسة عشر (16) إلى الآية الثلاثين (30) وقد ورد في سبب نزولها ما يلي : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه شيء من القرآن الكريم عجّل به يريد حفظه من حبّه إيّاه، فقيل له لا تعجل به فإنّا سنحفظه عليك، فأنزل الله :

﴿لا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ ﴾ [75] (16) [99] 2 /38 .

أمّا الشطر الثالث فهو يبدأ من الآية الواحد والثلاثون (31) إلى آخرها وهي الأربعون (40) فقيل " أنّها نزلت في أبي هل الجاهل بربّه فقال : فلا صدّق ولا صلى ولكن كذّب وتولى ؛ أي لا صدّق رسول الله ولا وقف بين يديّ فصلّى، ولكن كذّب رسولي وتولّى عن التصلية بين يديّ فترك التصديق خصلة والتكذيب خصلة و ترك الصلاة خصلة، والتولي عن الله خصلة فجاء الوعيد أربعة مقابلة لترك الخصـــال الأربعة، وأمّا قوله : ثمّ ذهب إلى أهله يتمطى فتلك عادته قبل التكذيب والتولّي فأخبر عنها " [98] 0 /0 . وقيل إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من الـــمسجد يوما فاستقبله أبو جهل على باب المسجد ممّا يلي بني مخزوم فأخذ النبي بيده وهزّه مرة أو مرّتين ، فقال له الرّسول (أولى لك فأولى) فقال أبوجهل : أتهدّدني؟ فو الله إنّي لأعزّ أهل الوادي وأكرمه، فنزلت فيه على رسول الله كما قال لأبي جهل وهي كلمة وعيد [98] 0 /4 .

وما يمكننا ملاحظه من خلال تصفحنا للتفاسير التي بين أيدينا التفاوت الكمي في تفسير السورة، ويمكننا توضيح ذلك في ما يلي :

تفسيـــر الطبري : من الصفحة خمس و عشـــرون وثلاثمائة (25؛) إلى الصفحة اثنان وخمسون و ثلاثمائة (52؛).
تفسير ابن كثير : من الصفحة خمس و سبعـــون و خمسمائة (75؛) إلى الصفحة واحد وثمانون وخمسمائة (81؛).
تفسيـــر الجلالين من الصفحة ٍ بـ و سبعون و خمسمائة (77؛ إلى الصفحة ثمانية و سبعون وخمسمائة (81؛)
تفسيـــر الكشّاف من الصفحة خمس و أربعون وستمائة (45؛ إلى الصفحة الثانية والخمسون وستمائة (52؛).
تفسير الصابوني من الصفحة ثمان وسبعون ومائة (78 الصفحة الثانية والثمانون ومائة (82).

ويمكننا إرجاع هذا التفـــاوت في عدد الصفحات إلى حجم الورق المستعمل، والخط المكتوب به من تفسير إلى آخر، كما يرجع إلى اختلاف طريق التفسير ؛ فنجد الطبري و القرطبي يستشهدان بأبيات شعرية ، مثلا في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ۝٧ ﴾ [99] (' اختُلِف في قراءة الفعل برق) إن كان بفتح الرّاء أو كسرها، فذكر القرطبي أنّ قراءة نافع عن عاصم بالفتح والباقون بالكسر، ثمّ استشهد لمن قرأها بالفتح بقول ذي الـــرّمـ

ـــو أنّ لقمان الحكيم تعرّضت لعينيه مني سافرا كاد يبرَق

واستشهد لـــمن قرأها بالكسر قول الفـــرا :

فنفسك فـــانعَ ولا تنعـــي وداو الكلـــوم ولا تبـــرِق

ليتوصّل إلى أنّ كسر الرّاء وفتحها لغتان بمعنى [00؛] 2 /3؛ .

أمّا ابن كثير والزمخشري والسيوطي والمحلي فهم يستشهدون بالأحاديث النّبوية الشريفة؛ أي ما يُعرف بالتفسير بالمأثور فمثلا في قوله تعالى :﴿ وُجُوه ٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣ ﴾ [99] (2 –3؛ ذكر ابن كثير أحاديث صحيحة تفسّر هذه الآية منه : ما ورد في الصّحيحين أنّ ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربّنا يوم القيامة ؟ فقال : هل تضارون في رؤية الشّمس والقمر ليس دونهما سحاب؟ قالوا ! . قال : إنّكم ترون ربّكم كذلك ' [ ] ! /78؛ .

كما يستشهدون بآيات أخرى أي ما يعرف بتفسير القرآن بالقرآن كتفسير قوله تعالى﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ۝٧ ﴾ [99] (' بقوله تعالى : ﴿لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ ﴾ [4'] (3! .

كما فسّر الزمخشري قوله تعالى : بَلِ ﴿ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ۝١٤ ﴾ [99] (4) بقوله تعالى :﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٢٤ ﴾[01؛] (4!).

أمّا الصّابوني فقد اعتمد طريقة خاصّة حيث يقوم بإعطاء ملمح عام عن السّورة وأهمّ معانيها، ثمّ ينتقل إلى الجانب اللّغوي بشرح الكلمات الصّعبة، و بعدها يقدّم تفسير السورة من أوجه البديـــع والبيان ، كما أضاف على بقيّة التفـــاسير الأخرى سبب تسمية السورة بالقيامة و هو كون محور السورة يدور حول أهوال ذلك اليوم وهو يوم القيامة [02؛] ! /78 .

3. ا ـ ية الإيـــقاعيـــة للســـورة :

في مـــحاولة منّا للإحاطة بجوانب البنية الإيـــقاعية للسورة ارتأينا أن نقسّمها إلى مقاطع، فكان عددها أربعة وهذا بحسب الـــمواضيع التي تناولتها السّورة على النّحو الآتي :

المقطع الأول من الآية الأولى إلى السادسة [–] ورد في هذا المقطع موضـــوع القسم بيوم القيامة وبالنّفس اللّوامة، وبقدرة الله سبحانه وتعالى على إعادة جمع عظام الإنسان الذي يريد أن يفجر أمامه وهو يسأل متى يكون هذا اليو .

المقطع الثاني من الآية السابعة إلى الآية الخامسة عشر [– 15] ورد في هذا المقطع أهوال يوم القيامة من خسف للقمر وجمعه مع الشّمس، وأنّه لا مفر للإنسان يومئذ إلاّ لله و أنّه لا مجال للإعتذار .

المقطع الثالث من الآية الســـادسة عشر إلى التاسعة عشر [6 – 19] حيث يتوجّه الله إلى النّبي عليه الصلاة و السلام بخطابه بألاّ يتعجل بالقرآن عند نـــزول الوحي، لأنّ الله سيتكفل بحفظه في صدره، وبعد انطلاق جبريل عليه السلام يمكنه قراءته كمـــا أقرأه إيّا .

المقطع الرّابـ من الآية العشرون إلى نهاية الســـورة [0 – 40] خطاب الله عزّ وجلّ إلى الكفار الذين شغلتهم الدنيا عن الآخرة، ثمّ بيان حال المؤمنين وحال الكافرين يوم القيامة، ثمّ خطـــاب الإنسان الذي يظنّ أنّه لن يُبعث وبأنّه خلق من نطفة ضعيفة فجعل منها الزّوجين الذكر والأنثى، ثمّ بيان قدرة الله الذي بدأ الخلق لا يعجزه أن يعيد إحياءه بعد موت .

بعد ها سينطلق العمل التحليـــلي من إحصـــاء أصوات الســـورة بدءً بالصّوامت ثمّ رصد صفاتها وربطها بالدلالة، بداية بالصّفات المتضادة (المميّز) وهي الجهر والهمس، الشّدة والرّخاوة،الإطباق والانفتاح، الإذلاق و الصّماتة، ثمّ الصّفـــات غير الـــمتضادة المـــحسّنة) وهي الصّفير، التفشي ، القلقلة، التّكرير، الانحراف، الاستطالة، ثمّ رصد الصّوائت الطويلة التي تتّصف باللّين و الـــم . ويكون ذلك بإحصـــاء النسب المئوية لها والدلالة التي تحملها هذه النّسب، وأخيرا ندرس الصوت اللّغوي في فواصل السورة مع بيان أنواعه .

1.3. . الصوامت

1.1.3. . الصفات المتضادة المميّزة)

1.1.1.3. . الجهر والهمس

أولا : المقطع الأول

الأصوات المـــجهورة	ع	ض	ق	م	و	ز	ن	ء	ر	غ	ظ	ج	د	ط	ل	ب	ا	ذ	ي
ترديدها	3	0	5	11	6	0	14	10	3	0	1	2	2	0	15	6	14	0	10

الأصوات المـــهموسة	ح	ث	هـــ	ش	خ	ف	س	ك	ت	ص
ترديدها	1	0	6	0	0	2	8	10	0	0

مـــجموع الأصوات	الـــمجهورة	نسبتها المئوية	الـــمهموسة	نسبتها المئوية
119	102	% 5,71	17	% 4,28

من خلال رصدنا للأصوات في المقطع الأول نلاحظ غلبة الإيقاع الـــجهري بنسبة (5,71 %) أمّا الإيقاع الهمسي فقد كان منخفضا بنسبة (4,28 %) فما دلالة ارتفاع الإيقاع الجهري عن الإيقاع الهـــمسي .
ما يلاحظ على الأصوات الـــمجهورة سيطرة صوت اللاّم على بقية الأصوات الأخرى؛ إذ بلغ تواتره 5 مرة بنسبة (4,70 %) و قد ارتبط بحروف الـــمعاني أكثر من ارتباطه بالأسماء والأفعال فحمل بذلك دلالة خاصّة نتبيّنها من خلال الـــحروف الواردة في هذا المقطع وهي (لا، ألن، بلى بل) فنجده يدلّ على القوّة والعلو بما يوافق حركة اتّصال طرف اللّسان باللّثة وارتفاعه إلى الطّبق فأثرى دلالة المقطع الكليّ .

فقد بدأت الســـورة الكريمة بالقسم بيوم القيامة وبالنّفس اللّوامة على أنّ البعث حقّ لا ريب فيه [02؛ 82/؛ 1] وهذا في قوله تعالى : ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ ﴾ [99] (، فـــ (لا) هنا حرف للقسم تدلّ على " الجواب عمّا في سورة أخرى فكـــان لا ردّ لما تكرّر من إنكار للبعث، ثمّ قال أقسم بيوم القيامة فأعلمَ الله تعالى أنّه يقسم بيوم القيامة " [03 ص4؛ . فالآية تدلّ على عظمة هذا اليوم وهو يوم القيامة الذي ينكره المشركون، وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ ﴾

[99] (: دلّت اللاّم على القسم المسبوقة بواو العطف،فالله سبحانه وتعالى يقسم بالنّفس اللّوامة وقيل بأنّها " النّفس المتّقية التي تلوم النّفوس في يوم القيامة على تقصيرهن في التقوى " [04 ص6 .

وقيل أنّها " التي لا تزال تلـــوم نفسها و إن اجتهدت في الإحسان " [1] : /46 . فدلّت اللاّم مرّة أخرى على عظمة هذا اليوم الذي تُلام فيه النّفوس

وفي قوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝ ﴾ [99] ( ) اللاّم في (ألّن) مدغمة مع النّون لأنّ أصلها أنْ لنْ) فدلّ صوت اللاّم على القوّة في الردّ على المشركين الذّين كذّبوا بيوم البعث و الجزاء، و بوجود يوم سيعاد فيه تجميع عظامهم من أماكنها التفرقة فجار الرّد بقوله تعالى :﴿ بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ۝ ﴾ [99] (، فـــ بلى) هي حرف جواب يفيد إبطال النّفي والنّفي هنا مقرون بتوبيخ [05 ص04 ، والموبِّخ يقتضي بتوبيخه إظهار القوة والعظمة في ذاته مقـــابل تحقير الموبَّخ ، أمّا (على) فهو حرف جرّ أصلي يفيد الاستعلاء المعنوي [05] ص35 ، فهو تأكيد من الله أنّه قادر على أزيد ممّا كان فيجعل بنانه وهي أطراف أصابعه مستوية [ ] ص04 . فاللاّم في بلى) و (على) دلّ على قوّة وقدرة الله سبحانه وتعالى على بعث الـــخلق .

وفي قوله تعالى : ﴿ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَـٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝ ﴾ [99] (ل هنا حرف ابتداء يدلّ على الإضراب الإبطالي أي إبطال الحكم السابق عليها والانصراف عنه إلى الحكم التالي لها [05] ص03 ، فدلّت في الآية على العدول عمّا قبلها أي عدول الإنسان عن التّوبة ولســـان حاله يقول : " أعمل ثمّ أتوب قبل يوم القيامة " [ ] : /76 . كما ارتبط صوت الـــلاّم في بالفعل (يفجر) فجاء هنا زائدا بمعنى أن المصدرية و التّقديـــر هو أن يفجر فحمل اللاّم دلالة " التماسك " [47 ص30 ليدلّ على تمسّك الإنســـان بتأجيل التوبة و تسويفها و هو يمضي راكبا رأسه [ ] : /576
أمّا ارتباط اللاّم بالأسماء التّالي : القيامة، اللّوامة، الإنسان فقد دلّ على " التّعريـــف فقد عبّر عن ارتباط الأسماء بمعرفة سابقة عنها " [47] 30 .

يلي صوت اللاّم النّون الذي بلغ تواتره 4 مرّة بنسبة (3,72 %) وقد ارتبط بالأسمـــاء أكثر من ارتباطه بالأفعال والحروف، و هذه الأسماء هي : النّفس، الإنسان، بنانه، قادرين، فدلّت النّون في النّفس على " التعبير عن البطون في الأشياء " [47 ص60 . فالنّفس باطنية لا يمكن رؤيتها بالعين المجرّدة فأقسم الله بها وهو الذي يعلم سرّها وجهره .
أمّا في (بنانه) فقد حملت دلالة الرّقة و الاستكانة " [47 ص30 فالبنان هي أطراف الأصابع و هي أرقّ عظم في جسم الإنسان، فالله سبحانه وتعالى يخاطب الإنسان الذي ينكر البعث وإعادة الخلق بأنّه قادر على تسوية أرق عظم في جسمه فكيف بالكبيرة منها [51 ص77 .

أمّا كلمة قادرين التي وقعت حالا من الضمير (نجمع) فقد حمل صوت النون فيها دلالة استخراج ما هو باطن [47 ص60 فالله سبحانه وتعالى قادر على استخراج هذه العظام وإعادتها إلى التركيـــب الأول فيسوي البنان كما كانت عليه من غير نقصان ولا تفاوت .
يلي صوت النّون صوت الـــميم الذي بلغ تواتره 1 مرّة بنسبة (0,75 %) وقد ارتبط بالأسماء كما ارتبط بالأفعال، ففي الفعل (أقسم) حمل دلالة " الجمع والضّم " [47 ص3 ،بما يوافق ضمّ الشّفتين بشيء من الشّدة ، فالله سبحانه و تعالى ضمّ يمم القيامة إلى النّفس اللّوامة ليقسم بهما على إنكار البعث، كما ارتبط الميم بالفعل (نجمع) الذي يدلّ في معناه على الجمع والضمّ ليدلّ على جمع

العظام التي تجتمع مع بعضها لتؤلّف هيكل الإنسان . كما ارتبط الميم بالأسماء التالي : القيامة، اللّوامة، عظامه، يوم، فدلّت في الاسم الأول والرّابع على وقت معيّن يُجمع فيه النّاس ليُحاسبوا على أعمالهم . يلي صوت الميم صوت الهمزة الذي بلغ تواتره 0 مرّات بنسبة (80, %) و قد حمل دلالة " الشدّة والبروز " [47 ص16 ، المستمدة من مخرجها و هو أقصى الحلق ليندفع الهواء بشدة و صعوبة أثناء النطق بها، و قد ارتبطت في هذا المقطع بالأفعال أكثر من ارتباطها بالأسماء و الحروف فارتبطت بالفعل (أقسَم) فأكسبته القوة و الشدة و العمق الذي يؤكد بروز هذا اليوم و هو يوم القيامة و ظهور النفس اللّوامة التي تلوم النفوس على تأخير و تأجيل التوب .

ثمّ ارتبطت بالفعل (أيحسب) أي هل يعتقد و يظن الإنسان أن عظامه لن تُجمَع ؟ فالهمزة هنا همزة استفهام يُطلق عليها همزة الإنكار الإبطالي ؛ و هي الهمزة التي يكون ما بعدها غير واقع و مُدّعيه كذبا [05 ص7. فما يدّعيه الكفار من إنكار للبعث هو كذب و باطل و لو لم تُفِد استفهاما لما استحق الجواب إذ لا سؤال حينئذ، و لو خرج الكلام عن النفي لـــجاز أن يُجَاب نعم، و لو قيل أنّهم لو قالـــوا نعم كفروا و لـــما حَسُن دخول الباء في الخبـــر و الجواب يتوقف على مقدمة و هي أنّ الاستفهـــام إذا دخل على النفي يدخل على وجهين : إمّا يكون الاستفهام أو النفي، و إذا كان المعنى الأول لم يجز دخول نعم في جوابه [5؛ ! /34؛ ، لذا جاء بعدها بلى ؛ فالهمزة قد أفادت دلالة أقوى و هي دلالة التقرير والتأكيد التي خدمت معاني الآيات و أعطتها بُعدا دلاليا أكثر و قعا حتى يقتنع الكفار بحقيقة ذلك اليو . أمّا الأصوات (الواو، اليـــاء، الألف) فسوف نتعرض لدلالتها في مجال الصوائت .
و ما يُلاحظ على الأصوات المجهورة غياب الضاد و الزاي و الغين و الطاء و الذال من هذا المقطع مما يعني غياب دلالتها .

نلاحظ في الأصوات المهموسة غلبة صوت السين الذي بلغ تواتره ؛ مرات بنسبة (7.05 % و قد ارتبط بالأفعال أكثر من ارتباطه بالأسماء . فالفعلان أقسم، نُسوّي) دلّ صوت السين فيهما على " التعـــالي بما يتوافق مع خاصية الامتداد إلى أعلى " [47 ص11. ، أن الله سبحانه و تعالى يقسم بذلك اليوم العظيم، كما أنه بقدرته و عُلوه قادر على تسوية الخلق كيفما يشاء .

يلي صوت السين صوت الهاء الذي بلغ تواتره ؛ مرّات بنسبة (5.29 % و ارتبط بالأسماء دون الأفعال . فكلمتا (القيـــامه، اللّوامه) الهاء فيهما أصلها تاء مربوطة للتأنيث و لكنّهما في القراءة تُنطقـــان هاءً بسبب الوقف ، لهذا أُطلق عليها هاء الوقف (أو هاء السّكت) و في الآية يوقف عليهما أيضا مراعاة للفواصل التي بعدها وهي (عظامه، بنانه، أمامه ، فحمل صوت الهاء دلالة القطع [47 ص193 بما يتوافق مع الأصوات القوية المشاركة معها و هي القـــاف في (القيامة) و اللاّم في اللّوامة) والظّاء في (عظامه) والميم في (أمامه ، فيوم القيامة قطعا لا مفرّ منه فتُلام فيه النّفوس وتُجمع فيه العظام،كما حمل الهاء في (بنانه " دلالة الرّقة بما يحاكي الرّقة والضعف في " [47 ص91. ، فدلّت على أنّ أضعف وأرق عظم في جسم الإنسان لا يعجز الله سبحانه وتعالى على تسويته وبعثه .

أمّا صوت الحاء فقد ورد مرّة واحدة بنسبة (88. % حاملا دلالة " التحرك والتّقلب في المها " [1؛ ؛ /72. ، فجاء مرتبطا بالفعل (أيحسب) الذي دلّ على تحرّك الإنسان و هو يمضي قُدُما نحو الأمام بذنوبه ومعاصيه ليلا ونهارا وهو يكذّب بيوم القيـــامة . وما يلاحظ على الأصوات المهموسة في هذا المقطع هو غياب أصوات الثاء، والشين، والخاء والصاد، والكاف فغابت دلالتها عند . من كلّ ما سبق يتبيّن لنا بأنّ الإيـــقاع الـــجهري في هذا المقطع وافق تكذيب الكفـــار ليوم البعث من جهة، ومن جهة

أخرى وافق إبراز قدرة الله سبحانه و تعالى على إعادة الخلق والبعث، أمّـا الإيقاع الهمسي فقد وافق ضعف الإنسان و قيامه بمهامه في اللّيل والنّهار مع ارتكابه المعاصي أو إنكاره ليوم البعث .

ثانيا : المقطع الثاني

الأصوات المـــجهورة	ع	ض	ق	م	و	ز	ن	ء	ر	غ	ظ	ج	د	ط	ل	ب	ا	ذ	ي
ترديدها	3	0	7	10	10	1	12	12	11	0	0	1	2	0	15	9	11	5	8

الأصوات المـــهموسة	ح	ث	هـــ	ش	خ	ف	س	ك	ت	ص
ترديدها	0	0	3	2	3	3	7	10	2	1

مـــجموع الأصوات	الـــمجهورة	نسبتها المئوية	الـــمهموسة	نسبتها المئوية
140	117	% 3,57	23	% 6,42

تواصل غلبة الإيقاع الجهري على الهمسي في المقطع الثاني، ويستمر صوت اللام في السيطرة على على بقية الأصوات الأخرى فتواتر 5 مرّة بنسبة (2.82 %) وقد ارتبط بالأسماء والحروف أكثر من ارتباطه بالأفعال، وهذه الأسماء هي : البصر، القمر، الإنسان، الـــمفر، المستقر فعبّر عن ارتباط الأسماء بمعرفة سابقة عنها [47 ص30] أمّا حروف المعاني فهي : كلاّ، لا، إلى، بل، على؛ فكلاّ هي : " حرف يفيد الرّدع والزجر " و (لا) تفيد النفي و (إلى) تفيد " انتهاء الغاية المكانية " [05 ص94] .

فقد اجتمعت حروف المعاني هذه في قوله تعالى :﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ ﴾ [99] (1 -2) لتؤدي دلالة الخطاب الموجه من الله سبحانه وتعالى بأنّه " لا ملجأ يتحصّن به، بل إلى الله مستقرّ الخلائق فيُحاسبون ويُجازون ثمّ ينبّأ بأول عمله وآخره " [51 ص377] .

أمّا (بل) فقد وردت في قوله تعالى :﴿ بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [99] (4) بل هنا حرف " عطف أفادت تقرير ما قبلها [05 ص303] ، فزيادة على إنباء الإنسان بكلّ أعماله المتقدّمة والمتأخرة فإنّ " سمعه وبصره ويداه ورجلاه وجوارحه كلّها تشهد عليه " [ ] 4/377] .
أمّا حرف الجر على) فقد ورد في الموضع نفسه من الآية بمعنى الباء والتقدير هنا : بل الإنسان بنفسه بصيرة [05 ص335] . أمّا (لو) في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ ﴾ [99] (5) جاءت (لو) بمعنى إن الشرطية فالفعل (ألقى) هو فعل ماض يدلّ على المستقبل في معناه ولو هنا غير جازمة [05 ص291] ، فالمعنى في الآية : وإن ألقى الإنسان معاذيره فنفسه بصيرة عليه .

يلي صوت اللاّم صوت النون والهمزة إذ تواتر كلّ منهما 2. مرّة بنسبة (0.25 %) فارتبطت الهمزة بالأسماء أكثر من الأفعال، وأول ما ظهرت الهمزة في هذا المقطع مع اسم الشرط إذا و هي ' ظرف لما يستقبل من الزمن خافض لشرطه منصوب بجوابه " [3 ص9، ، وهذه الشروط هي : " انبهار الأبصار يوم القيامة وخشوعها وحيرتها من شدّة الأهوال ومن عظم ما تشاهده يوم القيامة من الأمور " [ز] ا /76، ، وهذه الأمور كما وردت في الآية هي : ' خسوف القمر أي أظل وذهب نوره، وجمع الشّمس والقمر أي طلعا من المغرب أو ذهب ضوؤهما " [51 ص77، ، فيوم تحدث تلك الأهوال يكون جواب الشرط بأن يقو الإنسان : أين الـــمفر؟ هل من ملجأ أو موئل' [ز] ا /76، ، فحمل بذلك صوت الهمزة دلالتي الشّدة والبروز بما يوافق بروز أهوال ذلك اليوم فتشتدّ على الإنسان فيُبادر بالسؤال عن مفرّ أو ملجأ فتبرز جميع أعماله كبيرها وصغيرها وقديمها وحديثها وتُـــعرض عليه .

أمّـــا صوتي الرّاء والـــميم فقد وردا بنسبتين متقاربتين هما على التوالي (40. %) و (45. %) فارتبط صوت الرّاء بالأسماء أكثر من ارتباطه بالأفعال، و هذه الأسماء هي : البصر، القمر، المفر، وزر،المستقر، بصيرة، معاذيره،فحمل دلالة الخوف والفزع [47 ص6، ، فمايراه الإنسان من أهوال ذلك اليوم يجعله يصاب بالفزع والخوف والجزع فلا يلبث أن يبحث عن ملجأ يتحصّن به فيأتيه الجواب من الله سبحانه وتعالى بقول : ﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ } .

أمّا صوت الميم فقد دلّ على الجمع والضّم في قوله تعالى :﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ } (ا).

يليهما صوت الباء الذي تواتر ا مرات بنسبة (69. %) فارتبط بالأسماء أكثر من الأفعال، وهذه الأسماء هي : البصر، بصيرة، ربّك فحمل فيها دلالتي الشّدة والقطع [47 ص6، ، فتوافق مع شدّة انبهار البصر لشدّة أهوال ذلك اليوم، وقطع الشك باليقين عندما تشهد الجوارح على صاحبه .
يليهما صوتي القاف والذال بنسبتين متقاربتين هما على الترتيب (98. %) و (27. %) فحمل القاف دلالة " الشدّة والقوّة " [47 ص44. ، وارتبط باسمين ها (القمر، الـــمستقر) كما ارتبط بالأفعال التالي : برق، يقـــول، قم، ألقى فكلّها تعبّر عن قوّة وشدّة الأهوال التي تقع على الإنسان والتي تجعله يبحث عن المعاذير ويـــحاول الفرار إلى حصن منيع يتحصّن بـ .

أمّا صوت الذال فقد حمل دلالتي الاهتزاز والاضطراب [47 ص66 في كلمة (يومئذ) التي تدلّ على يوم القيامة، ذلك اليوم الذي يضطرب فيه الإنسان و يهتزّ كيانه من وقع تلك الأهوال وكأنّه في كابوس يتمنى أن يستيقظ منه، ومن عرض كلّ أعماله التي قدّمها وأخّرها في هذه الحياة الدّنيا، ولا يدري أين يتّجه أوإلى أين يفرّ وأيّ معاذير يقدّمها لينجو بحياته ويتخلّص من العذاب الذي ينتظر .
و الـــملاحظ على هذا الـــمقطع غياب أصوات الضاد والغين والطاء والظاء فغابت دلالتها عن .

أمّا الإيقاع الـــهمسي فيتواصل فيه غلبة صوت السين الذي بلغ تواتره 7 مرات بنسبة (0.43 %) وقد ارتبط بالأسماء التالي : الشّمس، الإنسان، المستقر، نفسه، فدلّ في الشّمس على " الخفاء والاستقرار والظلام " [47 ص11. بما يوافق جمع الشّمس في ذلك اليوم مع القمر فيختفي ضوؤهما ويصبحان " أسودين مكورين كأنّهما ثوارن عقيران في النّار " [ز] ا /648 .
أمّا السين في كلمتي (الإنسان) و (نفسه) فقد حمل دلالتي " الرّقة والضعف " [47 ص11. بما يوافق ضعف الإنسان فيذلك اليوم وهو يبحث عن مفرّ وجوارحه كلّها تشهد ضدّه، ويظهر كلّ ما كان

يخفيه من أسرار في نفس . أمّا في كلمة (الــمستقر) فقد حمل فيها السين دلالة الاستقرار [47؛ ص11. فلا مفرّ ولا وزر إلاّ لله الذي إليه المستقر .

يليها أصوات الشين والصاد والكاف التي تواتر كلّ منها مرّتين بنسبة (69. %) فدلّت الكاف على " الشدّة و الفعالية " [47 ص0؛ في (كلاّ) التي دلّت على شدّة الرّدع و الزّجر للإنسان الذي يحاول الفرار بألاّ مهرب و لا مفرّ ، أمّا في (ربّك) فالكاف للخطاب و المُخاطَب هو الإنسان .
ثمّ صوت الشين الذي ورد مشدّدا أي بمثابة نطق شينين لا شينا واحدة في كلمة (الشّمس ، فدلّت على " الخلط والتّجميع " [47 ص15. ؛ بما يوافق جمعها في ذلك اليوم مع القمر .

أمّا صوت الصّاد في كلمتي (البصر، البصيرة) فقد حمل دلالتي " الصّفاء والنّقاء " [47 ص50. ، بما يوافق انبهار الأبصار في ذلك اليوم وصفائها لترى تلك الأهوال يقينا، وشهادة جوارح الإنسان عليه بصفاء ممّا يحول بينه وبين نكران الحقائق وإنكاره .

وما يلاحظ على الإيقاع الهمسي هو غياب صوتي الحاء والثّاء فغــابت دلالتهما عن المقطع الثاني .
ممّا سبق يتبيّن لنا بأنّ الإيقاع الجهري في هذا المقطع برز بالتّهديد والوعيد للمكذّبين بيوم القيامة وذلك بذكر أهوال ذلك اليوم الذي لا مفرّ منه، أمّا الإيقاع الهمسي فقد وافق ذهول الإنسان .

ثالثا : المقطع الثالث

الأصوات المــجهورة	ع	ض	ق	م	و	ز	ن	ء	ر	غ	ظ	ج	د	ط	ل	ب	ا	ذ	ي
ترديدها	5	0	3	3	1	0	11	6	5	0	0	2	0	0	5	4	9	1	3

الأصوات المــهموسة	ح	ث	هــ	ش	خ	ف	س	ك	ت	ص
ترديدها	1	1	7	0	0	1	1	2	2	4

مــجموع الأصوات	الــمجهورة	نسبتها المئوية	الــمهموسة	نسبتها المئوية
76	58	% 6,31	18	% 3,68

يتواصل ارتفاع الإيقاع الجهري في هذا المقطع، والملاحظ هو سيطر صوت النّون الذي بلغ تواتره 1 مرة بنسبة (8.96 %) فارتبط بالأسماء التاليـ : لسانك، قرآنه، بيانـ . فدلّ على " الرّقة والاستكانا ' [47 ص60. ، التي تمثّلت في الخطاب الموجّه إلى الرّسوا – صلى الله عليه وسا – في " تعليم الله عزّ وجلّ له في كيفية تلقيه الوحي من الملك في قراءة القرآن، فتكفّل الله بجمعه في صدره لا بتحريك لسانه، و الثانية قرآنه أي تلاوته، والثــالثة بيانه أي تفسيره و إيضاح معناه " [ ] ا /77؛ .

كما ارتبط صوت النون بـــ إنّ) في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ [99]

(7) وهي حرف مشبّه بالفعل يفيد التّوكيد فأفادت التأكيد من الله عزّ وجلّ لنبيّه الكريم بأنّه سيتكفّل بجمعه في صدره وتلاوته، كما دلّت النون في علينا) على الاستعلاء، و هذا لارتباطها بـ على) التي هي حرف جرّ تحمل معنى الاستعلاء [05 ص35 ، فأكدت على قدرة الله سبحانه وتعالى على التّكفل بكلّ ذلك، كما ارتبط النون بالفعل (قرأنا) في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ [99] (8) فحمل دلالة الظهور بما يوافق المعنى أي " إذا ظهرت وبدت لك تلاوته من الملك عن الله تعالى فاستمع له ثمّ اقرأه كما أقرأك [ز] ا /77 .

يلي النون صوت الهمزة حيث تواتر ا مرات بنسبة (0.34 %) الذي دلّ على البروز بارتباطه بـــ إذا) وهي - كما سبق ذكر – ظرف لما يستقبل من الزّمن أي إذا برز وظهر الوحي لك وهو القرآن فعليك بالاستماع إليه، كما ارتبطت الهمزة بـــ (إنّ) التي تحمل معنى التوكيد .
تلي الهمزة أصوات العين والراء واللاّم حيث تواتر كلّ منها مرات بنسبة (62. %) فارتبط العين بحرف الجر (على) فدلّ على الاستعلاء و وقدرة الله سبحانه وتعالى، أمّا في الفعل تعجل) فقد حمل دلالة " العظم و العلو " [47 ص15! فلعظمة القرآن و علّو شأنه كان النبي عليه الصلاة و السلام " يبادر إلى أخذه ويسابق الملك في قراءته " [ز] ا /77 .

أمّا صوت الرّاء فقد دلّ على التحرّك والتكرار في الفعل (تحرّك) فقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يحرّك لسانه بالقرآن ويكرّر ما يقوله الملك " لئلا ينفلت منه " [51] ا /49 ، كما ارتبط الراء بـــ قرأنا) فحمل الدلالة نفسها أي تحريك اللّسان والشفتين .

يلي الراء صوت الباء الذي تكرّر مرات بنسبة (89. %) فارتبط بالضمير (بـ) وهو حرف جرّ بمعنى مع " [05 ص5 –6 أي لا تحرّك معه لسانك، أمّا الباء في (بـ) الثانية فهي " زائدة للتوكيد زيدت في المفعول به وهو القرآن الكريم والتقدير : لتعجل القرآن " [05 ص6 .

أمّا في قوله تعالى : ﴿ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ [99] (8) فقد دلّ الباء على العلو [47 ص101 فالأمر وارد من الله سبحانه وتعالى لرسوله بأن يكون " مقفيا له و بألاّ يراسله " [ز] ا /49 .

يلي صوت الباء صوتي القاف والميم إذ بلغ تواتر كلّ منهما مرات بنسبة (17. %) فالقاف صوت يدلّ على القوة والشدة والفعالية بما يتوافق وشدة التكليف النبي صلى الله عيه وسلم بتحريك لسانه ومسابقته للملك لقراءة القرآن، فنَـــهاه الله عزّ وجلّ عن ذلك التكليف لما فيه من مشقة له و أمره بالاستماع إليه فقط، أمّـــا صوت الميم في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ ﴾ [99] (7).

أمّا الإيقاع الهمسي فصوت الهمزة هو الغالب فيه،فقد تواتر مرات بنسبة (8.88 %) فقد ورد متّصلا بالأسماء التالي : جمعه، قرآنه، بيانه، قَرَأنَاه، كما اتّصل بحرف جرّ و هو الباء بـ ، فالهاء في الأسماء هو ضمير متّصل مبني في محلّ جرّ مضاف مع الأسماء ، وفي محلّ نصب مفعول به في الفعل، و في محلّ جرّ اسم مجرور في اتّصاله مع الباء و كلّها تعود على القرآن [ز] ا /48 –49 .

يلي الهمزة صوت التّاء الذي بلغ تواتره 1 مرات بنسبة (2.22 %) وقد اتّصل بالأفعال فقط وهي : (تحرّك، تعجل، اتّبع) فأمّا الفعلين الأولين فالتـــاء فيهما هي أحد أحرف المضارعة التي تدلّ على المفرد المُخَاطب (أنتَ) وهو النبي عليه الصلاة والسلام، أمّا الفعل الأخير فالتّاء فيه أصلية وهي مدغمة فحمل بذلك دلالة الرّقة [47 ص7؛ بما يوافق الرقة واللّيـــن اللّذَيْن خصّ بهما نبي الرّحمة من ترك تحريك لسانه والتعجيل بالقرآن ما فيهما من مشقة، والاكتفاء بالاستماع فقط ثمّ قراءته كما أنزل أمّا صوتي الكاف والقاف فقد تواتر كلّ منهما مرّتين بنسبة (1.11 %) فالفاء حرف عطف يدلّ على الترتيب والتعقيب في فوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ [99] (8 أمّا الفاء الثانية فهي رابطة لجواب الشرط [05 ص43 و الكاف ارتبطت بالفعل (تحرّك) فدلّت على الحركة، و في (لسانك) الكاف هو ضمير متّصل مبني في محلّ جرّ مضاف إليه، وهي كاف المخاطب وهو النبي . أمّا أصوات الحاء والثاء والسين فقد تواتر كلّ منها مرّة واحدة بنسبة (55. ٪) فدلّ الحاء على الحركة في (تحرّك ، و الثاء دلّ على الترتيب والتراخي في (ثمّ ، و السين حمل دلالة الحركة في (لسانك ، فقد كان النبي يحرّك فـــاه مع لسانه لقراء القرآن الكريم .

من كلّ ذلك يتبيّن لنا بأنّ الإيقاع الجهري وافق شدّة تكليف النبي عليه السّلام نفسه للتعجيل بقراءة القرآن الكريم مـــخافة أن ينفلت منه، بينما وافق إيقاع الهمس عناية المولى سبحانه عزّ وجلّ لنبيّه الكريم بالتّعهد بحفظه في صدره و قراءتهن ثمّ بيان تفسيره وتوضيحه .

رابع : المقطع الرابع

الأصوات المـــجهورة	ع	ض	ق	م	و	ز	ن	ء	ر	غ	ظ	ج	د	ط	ل	ب	ا	ذ	ي
ترديدها	5	1	12	14	23	2	34	21	14	1	3	5	3	2	40	15	37	11	16

الأصوات المـــهموسة	ح	ث	هـــ	ش	خ	ف	س	ك	ت	ص
ترديدها	3	4	10	0	2	12	11	12	14	2

مـــجموع الأصوات	الـــمجهورة	نسبتها المئوية	الـــمهموسة	نسبتها المئوية
316	246	% 7,84	70	% 2,15

تتواصل غلبة الإيقاع الجهري في المقطع الأخير، وقد بلغ صوت اللاّم 0 مرات بنسبة (6.26 ٪) وقد ارتبط بالحروف التالي : كلاّ، بل، لكن، لك، لم، على، ورد الحرف الأول والثاني في قوله تعالى :

﴿ كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [99] (0!) كلاّ هي حرف استفتاح بمعنى ألا [51 ص578 أمّا (بل) فهي " حرف ابتداء يدلّ على الإضراب الانتقالي؛ يعني ترك الحكم السابق كما هو والانتقال إلى غرض آخر " [05 ص03 ، فبعد خطاب الله سبحانه وتعالى لنبيّه الكريـــم ينتقل خطاب الكفار

الدّين " يكذّبون القيامة ويخالفون ما أنزله الله عزّ وجلّ على رسوله صلى الله عليه وسلّم من الوحي والقوّة والقرآن العظيـــم إنّما همّتم إلى الدار العاجلة و هم لاهونَ متشاغلون عن الآخرة " | ص7؛ .

أمّـــا (إلى) فقد وردت في قوله تعالى : ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [99؛](3؛ ، أفادت هنا معنى حرف الجرّ وهو اللاّم أي بمعنى لربّها ناضرة [05 ص9؛ ، أمّا (كلاّ) في قوله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴾ [99؛] (9؛ فقد وردت بمعنى ألا أي حقا إذا بلغت التراقي أي انتزعت روحك من جسدك وبلغت تراقيك [؛] ؛ /79؛ ، وفي قوله تعالى : ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ ﴾ [99؛] (0؛) إلى هي " حرف جرّ يفيد انتهاء الغاية المكانية [05 ص0؛ فيكون معنى الآية إلى الله المرجع والمآب وذلك أنّ الرّوح ترفع إلى السموات بعد احتضارها " [؛] ؛ /80؛ ، وفي قوله تعالى : ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ ﴾ [99؛] (1؛) اللاّم تكرّرت مرّتين كلاهما بمعنى لـــمْ أي لم يصدّق ولم يصلّ، وقيل إنّها نزلت في أبي جهل [51 ص78؛ .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ﴾ [99؛] (2؛ أفادت (لكن) العطف للاستدراك لأنّ أبو جهل لم يصدّق ولم يصلّ و استدرك ذلك بتكذيبه للحق متولّيا عن العمل به بقالبه فلا خير فيه [؛] ؛ / 80؛ وفي قوله تعالى : ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ ﴾ [99؛] (4 -5؛) فالآيتان هما " موضع تهديد و وعيد أكبر من الله تعالى للمتبختر في مشيته أي يحقّ لك أن تمشي هكذا وقد كفرت بخالقك وبارئك، كما يقال في مثل هذا على سبيل التهكم والتّهديد " [؛] ؛ /80؛ ، فهذا الخطاب موجه للكافر، واللاّم هنا للتبيين أي : وليّك ما تكره، ثمّ تكرّرت الآية [51 ص78؛ .

فنلمس في صوت اللاّم علوا و قوّة من الله عزّ وجلّ على الكافر الذي أراد علوّا في الحياة الدنيـــا، فمهما طغى وتجبّر فإنّ فوقه من هو قادر على إهلاكه وتعذيبه عذابا شديدا وهو الله وحده لا شريك له وهو العلي العظيم .

أمّا في قوله عزّ وجل : ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ [99؛] (0؛) فاللاّم في على) دلّت على الاستعلاء، أي علو الله سبحانه وتعالى وقدرته على الخلق وإعادة بعثه من جديد فهو " الذي أنشأ هذا الخلق السويّ من هذه النطفة الضعيفة بقادر أن يعيده كما بدأ ... وروي عن رسول الله صلى الله عيه وسلم أنّه بعد قراءته لهذه الآية كان يقول : سبحـــانك فبلى " [؛] ؛ /81؛ .
كما ارتبط صوت اللاّم بالأسماء التالي : العاجلة، الآخرة، الفراق، المساق، الإنسان، الأنثى، الموتى فاللاّم فيها أداة تعريف تدلّ على معرفة سابقة عنه .

يليه صوت النون الذي تواتر 4 مرات بنسبة (3.82 %) وقد ارتبط بالفعلين (تحبون، تذرون) فالنون فيهما علامة الرّفع لأنّهما من الأفعال الخمسة التي ترفع بثبوت النون ، أمّا في الأفعال التالي : تظنّ، ظنّ، تُمنى، كان؛ فالنون فيها حرف أصلي لها، فقد ورد الفعل الأول منها في قوله تعالى :

﴿ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [99] (5! ، ظنّ) هي من أفعال الرّجحان [3 ص201 ولكن في الآية وردت بمعنى توقن [51 ص78؛ والمعنى نفسه في قول : ﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [99 (8!) أي أيقن على فراق الدنيا [51 ص78؛ . أمّا النون في الفعلين (تمنى، كان) فقد دلاّ على البروز والظهور بما يوافق ظهور الإنسان وخروجه إلى الحياة الذي يبدأ من نطفة حقيرة من منيّ ليصبح بعدها علقة، ثمّ يسوي الله خلقه ويعدّل أعضاءه [51 ص78؛ .

يلي صوت النون الهمزة التي تواترت 1 مرات بنسبة (53. %) بدلالته على الشدّة والبروز وقد ارتبط بكلمتي الآخرة، يومئ) ليدلّ على بروز ذلك اليوم مع ظهور أهواله وشدّتها على الإنسان . و الهمزة في (أولى) تدلّ على شدّة التهديد و الوعيد للكافر الذي أراد علوا في هذه الدّنيا . أمّا الهمزة في قوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾ [99 ص136 فالهمزة في أيحسب) هي " همزة الإنكار الإبطالي التي يكون ما بعدها غير واقع ومدّعيه كذبا " [7! ص7. ؛ فالإنسان يدّعي أنّه خلق مهملا لا يؤمر ولا ينهى وأن يترك في قبره سدىً لا يبعث وهو كذِب؛ بل هو مأمور منهي في الدنيا محشور إلى الله في الدار الآخرة، والمقصود هنا إثبات المعاد والرّد على من أنكره من أهل الزيغ و الجهل و العناد (" . وفي قوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ [99] (0! فالهمزة في (أليس) هي أيضا همزة الإنكار الإبطالي غير أنّها وقعت في النفي فجعلته إثباتا، والتقدير هو : ذلك الله قادر على إحياء الموتى [ز] !/81؛ .

يلي الهمزة صوت الباء الذي تواتر 5 مرات بنسبة (09. %) وقد ارتبط بالأفعال التالي : تحبّون، بلغت، كذّب، ذهب، يحسب، فحملت دلالة القطع بما يتوافق والحبّ القاطع للدنيا من الكافر الذي يسعى لها سعيها، فيكذّب بالآخرة والبعث اعتقادا منه أنّه لن يأتي يوم يُحاسب فيه .

يلي صوت الباء صوتي الميم والراء فتواتر كلّ منها 4 مرات بنسبة (96. %) وقد ارتبط الراء بالأسماء التالي : الآخرة، ناضرة، ناظرة، باسرة، فاقرة، فحمل في ناضرة، ناظرة) دلالات " الرقة والرخاوة والنّضارة " [47 ص5؛ ، بما يوافق نضارة وحسن وبهاء وجوه المؤمنين لرؤية ربّهم، في المقابل حمل صوت الراء دلالات معاكسة هي " الخوف والفزع " (" في باسرة، فاقرة) ما يوافق شدّة عبوس الوجوه الكافرة وكلوها وتيقنها من داهية عظيمة ستصيبها ممّا يبعث على خوفها وفزعها ورعبها . بينما دلّ صوت الميم على الجمع والضمّ في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُم كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ [99] (7 –9؛ . وهذا يوافق جمع النطفة مع المني لتصبّ في الرحم ثمّ صبح علقة بعد فترة معلومة، ثمّ يخلق الله منها ما يشاء إمّا الذكر وإمّا الأنثى، وهذا يكون بمراحل متتالية مرتّبة فلا تسبق أيّ مرحلة مرحلة أخرى .

يليهما صوتي الذال والقاف بنسبتين متقاربتين هنا على الترتيب (87. %) و (47. %) فالقاف دلّ على القوة والشدّة بما يوافق شدّة ذلك اليوم وهذا في قوله تعالى :

﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ ﴾ [99] (5 –0؛).

فبعد أن يتيقن الكافر بأنّ داهية ستصيبه تقصم فقار ظهره، يقال للكفار ارتدعوا عن إيثار الدنيا على الآخرة وتنبهوا على أنّ مابين أيديكم من الموت الذي تنقطع العاجلة عنكم، فعند الموت تبلغ النفس التراقي ... وهو يدلّ على صعوبة الموت الذي هو أول منازل الآخرة، فقال الحاضرون عند رؤيتهم للمحتضر : هل من راق؟ أيّكم يرقيه ممّا به، ويتيقن أنّه فراق الدنيا الـمحبوبة، والتفت ساقاه عند علز الموت وهي كرعدة تصيب المريض فيُسلق إلى الله وحكمه " [1؛] 1/50؛ فقد ساهم صوت القاف بشدّته وقوّته بما يتناسب وشدّة فراق الدنيا والإقبال على الآخرة، وما من قارئ يقرأ هذه الآيات إلاّ و خشع قلبه ودمعت عيناه و هو يسأل الله حسن الـخاتمة و يعوذ به من عذابه يومئ . أمّا صوت الذال فقد حمل دلالة التّفرد [47 ص5؛ في (يومئذ) و (ذلك) بما يوافق تفرّد ذلك اليوم - وهو يوم القيام – عن سائر الأيام الأخرى التي عاشها الإنسان في حياته، فسيقف بين يدي الله سبحانه و تعالى ليحاسب على كلّ صغيرة وكبيرة فعلها في حياته، والله وحده سيتفرّد بالحساب والعقاب .

أمّا في كلمة الذّكر) فقد حمل الذال دلالة " الذكورة التي تحمل خشونة الملمس [47 ص5؛ فليس الذكر كالأنثى . يليهما صوتي الـجيم والعين الذين تواترا مرات بنسبة (03. %) فأوحى صوت الجيم بدلالات " الشدّة والقوة والقساوة والصّلابة والغلظة " (' بما يوافق شدّ حبّ الكفار للدنيا في قوله تعالى : ﴿ بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ ﴾[99] (0؛ ، كما دلّ على شدّة النضارة للوجوه المؤمنة بما يقابل شدّ العبوس والكلاحة وجوه الكفار في قول : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[99] (2؛)

وفي قوله أيض : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [99] (4؛).

و دلّ صوت العين على العلو في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ ﴾[99] (8؛) وهذا يوافق كون الإنسان من علقة ضعيفة يعلو شأنها لتصبح مخلوقا سويّ .

أمّا في قول : ﴿ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ [99] (0؛) أفادت على) معنى ' الاستعلاء المعنوي "

[05 ص9؛ فالله هو العلي القدير وحده القادر على إحياء الموتى، وبعثهم ليحاسبهم على أعمالهم، فكما بدأ الخلق يعيده، فهو أعلى وأكبر ممّن طغى وتجبّر .

أمّا الإيقاع الهمسي فقد سيطر فيه صوت التاء الذي تواتر بنسبة (0 %) وقد ارتبط بالأفعال أكثر من ارتباطه بالأسماء، وهذه الأفعال هي : تحبون، تذرون، تظنّ، تولى، يتمطى، يترك، تُمنى، فالتاء في هذه المواضع هي أحرف مضارعة، أمّا في الفعلين (التفت، بلغت) فهي للتأنيث، الأولى منها تعود على الساق، أمّا الثانية فتعود على النّفس .

يلي التاء صوتي الفاء والكاف اللّذين بلغ تواترهما 2 مرات بنسبة (7.14 %) فارتبط الكاف بحروف المعاني : كلاّ، لكن، لك، فدلّت في الأولى على الشدّة والفعالية بما يوافق شدة الرّدع والزّجر للكفار الذين يحبون الدنيا ويسعون لها سعيها ، وفي قوله تعالى : ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [99](2) دلّت على شدّة تكذيب الكافر للنبي عليه الصلاة والسلام وبما أنزل عليه من القرآن الكريم، وتولّيه عن الإيمان [51 ص78] .

يليهما صوتي السين والهاء بنسبتين متقاربتين هما على التوالي (5.71 %) و (4.28 %) فحمل السين دلالة التحرك والمسير في الأسماء التالي : الساق، المساق، باسرة، الإنسان، بما يتوافق مع تحرّك الإنسان بشكل دائم لأداء مهامه، وحتى عند الموت تتحرك ساقاه وتلتفان ببعضهما فيدلّ ذلك على شدّة إقبالٍ على الآخرة وفراق الدنيا فتتحرك النّفوس لتُساق إلى حكم ربّها [51 ص78] .
أمّا الهاء فقد ارتبطت بآخر الأسماء التالي : العاجله، الآخره، ناضره، ناظره، باسره، وأصلها تاء مربوطة وتنطق هاء بسبب الوقف أو السكت ومراعاة للفاصلة القرآنية أيضا .

كما ارتبطت بحرف الجر (من) في قول : ﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ﴾ [99] (9) فالهاء هنا ضمير متّصل مبني على الضمّ في محلّ جرّ اسم مجرور يعود على (المني .
يليهما صوت الثاء الذي تواتر 1 مرات بنسبة (1.71 %) فارتبط مع صوت الميم في (ثمّ الذي تكرّر 1 مرات حاملا دلالة الترتيب والتراخي، الأولى في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ ﴾ (3).
فبعد تكذيب الكافر بالقرآن وتوليه عن الإيمان، يذهب إلى أهله وهو يتبختر في مشيته متراخيا .
أمّا الثانية فهي قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ ﴾ فهو تهديد و ما بعده تهديد ووعيد، و (ثمّ) الأخيرة وردت في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً ﴾ فبعد مدة معينة من حياة النطفة تصير علقة أما الثاء في كلمة (الأنثى) فهي تدلّ على الأنوثة بما فيها من الرّقة [47 ص1] .

و ما يلاحظ على الإيقاع الهمسي هو غياب صوت الشين فغابت دلالته عن المقطع .
من كلّ ما سبق ذكره حول هذا المقطع يتبيّن لنا بأنّ الإيقاع الجهري الغالب فيه قد وافق حال النّاس وأوضاعهم يوم القيامة من شدّة للحسن ومن شدّ للعبوسة، كما وافق قدرة المولى عزّ وجلّ على خلق الإنسان من نطفة ضعيفة وقدرته على إحياء الموتى ممّا يعجز عن قيامه الإنسان، أمّا الإيقاع الهمسي فقد وافق ضعف الإنسان يوم احتضار، وقبل ذلك ضعفه قبل أن يكون إنسانا سويّ الخلقة؛ فقد كان نطفة ضعيفة من ماء مهين تُصبّ في الأرحام .

من خلال إحصائنا للأصوات المجهورة والمهموسة في المقاطع الأربعة تبيّن لنا بأنّ الجهورة كانت أكثر من المهموسة، ومردّ ذلك إلى الموضوع التي تناولته السورة وهو شدّ أهوال يوم القيامة الذّي أقسم الله به، وشدّ التهديد والوعيد للكفار الذين يكذّبون بهذا اليوم، وهم يسعون وراء الدنيا وملذّاتها تاركين وراءهم الآخر . كما لاحظنا ارتفاع الإيقاع الهمسي في المقطع الثالث بنسبة (3.86 %) مقارنة بالمقاطع الثلاثة الأخرى؛ وهذا يعود إلى أنّ هذا المقطع حمل معه لمسة الرّحمة والرّفق والتّخفيف على النبي عليه أفضل الصلاة والتسليم بألاّ يتعجّل بالقرآن الكريم قبل انقضاء الوحي إليه، فالله سبحانه وتعالى قد تكفّل بحفظه في صدره وبتلاوته، ثمّ تفسيره و بيان معنا .

3.1.1.1.ا . الشدّة والرخاوة، والتوسط بينهما

أو ا : المقطع الأول

مجموع الأصوات	الشّديدة	نسبتها المئوية	الرخوة	نسبتها المئوية	البينية	نسبتها المئوية
119	25	% 1.41	18	% .21	46	% 1

اكتفينا بإحصـــاء النسب لأنّنا في الجهر والهمس قد أحصيـــنا كلّ حروف العربية والتي عددها تسع وعشرون حرفا (29) فارتأينا عدم التكرار .
الملاحظ على هذا الـــمقطع هو سيطرة الأصوات البينية بنسبة (1 %) تليها الأصوات الشّديدة بنسبة (1.41 %) أمّا الرّخوة فهي منخفضة جدا بنسبة بلغت (21. %).
وما يلاحظ على الأصوات الشديدة هو غلبة صوت الهمزة الذي تواتر 0 مرات بنسبة (0 %) وقد أوحى بالشدّة والبروز [47 ص16 مقارنة مع صوت السين من الأصوات الرّخوة الذي تردّد بنسبة (4.44 %) وهو صوت يوحي بدلالات التحرك و المسير [47 ص1 وقد اجتمع هذان الصوتان معا في كلمة (أقسم) الذي ورد مرّتين في قوله تعالى : ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَـٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ ﴾ [99] (-ا) .

يليه صوت الباء بنسبة (ا %) مقابل صوت الهاء من الرّخوة بنسبة (33.ا %) وقد اجتمع الصّوتان في كلمة (بنانه) فدلّ الباء فيها على القطع (ا بينما كان الهاء ضميرا متّصلا يعود على الإنســـان ذلك الـــمخلوق الضّعيف، فغلبت دلالته التي أوحت بأضعف عضو في جسم الإنسان .
يلي صوت الباء صوت القاف الذي كانت نسبته (0 %) وهو صوت أوحى بدلالات الشدّة والقوة والفعالية [47 ص04. بما يوافق شدّة ذلك اليوم و بيان قدرة الله سبحانه و تعالى على تسوية البنان .

أمّا صوت الجيم فقد تواتر مرّتين بنسبة (%) وهو صوت يوحي بـ " القساوة والصلابة والغلظة " [47 ص106 كما ورد في قوله تعالى :﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَـٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ ﴾ (ا)

فالعظام تتيمّز بالصلابة والقسوة حتى يقول الإنسان بأنّه يصعب إعادة تجميعها بعضها ببعض فدلّ صوت الجيم بقساوته على قساوة قلب الإنسان الذي يمضي أمامه راكبا رأسه، فكان قلبه كالـــحجارة قسوة و أشدّ من ذلك .
أمّا صوت الدال ففيه من الشدّة والقوة [47 ص06 في كلمة (قادرين ما يوافق قدرة الله على تسوية البنان .

ما يلاحظ بالنسبة للأصوات الشديدة غياب أصوات : الكاف والطاء والتاء فغابت دلالتها عن الـــمقطع، كما نلاحظ غياب أصوات الشين والزاي والذال والخاء والغين والثاء من الأصوات الرّخوة فغابت دالتها هي الأخرى عنه أيض .

أمّـــا الأصوات البينية فكانت نسبتها مرتفعة مقارنة بالشديدة والرخوة، وقد سيطر فيها صوت اللام الذي حمل دلالات العلو والقوة كما في قوله تعالى : ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَـٰمَةِ ۝١ ﴾ [99] ( ).

يليه صوت النّون الذي حمل دلالة الرقة والاستكانة في بنـــان) كما حمل دلالة التعبير عن البطون في الأشياء في كلمة (النّفس) التي أقسم الله بها .

يليه صوت الميم الذي دلّ على الجمع والضمّ فدلّ على جمع العظام وضمّها إلى بعضها بعد شتات . وأخيرا صوتا العين الراء اللّذان تواترا مرات فحمل العين دلالتي العظم والعلو في الكلمات التالية : (نجمع، عظامه، على) بما يوافق عظمة الله سبحانه وتعالى، واستعلاؤه على البشر بقدرته على جمع العظام وتسوية البنـــان، أمّا الراء فقد دلّ على " الترجيع " [47 ص4 في (قادرين) بما يدلّ ويوحي بقدرة الله تعالى على إعادة الـــخلق فيرجع إلى حالته الأولى التي كان علـــيه .

من كلّ ما سبق يتبيّن لنا بأنّ سيطرة الأصوات البينية يمكن ربطه بالتوسط الذي نلمسه بين شدّة يوم القيامة الذي أقسم الله به، وبين ضعف الإنسان الذي يحسب نفسه قويا ويريد أن يفجر ويكذّب بذلك اليو .

ثانيا : المقطع الثـــاني

مجموع الأصوات	الشّديدة	نسبتها المئوية	الرخوة	نسبتها المئوية	البينية	نسبتها المئوية
140	34	% 4.28	26	% 8.57	51	% 6.42

تستمر غلبة الأصوات البينية على كلّ من الشديدة والرخوة، وأكثر الأصوات الشديدة تواترا هو صوت الهمزة الذي تواتر 2 مرة بنسبة (5.29 %) وقد حمل دلالتي الشدة والبروز بما يوافق بروز أهوال ذلك اليوم فتشتدّ على الإنسان فيُبادر بالسؤال عن مفرّ أو ملجأ فتبرز جميع أعماله كبيرها وصغيرها وقديمها وحديثها وتُـــعرض عليه، أمّا أكثر الأصوات الرخوة ترددا هو صوت السين الذي حمل دلالتي التحرك والمسير وقد اجتمع هذان الصوتان في قوله تعالى : ﴿ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ﴿١٠﴾ ﴾ [99] (0 ، فالإنسان دائم الحركة في الحياة الدنيا يحاول أن يتحرك يوم القيامة بالفرار إلى أيّ ملجأ يقيه من عذاب يومئذ وشدّته .

يلي صوت الهمزة من الأصوات الشديدة الباء الذي تواتر بنسبة (6.47 ٪ ويقابله من الأصوات الرخوة صوت الذال بنسبة (9.23 %) وقد ورد هذان الصوتان في الآية نفسها من قوله تعالى : ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ﴿٧﴾ ﴾ [99] (′) فدلّ الباء على القطع والذال على ارتبط باسم الشرط (إذا) فاستمد دلالته منه، والفعل (برق) هو فعل الشرط الذي يقع جوابه في الآية الـــموالية له .

وقد غاب عن المقطع صوت الطاء من الشديدة، أمّا من الرخوة فقد غاب كلّ من الضاد والغين فغابت دلالتها عنـ .

أمّا الأصوات البينية فقد سيطر فيها اللاّم بنسبة (9.41 %) وقد ارتبط بالأسماء والحروف أكثر من ارتباطه بالأفعال، فدلّ في الأسماء على ارتباط الأسماء بمعرفة سابقة عنها مثل : الإنسان، القيامة، البصر .. ، كما حمل في الحروف دلالات مختلفة منها (إلى) التي أفادت انتهاء الغاية المكانية كما في قوله تعالى : ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ ﴿١٢﴾ ﴾ [99] (2).

ويمكننا ربط التوسط بين الشدّة والرخاوة بالتوسط بين أهوال يوم القيامة من خسوف القمر و جمعه مع الشّمس و غيرها من الأهوال، بمحـــاولة الإنســـان الفرار والبحث عن ملجأ يفرّ إليه .

ثـــالثا : المقطع الثـــالث

مجموع الأصوات	الشّديدة	نسبتها المئوية	الرخوة	نسبتها المئوية	البينية	نسبتها المئوية
76	21	% 7.63	13	% 7.10	29	% 8.15

يستمر ارتفاع الأصوات البينية على الشديدة والرخوة، وأكثر الأصوات الشديدة توترا هو الهمزة مقابل صوت الهاء من الرخوة، فدلّت الهمزة على الشدة والبروز بينما دل الهاء على ضمير الغائب وقد اجتمع الصوتان في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ [القيامة] (18).

يلي الهمزة صوتي الباء والتاء بنسبة (9.04 %) يقـــابله من الرخوة صوت الفاء بنسبة (5.38 %) فاجتمعت الثلاثة في كلمة (فاتّبع) فالفاء واقعة في جواب الشرط بينما دلّ صوت الباء فقد دلّ الباء على العلو فالأمر وارد من الله سبحانه وتعالى لرسوله بأن يكون مقفيا لـ .
يليهما من الأصوات الشديدة صوت القاف بنسبة (4.28 %) مقابل أصوات الحاء والسين والذال والثاء بنسبة واحدة هي بنسبة (2.69 %) فقد دلّ القاف على الشدّة والقوة والفعالية بما يوافق شدة تكليف الرسول عليه الصلاة والسلام نفسه بتحريك القرآن الكريم، بينما حمل صوتا السين والحاء دلالة الحركة، والثاء استمد دلالته من الحرف المعنى وهو العطف الذي له دلالة الترتيب والتراخي، كمـــا في قوله تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ ﴾ [القيامة] (16).

وقد غاب عن هذا الـــمقطع صوتا الطاء والدال من الشديدة، أمّا من الرخوة فقد غابت أصوات كثيرة هي : الشين، الصاد، الضاد، الزاي، الطاء، الخاء، والغين فغابت دلالتها عن .

ويمكننا ربط التوسط بين الأصوات الشديدة والرخوة بشدّة تعجيل النبي عليه الصلاة والسلام بقراءة القرآن الكريم مع نزول الوحي عليه عن طريق جبريل عليه السلام، بخطاب الله عزّ وجلّ له وعنايته به بأمره بألا يتعجّل به رأفة به ولطفا .

رابعــ : المقطع الرابع

مجموع الأصوات	الشّديدة	نسبتها المئوية	الرخوة	نسبتها المئوية	البينية	نسبتها المئوية
316	84	% 6.58	62	% 9.62	107	% 3.86

يستمرّ ارتفاع الأصوات البينية في المقطع الأخير مقــارنة بالشديدة و الرخوة، كما استمرّ ارتفاع نسبة الأصوات الشّديدة بــ (6.58 %) مقارنة بالرخوة التي انخفضت بنسبة (9.62 %).
و أكثر الأصوات الشديدة ترددا هي الهمزة التي بلغت نسبتها (5 %) فحملت دلالتي الشدة والبروز مع ارتباطها بالأسماء مثل كلمتي (الآخرة، يومئذ) بما يوافق بروز يوم القيامة وأهواله التي تكون شديدة الوقع على الإنسان يومئذ، في مقابل صوت الفاء من الرخوة بنسبة (9.35 %) فدلّ على العطف الذي يفيد الترتيب والتعقيب في قوله تعالى : ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ ﴾ [القيامة] (31).

وفي قول : ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ ﴾ [القيامة] (34-35).

يلي الهمزة صوت الباء الذي كانت نسبته (7.85 % مقابل صوتي الذال والسين من الرخوة بنسبة (7.74 %) وقد ارتبط الباء بالأفعال منه : (تحبّون، بلغت ...) بينما ارتبط السين بالأسماء منها (الساق، الــمساق ..) فحمل الباء دلالة القطع والثبوت، بما يتوافق وثبات الكافر على حبّ الدنيا وتيقنه من أنّه لن يُحاسب يوما على أفعاله، في حين حمل السين دلالة التحرك والمسير . بينما الذال فهو للتفرّد كما قوله تعالى : ﴿ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ ﴾ (21) أي " تدعونها " [القيامة] 0 /0 .

فالكافر هو الذي يتفرد بحب الدنيا تاركا وراءه الآخرة،أمّا في قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ﴾ [القيامة] (22 و23) فدلّ على انفراد الوجوه المؤمنة بالحسن والإشراق، مقابل تفرّد الوجوه الكافرة بالعبوس .

يليــها صوت التاء من الشديدة بنسبة (4.28 %) مقابل الهاء من الرخوة بنسبة (6.12 %) و قد ارتبط صوت التاء بالأفعال (تحبّون، تذرون) فهما ' على الخطاب " [القيامة] 0 /0 ؛ أي أنّهما تاء المضارعة، أمّا في (بلغت، التقت) فهنا للتأنيث لا محلّ لهما من الإعراب، بينما حمل الهاء دلالة بما يوافق اجتماعها مع الأصوات القوية؛ كالجيم في (وجوه) والهمزة في (أهله) فالوجوه المؤمنة تتيقن من رؤية ربّها، بينما تتيقن الوجوه الباسرة من أنّ داهية ستحلّ بها .

يليها صوتا الكاف والقاف بنسبة (4.28 % مقابل الحاء والظاء بنسبة (.83 %) فحمل الصوتان الأولان دلالات الشدة و القوة والفعالية بما يوافق شدة أهوال ذلك اليوم، وقد ارتبط القاف بالأسماء التي تحمل تلك الدلالات منها (فاقره، التراقي، الفراق ..) كما ارتبط الكاف بحرف الردع (كلاّ) فاستمدّ دلالته منه، بينما دلّ الحاء على التحرك والمسار والتقلب في المهام وقد ارتبط بالأفعال فقط (تحبّون، أيحسب) وهي تتعلّق بالإنسان الذي يتحرك في الحياة الدنيا ويسعى لها ناسيا الآخرة ، أمّا صوت

الظاء فقد حمل دلالة " التمكن " [47 ص23. وقد ارتبط بكلمة (ناظرة) التي هي من " النظر أي تتمكن الوجوه الناضرة المشرقة من رؤية ربّها في ذلك اليوم " [98] 0 /0 .
كما ارتبط بالفعلين (ظنّ، تظن) وكلاهما يعود على الإنسان الكافر، فتظن بمعنى توقن وتعلم، وظنّ أي أيقن [98 ي /2 –3 ، فيتمكن الإنسان من التيقن بأنّ الذي نزل به هو فراق الدنيا والأهل والـــمال والولد [00] 2 /46 وقد غاب من الأصوات الرخوة صوت الشّين فقط فغابت دلالته عنه، بينما وردت كلّ الأصوات الشديدة والأصوات البينية .

ويمكننا ربط التوسط بين الشدة والرخاوة بشدة نضارة الوجوه المؤمنة التي سترى ربّها بشدة كلاحة الوجوه الكافرة التي تنتظر أن تأخذها داهية، كما يمكن ربطها كذلك بقدرة الله سبحانه وتعالى على تسوية الخلق وقدرته على إحياء الموتى بعدما أماتهم من قبل .

3.1.1.1.ا . الإطباق و الانفتا – الاستعلاء و الاستفال

قمنا بجمع صفتي الإطباق والانفتاح مع الاستعلاء و الاستفال لأنّ الإطباق يعني ارتفاع اللّسان إلى الحنك الأعلى وبالتالي استعلاؤه؛ فكلّ مطبق مستعلٍ و العكس غير صحيح [4ذ ا /36ا ، أمّا الانفتاح فالمقصود به ابتعاد اللّسان عن الحنك وبالتالي استفاله [1ذ /1ذ .

أو : المقطع الأول

مجموع الأصوات	المطبقة	نسبتها	المنفتحة	نسبتها	المستعلية	نسبتها	المستفلة	نسبتها
651	1	% .84	118	% 9.15	6	% .04	113	% 4.95

الملاحظ هو غلبة الإيقاع المنفتح و المستفل بنسبتين هما على التوالي (9.15 %) و (4.95 %) بينما انخفض الإيقاع المطبق و المستعل بنسبتين هما على الترتيب (84. % و (04. %) .
وقد غلب صوت اللام على الأصوات المنفتحة بنسبة (2.71 %) و بنسبة (3.27 %) كونه صوتا مستفلا حاملا دلالة العلو والقوة كما في قوله تعالى : ﴿ بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾ (ا).

يليه صوت النون بنسبة (1.86 %) كونه منفتحا،و بنسبة (2.38 % كونه مستفلا وقد حمل دلالة استخراج ما هو بـــاطن في كلمة (قادرين) فالله قادر على استخراج العظام و إعادتها إلى أصلها .
يليه صوت الـــميم بنسبة (32. %) كونه منفتحا،و بنسبة (73. % كونه مستفلا وقد حمل دلالتي الجمع والضّم في قوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝ ﴾ [99.] (ا).

أمّا الأصوات المطبقة والمستعلية فقد دعمت دلالة القوة التي يتميّز بها يوم القيامة، وذلك بصوت الظاء فقط من المطبقة الذي ورد مرة واحدة بنسبة (00 %) ، و بنسبة (6.66 %) كونه مستعليا فدلّ على القساوة مع شيء من الخشونة بما يوافق قساوة عظام الإنسان وصلابتها، فحتى بعد موت الإنسان لا يبقى منه بعد مدة إلاّ العظام و الجمجمة فهي القسم الأصلب من الجسد .
و قد غابت الأصوات الثلاثة (الصاد، الضاد، الطاء) عن الإطباق والاستعلاء معا في المقطع فغابت دلالها عن .

أمّا الأصوات المستعلية الأخرى فقد تواتر القاف خمس مرات بنسبة (23. %) بنسبة (6.66 %) كونه منفتحا فدلّ على القوة و الشدة والفعالية كما في قولـــه تعالى :
﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ ﴾ (-ا) فدل على شدة ذلك اليوم الذي أقسم الله به، وبالنفس اللّوام وقد غاب صوتا الخاء والغين فغابت دلالتهما عن .

من كلّ ذلك اتّضح لنا بأنّ الأصوات المستعلية والـــمنفتحة مثّلت النسبة الأكبر مقارن بالمطبقة والمستعلية، كون معظم أصوات الصفتين الأوليين أصوات قوية وشديدة فقد دعمت دلالة المقطع الأول بما يوافق قدرة الله تعالى فهو القاهر فوق عباده والقادر على إعادة الخلق والبعث، أمّا الأصوات

المطبقة والمستعلية فقد تميّزت بالضعف والرخاوة اللّذين يوافقان ضعف الإنسان أمام قدرته سبحانه، كما أنّ الأصوات المستفلة والمنفتحة " هي الأكثر شيوعا في الكلام العربي " [3 ص58. .

ثانيا : المقطع الثـــاني

مجموع الأصوات	المطبقة	نسبتها	المنفتحة	نسبتها	المستعلية	نسبتها	المستفلة	نسبتها
140	2	% .42	138	% 8.57	12	% .57	128	% 1.42

نلاحظ استمرار غلبة الإيقاع المنفتح والمستفل بنسبتين هما على التوالي (8.57 %) و (1.42 %) وتتواصل سيطرة اللاّم على الأصوات الأخرى بنسبة (0.86 % كونه منتفتحا و بنسبة (1.71 %) كونه صوتـــا مستفلا ، يليـــه صوتي النون و الهمزة بنسبة (69. %) كونهما منتفتحين و بنسبة (37. %) كونهما مستفلين، ثمّ الراء والألف بنسبة (97. % كونهما منتفتحين و بنسبة (59. %) كونهما مستفلين، وكلّها تحمل دلالات القوة والشدة من بروز أهوال ذلك اليوم وتيقن الإنسان بألاّ مفرّ أو مهرب يلجأ إليه، وهول الموقف وعدم تمكنه من إيجاد المعاذير كما جاء في قوله تعالى :

﴿ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ﴿١٤﴾ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ ﴾ [99] (4 -5).

أمّا الأصوات المستعلية فقد ارتفعت وتيرتها في هذا المقطع مقارنة بالمقطع السابق، فقد بلغت نسبة صوت القاف (8.33 % حاملا لدلالات الشدة والقوة والفعالية كما ورد في قوله تعالى :

﴿ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ﴿١٠﴾ ﴾ [99] (0) و﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ ﴾ (2).

أمّا الأصوات المطبقة فقد برز منها صوت الصاد فورد مرتين وحمل دلالة " الصفاء والنقاء [47] ص50 في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ﴿٧﴾ ﴾ [99] (1) بما يوافق انبهار الأبصار وصفائها لترى بوضوح أهوال ذلك اليوم فـــ " تحيّر البصر ولم يطرف " (1) أمّا في (البصيرة) من قوله تعالى :

﴿ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ﴿١٤﴾ ﴾ [99] (4) فالمعنى أنّ جوارحه كلّها شاهدة عليه [98] 0 /5، فكلّ الأمور في ذلك اليوم تكون واضحة جلية بصفاء لا يشوبها زيف أو زيغ أو شك .

أمّا أصوات الضاد والطاء والظاء من المطبقة والمستعلية فقد غابت عن الـــمقطع فغابت دلالتها عنه، كما غابت الغين من المستعلية، والثـــاء والـــخاء من المنفتحة و الـــمستفل .

ثـــالث : المقطع الثـــالث

مجموع الأصوات	المطبقة	نسبتها	المنفتحة	نسبتها	المستعلية	نسبتها	المستفلة	نسبتها
76	0	%	76	% 00	3	% .94	73	96.05 %

الملاحظ على هذا المقطع غياب الأصوات المطبقة فغابت دلالتها بغياب وتيرة الشدة فكان الرفق بالرسول صلى الله عليه وسلم، ورفع الـــمشقة عنه بمسابقته للملك في أخذ القرآن عنه قبل انقضاء الوحي إليه، كما نلاحظ على الأصوات المستعلية انخفاضا شديدا حتى تكاد تنعدم فلا نجد غير صوت القاف الذي تكرّر ثلاث مرات؛ اثنان منها لمصدر (قرأ) وهي (قُـــرآنه) وواحدة للفعل (قرأ) فالأولى تعني " تأليفه والثانية تعني " فإذا أنزلناه إليك " [00؛ 2 /40 -41؛ .

كما نلاحظ ارتفاع نسبة الأصوات المنفتحة والمستفلة بما يتوافق وشدة حبّ النبي عليه الصلاة والسلام للقرآن الكريم وحرصه على حفظه خشية نسيان بعض آياته، وتمسّكه به فهو معجزته الخالدة وفيه شفاء لما في الصدور .

وأكثر الأصوات المنفتحة والمستفلة تواترا هو صوت النون الذي حمل دلالة الاستعلاء والظهور في لفظة (إنّا ، و معنى التوكيد المستمد من الحرف المشبه بالفعل و هو إنّ) كما جاء في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ [99] (7).

رابعــ : المقطع الرابـــع

مجموع الأصوات	المطبقة	نسبتها	المنفتحة	نسبتها	المستعلية	نسبتها	المستفلة	نسبتها
316	8	% .53	308	% 7.46	23	% .27	293	% 2.72

استمر ارتفاع الأصوات المنفتحة والمستفلة في الـــمقطع الأخير، وأكثر الأصوات المتواترة هو اللام يليه النون ثمّ الهمزة ثمّ الباء ثمّ الميم؛ وهي أصوات تحمل في دلالاتها العلو والقوة والشدة فأسهمت في إثراء دلالة الرّدع والزّجر لكافرين الذين شغلتهم الدنيا وشهواتها عن الآخرة، كما أسهمت في إثراء دلالة التهديد والوعيد للكافر المتبختر في مشيته؛ بأنّ سيلقى الويل جزاء له لعلوه واستكباره في الأرض، فسيصبح في الدرك الأسفل من النّار وكلّ ذلك يتبين لنا في قوله تعالى :

﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ ﴾ [99.] (1 –15).

أمّا الأصوات المطبقة فقد ارتفعت وتيرتها بما يتوافق وضعف الإنسان أمام قدرة الـــمولى عزّ وجلّ مهما طغى و تجبّر فالله منه أكبر، فتواتر صوت الظاء ثلاث مرات بنسبة (7.5 %) كونه مطبقا و بنسبة (3.04 %) كونه صوتا مستعليا، فحمل دلالة الشك بما يقارب اليقين [47 ص23 في ظنّ) ؛ (يظنّ) غير أنّ في الآية حمل دلالة اليقين فقد .

أمّا صوتي الصاد والطاء فقد وردا مرتين بنسبة (5 %) كونهما مطبقين و (69. %) كونهما صوتـــين مستعليين، فحمل دلالتي الصفاء والنقاء في كلمتي (صدّق، صلىّ) بما يوافق الصفاء والنقاء الذي يشعر بهما الإنسان عندما يتصدّق من أمواله فهي تزكية له كما تعمل على نشر الصفاء والإخاء بين المسلمين، وعند أدائه فريضة الصّلاة فهي راحة للنّفس كما علّمنا رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام، بينما لا يشعر الكافر بهذين الشعورين فهو لا يصلي ولا يتصدق .

أمّا صوت الطاء فقد حمل دلالة الضخامة والعلو في كلمة يتمطى) فالكافر يتبختر ويتفاخر وهو يضخم من هيئته ويتعالى في الحياة الدنيا " و التمطي يدلّ على قل الاكتراث وهو التمدّد كأنّه يمدّ ظهره ويلويه من التبختـــر " [98.] 0 /4 . أمّا صوت الضاد الذي ورد مرة واحدة بنسبة (2.5 %) كونه مطبقا و (34. %) كونه صوتـــا مستعليا، فقد دلّ على ' الامتلا. " (' في (ناضرة) فتمتلئ الوجوه المؤمنة بالـــحسن والإشراق يوم القيام .

أمّا الأصوات الـــمستعلية الـــمتبقية فقد عزّزت دالة المقطع الكليّة، فكان أكثرها تواترا هو القاف الذي كـــانت نسبتة (2.17 %) فحمل دلالات القوة والشدة والفعالي .

من خلال تحليلنا للمقاطع الأربعة يظهر لنا أنّ الأصوات الــمنفتحة والمستفلة قد مثّلت النسبة الأكبر بمعدّل (3.24 %) للمستفلة و (8.31 %) للــمنفتحة تليها الــمستعلية بنسبة (75. %) وأخيرا الــمطبقة التي انخفضت نسبتها إلى (68. %) .

1.1.1.1.3 . الإذلاق و الصمــاتة

مجموع الأصوات	الــمذلــقة	نسبتها المئوية	الــمصمتة	نسبتها المئوية
119	51	% 2,85	68	% 7,14

مثّلت الأصوات المصمتة النسبة الأكبر في هذا المقطع، وقد سيطر صوت الهمزة بنسبة (4.70 %) وقد حمل دلالتي الشدة والبروز في قوله تعالى :

﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَـٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ ﴾ [99] (-!).

فقد أكسب الفعل أقسم) الشدة بما يوافق شدّة يوم القيامة الذي يكذّب به الكفار، وببروز النّفس التي تلوم صاحبها على التقصير وتأجيل التوب .

يليها صوت السين بنسبة (1.76 % وقد دلّ على التحرك والمسير في قوله تعالى :

﴿ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَـٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ ﴾ [99] (ن) فالإنسان يتحرك في هذه الحياة ويقوم بمهامه راكبا رأسه ماضٍ في ذنوبه وهو يسوّف توبة .

يليه صوت الهاء بنسبة (82. %) حاملا لدلالة الرقة في كلمة بنانه) فقد استمدت دلالتها من معنى الكلمة التي تدلّ على أضعف وأرق عظم في جسم الإنسان .

أمّــا الأصوات الــمذلقة فقد أوحت بدلالات القوة والشدة في أغلبه؛ كصوت اللام الذي تواتر بأكبر نسبة هي (9.41 %) فحمل دلالة العلو في (لا) التي وردت حرفا للقسم بذلك اليوم العظيم وهو يوم القيامة، كما دلّت على التماسك في (ليفجر) بما يوافق تمسّك الإنسان بتأجيل التوبة و تسويفها، يليــه صوت النون بنسبة (7.45 %) فحمل دلالة البطون في الأشياء في كلمة (النّفس ، ثمّ صوت الــميم نسبة هي (1.56 %) فدلّ على الجمع والضم كمــا في قوله تعالى :

﴿ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَـٰمَةِ ۝٦ ﴾ (ن) فيُجمع كلّ الخلق في ذلك اليوم لــيُحاسبوا على أعمالهم .

يليه صوت الباء نسبة هي (1.76 %) وقد حمل دلالة القطع في (أيحسب) فالكافر يعتقد قطعا ويقينا بأنّه لا وجود ليوم ستجمع فيه عظامه أو يحاسب فيه على أعمال .

ثانيــ : المقطع الثاني

مجموع الأصوات	الــمذلــقة	نسبتها المئوية	الــمصمتة	نسبتها المئوية
140	60	% 2,85	80	% 7,14

بقيت كلّ من الأصوات الــمذلــقة و الــمصمتة بالنسبة نفسها، وهذا توافقا مع أهوال يوم القيامة مع وتيرة التهديد والوعيد للكافرين بألاّ وزر ولا مفر إلاّ إليه سبحانه، واستمرّ صوت الهمزة بالسيطرة على المقطع وبلغت نسبته (5 %) حاملا دلالة القوة في كما في كلمة (أين) فهول الموقف أدى إلى قوة التساؤل عن مكان الفرار .

يليه صوت السين والقاف بنسبة (7.5 %) فحمل السين دلالــة الاختفــاء بينما حمل القاف دلالة الشدّة فاجتمع الصوتــان في قوله تعالى :

﴿ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ۝٨ ﴾ [99] (3) بما يوافق اختفاء ضوء القمر فهذا الموقف شديد على الإنسان .

وقد غابت عن هذا المقطع أصوات الثاء والحاء والطاء والظاء والضاد والغين فغابت دلالتها عن .
أمّــا الأصوات الــمذلــقة فلم يغب أي منها أيّ صوت بل وردت جميعها، والصوت المسيطر فيها هو اللام بنسبه (5 % فعبّر في ارتباطه بالأسماء عن معرفة سابقة عنها في الكلمات التالي :
(البصر، القمر، الإنسان، المفر، المستقر .

تليه أصوات النون ثمّ الراء ثمّ الميم بنسب متقاربة هي (10 % 3.33 % 6.66 %) فتُسهم بدلالات الظهور والانبثاق والتحرك والتكرار والجمع بما يوافق جمع كلّ أعمال الإنسان أولّها وآخرها وعرضها أمامه جميعها، وجوارحه كلّها تشهد عليه كما جاء في قوله تعالى : ﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ۝١٤ ﴾ [99] (4).

ثالـــث : المقطع الثالث

مجموع الأصوات	الـــمذلـــقة	نسبتها المئوية	الـــمصمتة	نسبتها المئوية
76	30	% 9,47	46	% 0,52

زاد ارتفاع نسبة الأصوات المصمتة في هذا المقطع، والصوت الـــمتواتر بكثرة هو الـــهاء بنسبة (5.21 %) و قد ورد ضميرا متّصلا بحرف الجر (الباء) و هو في محلّ جرّ اسم مجرور يعود على القرآن، كما اتّصل بنهاية الأسماء التالية (جمعه، قرآنه، بيانه) وهو في محلّ جر مضاف إليه يعود على القرآن أيضا، واتّصل بالفعل (قرأناه فالهاء هنا في محل نصب مفعول به وهو القرآن .

يليه صوتا الهمزة والعين بنسبتين متقاربتين هما على الترتيب (1.04 %) ، (0.86 %) و فيهما من الشدّة ما يعزّز الأمر من الله سبحانه و تعالى لنبيه الكريم عليه الصلاة و السلام بالإنصـــات فقط للملك فهو المتكفّل بحفظه، وهذا في قوله تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ [99] (6 – 7).

يليهما صوت التاء بنسبة (69. %) فاتّصل بالأفعال حاملا دلالة الرقة بما يوافق ارقة واللّطف اللّذين خصّ بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم باتّباع القرآن عند نزول الوحي عليه وهذا في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ [99] (8).

وقد غـــابت عن الـــمقطع من الأصوات الـــمصمتة الـــخاء والطـــاء والظـــاء والصـــاد والضـــاد والشـــين والغـــين والـــدال والـــزّاي، فغـــابت دلالتهـــا عند .
أمّـــا الأصوات المذلقة فقد وردت جميعها ولم يغب عنها أيّ صوت ، و أكثرها تواترا هو النون بنسبة (6.66 %) فحمل معه دلالات الرقة والاستكانة يظهر في الخطاب الموجه للرسول، يليه اللام والراء بنسبة (6.66 %) اللّذان حملا دلالتي القوة للام والحركة والسرعة للراء بما يوافق تحريك النبي عليه السلام لسانه وذلك في قوله تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ ﴾ [99] (6).
يليه صوت الباء الذي ورد حرف جرّ في (بـــه) أي بـــالقرآن .

رابعــ : المقطع الرابــع

مجموع الأصوات	الــمذلــقة	نسبتها المئوية	الــمصمتة	نسبتها المئوية
316	129	% 0,82	187	% 9,17

يتواصل ارتفاع الأصوات المصمتة عن الــمذلــقة في هذا المقطع . و أكثرها توترا هو الهمزة بنسبة (1.22 %) حاملا دلالتي الشدة والبروز وقد ارتبط بالأسماء مثل (الآخرة، يومئذ) بما يوافق بروز يوم القيامة بأهواله، كما ارتبط بالفعل (أيحسب) وهي همزة استفهام، وهو استفهام إنكــاري جاء بمعنى : كيف يظن هذا الإنسان أنّه خلق عبثا ولا يكلّف بالشرائع .

يلي الهمزة صوت التاء بنسبة (48. % و قد ارتبط الفعلين تحبون · تذرون) و هي من حروف المضارعة دلّت على القطع، فالإنسان يجري وراء الدنيا و هو يقطع أشواطا من حياته ناسيا أنّه يوجد يوم يحاسب فيه على أعمال . كما وردت التاء للتأنيث في بلغت) أي النّفس، و التفت) أي الساق . يليه صوت الكاف الذي أوحى بالشدة و الفعالية و قد ارتبط بالفعلين بها، و شدّة تكذيبه للقرآن الكريم و تولّيه عن الإيمان .

يليه صوتا الذال و السين بنسبة (88. % فدّل الذال على التفرد " [47 ص5؛ في قوله تعالى : ﴿وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴿٢١﴾ ﴾ [99] (1!) بما يوافق تفرّد الإنسان بحبّ الدنيا تاركا الآخرة وراء ظهر . كما دلّ على " الذكورة وخشونة الملمس " [47 ص5؛ في (الذكر ، بينما دلّ السين على التحرك والمسار في قوله تعالى : ﴿ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴾ [99] (9 – 0!).

يليه صوت الهاء بنسبة (34. % و قد ارتبطت بالأسماء (العاجلة، الآخرة، نــاضرة، بــاسرة) وأصلها تاء مربوطة انقلبت هاء بسبب الوقف أو السّكت ومراعاة للفــاصلة القرآني .
كما ارتبطت بحروف الجر (بها، منه) فالأولى منها ضمير متّصل مبني في محلّ جر اسم مجرور يعود على الوجــوه، و الثــانية هي ضميــر متّصل مبني في محلّ جر اسم مــجرور يعــود على المني . يليها صوتا العين والجيم بنسبة (67. %) و هما صوتان يحملان دلالة القوة و الشدة إضافة إلى الظهور والعظم والعلو في قولــه تعــالى :﴿ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ ﴿٢٥﴾ ﴾ [99] (4 – 5!) و في قول : ﴿ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ﴾ [99] (9!).

يليهما صوت الثاء بنسبة (67. %) وقد ارتبط بـــ اثمّ) وهو حرف عطف يفيد الترتيب والتراخي، كما في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ ﴾ [99] (2؛).

كما دلّت الثاء على " الأنوثة بما يحاكي الرقة " [7؛ ص0؛ في كلمة (الأنثى) التي ألصق بالجنس من لفظة الـــمرأة " [47 ص0؛ وقـــد غاب من الـــمقطع صوت الشين فقط بالتـــالي غياب دلالة .

أمّا الأصوات المذلقة فقد سيطر عليها صوت الـــلاّم بنسبة (1 ٪ وقد ارتبط بالحروف منها (بل، لكن، كلا ...) فدلّت على القوة والعلو لأنّ الخطاب موجه من ربّ العزة إلى الكفار الذين يريدون علوا في الدنيا وهم ينكرون البعث .

يليه صوت النون بنسبة (6.35 ٪ وقد ارتبط بالأفعال (تحبّون، تذرون) فالنون فيهما علامة للرفع، فهما مرفوعان بثبوت النون لأنّهما من الأفعال الخمسة فتؤكد على حبّ الدنيا وترك الآخرة، كما حمل دلالة الظهور في الفعلين (تمنى، كان) بما يتوافق مع ظهور الإنسان إلى هذه الحياة يبدأ من خلق نطفة ضعيفة من مني لصبح علقة ثمّ يسويها الله كيف يشاء إمّا ذكرا وإما أنثى يليه صوت الباء بنسبة (1.62 ٪ وقد ارتبط بالأفعال منها (تحبّون، كذّب، ...) فحمل دلالة القطع والثبوت، بما يوافق تيقن الكافر بأنّه لن يبعث بل خلق مهملا لا يكلّف بالشرائع .

يليه صوتا الميم والراء بنسبة (85. ٪ فدلّ الميم على الجمع والضمّ، بينما دلّ الراء على التحرك والتكرار كما جاء في قوله تعالى :

﴿ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [99] (0؛).

و أخيرا صوت الفاء بنسبة (30 %) فدلّت على معنى العطف الّذي يفيد الترتيب و التعقيب و هذا في قول : ﴿ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ﴿٣٥﴾ ﴾ [99] (5؛). و كذلك في قوله تعالى :

﴿فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ ﴾[99] (5؛).

كما حمل دلالة ' الفصل " [47 ص33 ؛ في قول : ﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ ﴾[99] (8؛) أي فراق الدنيا و الانفصال عنها و الإقبال على الآخر .

1.1.1.3. الصفات غير المتضادة المحسّنة)

2.1.1.3. الصفـــير

أولا : المقطع الأول

مجموع الأصوات	أصوات الصفير	نسبتها
119	8	% ,72

شكلت أصوات الصفير نسبة (72 %) في هذا الـــمقطع، وما يلاحظ عليه هو غياب صوتي الصاد و الزاي فغابت دلالتهما عنه، والذي برز هو صوت السين فقط الذي توتر ا مرات بنسبة (0(%) وهو صوت أوحى بدلالتي الشدة والفاعلية في الفعل (أقسم) الذي ورد مرتين فأقسم الله بيوم القيامة الذي يكون وقعه شديدا على النّاس، كما حمل دلالتي الحركة والـــمسير كما جاء في قوله تعالى :

﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝٦ ﴾ [99] (ذ) بما يوافق تحرك الإنسان في الدنيا ويعمل ما تمليه عليه نفسه وهو يكذّب بيوم القيام " على وجه الإنكار والتكذيب " [98] 0 /2ذ .

كما دلّ على النعومة والملاسة في (نسوي) بما يوافق نعوم البنان ورقته وأنّ الله قادر وحده على تسويته، وحمل دلالة " الخفاء " [47 ص13 في (النّفس) لأنّ النّفس هي جوهر الإنسان وباطنه، وهي للأعيان غير ظاهرة، لا يعلم خفاياها إلاّ الله وحد .

بينما حملت دلالة التحرك والمسير في (الإنسان) فهو دائم التحرك في هذه الحياة من مكان إلى آخر سعيا في طلب الرزق، والكافر كلّما زاد سعيا ازداد كفرا وفجورا بنعمته سبحانه وتعالى .

فالملاحظ على أصوات الصفير أنّها جمعت مختلف الدلالات من القوة والشدة والنعومة والـــملاسة ومن تحرك ومسير للإنسان، فدلّت في مـــجملها على ضعف الإنسان أمام شدّة يوم القيام .

ثـــانيِ : المقطع الثاني

مجموع الأصوات	أصوات الصفير	نسبتها
140	10	% ,14

ارتفعت نسبة أصوات الصفير قليلا عن المقطع السابق، ويستمر صوت السين في السيطرة على الأصوات الأخرى بنسبة (0' %) وقد ارتبط بالأسماء أكثر من الأفعال فدلّ على " الاستقرار " [47 ي ص113 في (الشّمس) فهي تجري كما أراد الله لها لمستقر معلوم، أمّا يوم القيامة فتُجمع مع القمر ويصبح لها مستقر واحد، وقد حمل الدلالة نفسها في (المستقر) ففي يوم القيامة يعود العود المرجع والمصير إلى الله وحده ولا مفر آخر غير .

كما حمل دلالة الخفاء في (نفسه) في قوله تعالى : ﴿ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ﴿١٤﴾ ﴾ [99] (4) فنفس الإنسان باطنة وخفية لا يعلم سرّها إلاّ الله وحده، فتشهد عليه يوم القيامة .

يلي صوت السين الصاد بنسبة (0 %) فحمل دلالتي الصفاء والنقاء في (البصيرة، البصر) فتنبهر الأبصار يوم القيامة وترى بصفاء ووضوح أهوال ذلك اليوم، كما تشهد الجوارح على صاحبها فتبدو الحقائق واحة وجلية دون محاولة لتزييفها أو إخفائها أو إنكاره .

يأتي في الأخير صوت الزاي بنسبة (0 % في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ ﴾ [99] (1)

أي ' لا شيء يجأ إليه من حصن ولا معقل من أمر الله الذي قد حضر " [00؛] 2 /33، فحمل الزاي دلالة " الشدّة " [47 ص39 بما يوافق شدّة أهوال يوم القيامة ومحاولة الإنسان الفرار فلا جبل يقيه ولا حصن ينجيه من الحساب أو العقاب في ذلك اليوم فيشتدّ ذلك عليه .

ثالثـ : الـــمقطع الثـــالث

مجموع الأصوات	أصوات الصفير	نسبتها
76	1	% ,31

تنخفض أصوات الصفير في هذا المقطع حيث غاب عنه صوتي الصاد والزاي فغابت دلالتهما عنه، ولا نجد غير صوت السين الذي ورد مرة واحدة؛ فحمل دلالة التحرك في قوله تعالى :

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ ﴾ [99] (6) فاللّسان عضو مرن يتحرك كثيرا داخل الفم أثناء الأكل وعند الكلام أيضا، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحرّكه كثيرا عند نزول الوحي عليه فجاءه الأمر من الله بعدم تحريكه و الاكتفاء بالاستماع و الإنصات إلى الملك فهو المتكفل بحفظ .

رابعـ : الـــمقطع الـــرابع

مجموع الأصوات	أصوات الصفير	نسبتها
316	15	% ,74

تعود حروف الصفير للارتفاع في المقطع الأخير من السورة، ويستمر صوت السين في السيطرة بنسبة (33.{ %) وقد ارتبط بالأسماء أكثر من الأفعال، فحمل دلالات مختلفة منها دلالة " المشاعر الإنسانية " [47 ص30 في كلمة (باسرة) فدلّت على تغيير ملامح الإنسان نتيجة للشعر الذي ينتابه في ذلك اليوم ، فتصبح ملامح وجهه كالـــحة و عابسة نتيجة لأعمالها السيئة التي قام بها في الدنيا .

كما حمل دلالة الشدة في المقام نفسه لأنّ " العرب لا تذكر الساق إلاّ في المِحَن والشدائد العظام ومنها قولهم : قامت الدنيا على ساق وقامت الحرب على مساق [98] 0 /3′ ولكل إنسان أن يتخيل يوم تُساق النفوس إلى بارئها " فاتّصلت الشدّة بالشدّة؛ شدّة الدنيا بشدّة أول الآخرة " [98] 0 /3′ .

أمّا صوت الزاي فقد ورد في كلمة (الزّوجين) فاجتمعت فيها " زايين لتدلا على النّوعين " (′ وهما الذكر والأنثى أي الرجل والـــمرأة .

من خلال المقاطع الأربعة نلاحظ أنّ نسبة الأصوات الصّفيرية في المقطعين الأول والثاني قد تقاربتا من بعضهما بينما انخفضت في المقطع الثالث لتعود إلى الارتفاع في المقطع الرابع، وقد سيطر صوت السين على كلّ من الصاد والزاي في كلّ المقاطع نظرا لسِماته التي أضفاها على السورة ككلّ من

حيث إيحاءاته المتنوعة؛ من شدة وفعالية من جهة بما يوافق شدة أهوال يوم القيامة، وشدة التفاف الساق بالساق وغيرها من الأمور التي يكون وقعها شديدا على الإنسان، ومن جهة أخرى حمل دلالة الخفاء بما يوافق اختفاء ضوء القمرخفاء نفس الإنسان التي لا يعلم سرّها إلاّ الله وحده سبحانه وتعالى .

3.1.1.2. التفشي

أولا : المقطع الأول

مجموع الأصوات	أصوات التفشي	نسبتها
119	0	%

يلاحظ غياب صفة التفشي وهي صفة خاصة بصوت الشين من المقطع الأول بما يوافق غياب دلالتها الصوتية عند .

ثانيا : المقطع الثاني

مجموع الأصوات	أصوات التفشي	نسبتها
140	2	% .42

ارتبط صوت الشين في هذا الذمقطع باسم في قوله تعالى : ﴿ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ۝ ﴾ [99]

(ا) فأدغمت شينان في كلمة واحدة فدلّت على " الخلط والتجميع " [47 ص115 بما يوافق جمع الشّمس والقمر يوم القيامة واختلاطهما معا فيذهب ضوؤهما فلا ضوء لواحد منهما [200] 2. /132 .

ثالثا : المقطع الثالث

مجموع الأصوات	أصوات التفشي	نسبتها
76	0	%

يعود الصوت الـــمتفشي للاختفاء في المقطع الثالث فغابت دلالته عند .

رابعـــ : الـــمقطع الـــرابع

مجموع الأصوات	أصوات التفشي	نسبتها
316	0	%

يغيب عن هذا المقطع أيضـــا صوت الشين فغـــابت دلالته عند .

من خلال ما سبق يمكن اعتبار صوت الشين صوتا هشا وضعيفا فقد انعدمت نسبته عن ثلاثة مقاطع، ولـــم يظهر إلاّ في الثاني بنسبة ضئيلة جدا هي (42 %) و ربّما هذا راجع إلى قوة بعض الصفات والتزامها بخصائصها الصوتية بينما لـــم يلتزم الشين بخصائصه .

3.2.1.1.3. القلقلة

أولا : المقطع الأول

مجموع الأصوات	أصوات القلقلة	نسبتها
119	15	% 12.6

لقد توزعت أصوات القلقلة على كامل المقطع كونها تتصف أيضا بالجهر والشدّة؛ فقد دعمت دلالة المقطع المتمثلة في شدة اليوم الذي أقسم الله به وهو يوم القيامة، وبقدرة الله سبحانه وتعالى على إعادة البعث والخلق، كما تمثلت أيضا في شدّة تكذيب الكافر ليوم البعث وهو ماضٍ أمامه راكبا رأسه، كما في قوله تعالى : ﴿ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝٦ ﴾ [99] (-ز) ، وكلّ هذا دعّمته أصوات القلقلة وهي : الجيم والقاف والدال والباء ، أمّا صوت الطاء فقد غاب عن المقطع فغابت دلالته .

ثانيا : المقطع الثاني

مجموع الأصوات	أصوات القلقلة	نسبتها
140	19	% 13.57

ارتفت قليلا نسبة أصوات القلقلة بما يتوافق و الخطاب الموجه للكفار المكذّبين بيوم البعث، حيث نلمس نبرة التهديد والوعيد الشّديد للإنسان الذي يريد الفرار فجاء الردّ شديدا من المولى عزّ وجلّ لهم بألاّ مفر ولا وزر إلاّ إليه، ولن ينجو من العذاب ولو قدّم كلّ المعاذير فلن تنفعه يومئذ، وكلّ ذلك كان مدعّما من أصوات القلقلة وجهرها وشدّتها، وأكثرها تردّدا هو صوت الباء بنسبة (7.36 %) ويليها صوت القاف بنسبة (3.84 %) ثمّ الدال بنسبة (1.52 %) وأخيرا صوت الجيم بنسبة (26 %) وكلّها أوحت بالقوة والشدّة كما في قوله تعالى :

﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ۝٨ ﴾ [99] (-ط).

كما يستمر غياب صوت الطاء فغابت دلالته عن هذا المقطع .

ثالثا : الــمقطع الثــالث

مجموع الأصوات	أصوات القلقلــة	نسبتها
76	9	% 1.83

تنخفض قليلا نسبة أصوات القلقلة، وقد غاب عنه صوتا الطاء والدال فغابت دلالتهما عنه، وبرزت أصوات الباء والقاف والــجيم بالنسب التالية على الترتيب : (44.4 %) ؛ (33.3 %) ؛ (22.2 %) فتناسبت دلالات القوة التي حملتها هذه الأصوات مع المشقة التي كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يتكبّدها وهو يسابق الــملك في قراءة القرآن الكريم قبل انقضاء الوحي إليه .

رابعــ : الــمقطع الــرابع

مجموع الأصوات	أصوات القلقلــة	نسبتها
316	37	% 1.70

لــم تنخفض نسبة أصوات القلقلة كثيرا عن المقطع الأخير، وقد أسهمت في تعزيز دلالته حيث توالت أهوال يوم القيامة بظهور الوجوه الكالحة، والتفاف الساقين مع بعضهما عند الموت، فلا مفر ولا وزر ولا حصن يتقي به من عذاب يومئذ مع شدة التهديد والوعيد للمكذبين الذين لا يصلّون ولا يتصدقون ذ، فتوزعت أصوات القلقلة على طول المقطع مع صوتي الباء و القاف بنسبتن متقاربتين هما على الترتيب (54.5 %) (43.3 %) يليهما صوت الجيم بنسبة (51.3 %) ثمّ الدال بنسبة (10 %) وأخيرا الطاء بنسبة منخفضة هي (40 %) وكلّها حملت دلالات الشدة والقوة و الفاعلية، كما في قولــه تعالى :

﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۝٢٤ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۝٢٥ ﴾ [القيامة] (4 -25).

3.1.1.2. التكريـــر

أولا : الـــمقطع الأول

مجموع الأصوات	الصوت الـــمكرّر	نسبته
119	3	% 2.52

ارتبط الصوت المكرّر وهو الرّاء بالأفعال فقط فدلّ على " التحرك والتكرار " [47] كما جاء في قولـــه تعالى : ﴿ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ ﴾ [99] (ن) بما يوافق تحرك الإنسان للقيام بمهامه وهو يرتكب الـــمعاصي ويكرّر أخطاءه، ويمضي قدما ويركب رأسه في طلب الدنيا ولا يذكر الموت [00] 2 /30 كما حمل دلالة " الترجيع " [47 ص6 ، في كلمة (قادرين) فالمولى سبحانه وتعالى لا يعجزه إرجاع الخلق وإعادته فكما بدأه أول مرة يعيده وهو القادر فوق ذلك .

ثانيا : الـــمقطع الثـــاني

مجموع الأصوات	الصوت الـــمكرّر	نسبته
140	11	% 7.85

ارتفعت وتيرة الصوت الـــمكرّر في هذا الـــمقطع، وقد ارتبط بالأسماء أكثر من الأفعال فحمل دلالتي " الخوف والفزع " [47 ص6 ، في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ۝٩ ﴾ [99] (6-). فهذه الأهوال يفزع الإنسان منها بمجرّد ذكرها أمامه، فكيف إذا رآها حاضرة أمامه فلا يمكننا تصور الفزع والهلـــع اللذان سيصيـــبهم .
كما حمل الرّاء دلالة " الاختفاء " [47 ص9 ، في قولـــه تعالى : ﴿ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ ﴾ [99] (10- 1 ، فالإنسان إذا ما رأى هذه الأهوال أراد الاختفاء عن الأنظار بالبحث عن مفرّ أو حصن يلتجئ إليه ويحتمي به فلا يجد . كما حمل الرّاء في موضع آخر

دلالة " الستر " [99] (6؛) في قوله تعالى : ﴿ يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ ﴾ (2) فكلّ ما ستره الله عن الإنسان في الحياة الدنيا من أعمال صالحة وطالحة ستكشف أمامه في كتاب لا يغادر صغيرة أو كبيرة إلاّ أحصاه .

ثالثا : الــمقطع الثــالث

مجموع الأصوات	الصوت الــمكرّر	نسبته
76	5	% 6.57

تنخفض قليلا نسبة الصوت المكرّر وقد ارتبط بالفعل تحرّك) حاملا دلالتي التحرك والتكرار بما يوافق تحريك النبي لسانه بالقرآن الكريم، وترديده وراء الملك من حبّه الشّديد له، وقد حمل الدلالة نفسها في كلمتي قرأناه، قرآنه) بما يوافق تحريك اللّسان والشفتين عند ترتيل القرآن الكريم، بعد الانتهاء من الإنصات والاستماع للملك لتدارسه والتدبّر في آياته ومعانيه .

رابعــ : الــمقطع الــرابــع

مجموع الأصوات	الصوت الــمكرّر	نسبته
316	14	% 4.43

ارتبط صوت الراء في الــمقطع الأخير بالأسماء فحمل دلالتي " الرقة والنضارة " [47 ص9؛ في (ناضرة، ناظرة بما يتوافق ونضارة وإشراق وجوه المؤمنين في ذلك اليوم و هي تنظر إلى ربّهــ . كما دلّ على الــخوف والفزع في مقابل ذلك في كلمتي (باسرة، فاقرة) بما يوافق شدّة عبوسة و كلاحة وجوه الكافرين من سوء ما بشّرت بـ .

والدلالة نفسها في الكلمات التالية (الترقي، راق ، الفراق) فالنّاس في موقف عظيم يبعث على الــخوف والفزع حيث يتيقّن الكافرون من أنّ داهية ستصيبهم تقسم فقار ظهورهم، وتبلغ قلوبهم الــحناجر و ما من راق يرقيهم ممّا هم فيه، مع تيقنهم من فراق الدنيا و إقبال على الآخر .

كما حمل دلالتي الستر والخفاء في قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ [99] (9؛) فالله وحده يعلم ما سيرزق به النّاس من أولاد، فيخلق من النطفة ما يشاء إمّا ذكرا وأنثى .

من خلال كلّ ما سبق نلحظ ارتفاعا تدريجيا للصوت المكرّر خلال الــمقاطع الأربعة، وهو صوت مــجهور أسهم في إثراء دلالة الــمقاطع انطلاقا من تحرّك الإنسان لقيامه بمهامه، وارتكابه للمعاصي وتكراره لأخطائه، ثمّ التهديد والوعيد من الــمولى سبحانه وتعالى للإنسان الذي يرتكب الــمعاصي

بأهوال تبعث على خوفه وفزعه، إضافة إلى عرض كلّ أعماله أمامه، انتهاء ببيـــان قدرته سبحـــانه على خلق الإنسان من نطفة ضعيفة لا يعجزه عن بعثه من جديد .

3.2.1.1.3. الانحـــراف

أولا : الـــمقطع الأول

مجموع الأصوات	الصوتان الـــمنحرفان	نسبتهما
119	18	% 5.12

ارتبط الصوتان الـــمنحرفان وهم : الرّاء والـــلاّم في هذا الـــمقطع بالأسماء أكثر من الأفعال، حيث دعّما قوة وشدّة يوم القيامة الذي يكذّب به الكفار، وذلك بمساهامات الدلالات المختلفة لصوت اللاّم وهي العلو والقوة والتماسك والدلالات التي اتّصف بها صوت الراء وهي التحرك والتكرار والترجيع، كما في قوله تعالى : ﴿ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝ ﴾ [99] (ا).

ثـــانيا : الـــمقطع الثـــاني

مجموع الأصوات	الصوتان الـــمنحرفان	نسبتهما
140	26	% 8.57

زاد ارتفاع الصوتين المنحرفين توافقا مع دلالته التي حيث أضفى الجهر والقوة الـــموجودة فيهما على الـــمقطع نبرة عـــالية مناسبة لأهوال ذاك اليوم، مع وزجر المشركين و ردعهم عن الفرار بألاّ مفر ولا وزر إلاّ إليه، مع تناسب دلالتي الخوف والفزع الدّين يتصف بهما الرّاء من الأهوال التي يراها، وهذا في خلال قوله تعالى : ﴿ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ۝ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ ۝ ﴾ [99] (0 – 2).

ثـــالث : الـــمقطع الثـــالث

مجموع الأصوات	الصوتان الـــمنحرفان	نسبتهما
76	10	% 13.15

يعود صوتا الانحراف للانخفاض في هذا الـــمقطع، ممّا يُحدث نوعا من التوافق بين الأمر من الله سبحانه وتعالى إلى الرّسول صلى الله عليه وسلم بعدم تحريك لسانه عند نزول الوحي والاكتفاء بالإنصات والاستمـــاع ، وبين طمأنته بأنّه سبحانه سيتكفل بحفظه في صدره، و بيـــان معنـــا . كما أمره بقراءته وتكرار قراءته بعد نزوله لتدبر في معانيه، وهذا في قوله تعالى :

﴿ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ [القيامة] (18).

رابعـــ : الـــمقطع الرابـــع

مجموع الأصوات	الصوتان الـــمنحرفان	نسبتهما
316	54	% 17.08

يعود الصوتان المنحرفان للارتفاع في الـــمقطع الأخير، ممّا يعزّو القوة والجهر فيهما فأضفيا نبرة عالـــية مناسبة لمصير الوجوه الكالحة العابسة، مع لهجة التهديد والوعيد، مع إبراز عظمة الخالق سبحانه على الـــخلق و إعادة البعث، كما في قولـــه تعالى :

﴿ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ [القيامة] (40).

كما ساهم الراء بدلالتي النضارة والرقة واللام بدلالة الاستعلاء بما يتناسب والدرجة العالية التي تكون فيها الوجـــوه المشرقة و عند رؤية ربّهـــا، وهذا في قوله تعـــالى :

﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة] (22 -23).

من خلال كلّ ما سبق قوله يمكننا اعتبار الصوتين الـــمنحرفين صوتين بارزين في السورة، وهذا لسماتهما الصوتية القوية وتواترهما عبر كامل السورة، وقد اختلفت نسبتهما من مقطع لآخر ومردّ ذلك لاختلاف نبرة الخطاب في كلّ منها، فالأول منها فيه بيان حال الإنسان المكذّب بيوم القيامة، أما الثاني

ففيه بيان أهوال يوم القيامة، والثالث لمسة التخفيف والرحمة على الرسول صلى الله عليه وسلم، والأخير فيه حال الوجوه الطيبة مقابل حال الوجوه الكافرة، ثم بيان قدرة الـــمولى سبحانه على الـــخلق وإعادة بعثه .

3.2.1.1.3. الاستطالة

أولا : الـــمقطع الأول

مجموع الأصوات	الصوت المستطـــيل	نسبته
119	0	(%

نلاحظ غياب الصوت المستطيل وهو الضاد من الـــمقطع الأول فغابت دلالته عنه، وهو صوت يوحي غالبا بصفة الضعف [99.] (58.) فالمقطع الأول فيه قوة وشدّة بما لا يتوافق مع دلالة هذا الصوت .

ثـــاني : الـــمقطع الثـــاني

مجموع الأصوات	الصوت المستطـــيل	نسبته
140	0	(%

يغيب الصوت المستطيل مجدّدا من المقطع الثاني فغابت دلالته عنه، لغياب صفة الضعف عنه، ففيه أهوال قوية وشديدة على الإنسان بما ينافي صفات الضعف .

ثالثـــ : الـــمقطع الثـــالث

مجموع الأصوات	الصوت المستطـــيل	نسبته
76	0	(%

يتواصل غياب صوت الضاد في هذا الـــمقطع أيضا، لغياب الضعف فيه فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يضعف عند نزول الوحي بل كان يسابق الـــملك في قراءته فخُفف عنه ذلك .

الــمقطع الرابــع :

مجموع الأصوات	الصوت المستطــيل	نسبته
316	1	% 0.31

ظهر الصوت الــمستطيل فقط في الــمقطع الأخير مرة واحدة في قولــه تعالى :

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [99] (2!) فحمل دلالة " الامتلاء " [47 ص8! ، بما يوافق امتلاء الوجوه المؤمنة بالحسن والإشراق وهي تنظر إلى ربّها يومئ .

من كلّ ما سبق ذكره لاحظنا انعدام الصوت الــمستطيل من المقاطع الثلاثة الأولى وظهوره في الــمقطع الأخير فقط، وهذا راجع إلى صفة الضعف فيه ممّا لا يتوافق مع الــمعاني الكليّة للسورة فهي تحمل في مــجملها معاني القوة والشدّة بما يوافق الأصوات القوية و الــمجهورة و الشديد .

1.1.3. الصوائت الطويلة

2.1.3. المدّ واللين

الصوائت الطويلة هي : (الألف، الواو، اليـاء) وقد جمعها علماء القراءات في قوله تعالى :
﴿ نُوحِيهَا ﴾ [يونس] (هود) وهي تتّصف بصفتين هما : المدّ واللين .

أولا : المقطع الأول

مجموع الأصوات	أصوات المدّ واللّين	نسبتها
119	30	25.21 %

أكثر أصوات المدّ واللّين ارتفاعا هي الألف اللّينة التي كانت نسبتها (66.66 %) وقد ارتبط بالأسماء أكثر ن ارتباطه بالحروف والأفعال، فأضفى خاصية " الامتداد " [47 ص17] في الأسماء التالية : القيامة، اللّوامة، عظامه، قادرين، بنانه، أمامه، أيّان) فأثرت دلالة الامتداد الدلالة العامة في المقطع نظرا لتتابعه على إيقاع مخصوص، كما ارتبط ببعض الحروف و هي : (بلى، لا، على) مما يتوافق وامتداد القسم بهذا اليوم إلى أن يحين موعده فهو امتداد في الزمن .

يلي الألف صوت الياء بنسبة (33.33 %) و قد ورد صوت مدّ ثلاث مرات وصوت لين سبع مرات؛ فأمّا وروده صوت مدّ ففي الكلمات التالية (قادرين، نسوّي، يريد) فدلّت في الأولى والثانية على " خصائص متأصلة " [47 ص19] فصفة القدرة على البعث خاصة بالله وحده ولا يقدر عليها لا إنس ولا جان ولا ملك .

كما وردت الياء صوت لين في الأسماء التالية (يوم، القيامة، أيّان) فهو يصلح أن يكون مقراً للأشياء [47 ص19] فيوم القيامة هو المقر الذي يجتمع فيه النّاس ليحاسبوا على أعمالهم ويتعرّفوا على مصيرهم، فيتساءل الكفار عن موعد هذا اليوم استهزاء به لأنّهم يكذّبون بوجود .
كما ارتبط صوت اللّين بالأفعال التالية (يحسب، يفجر، يسأل) وهي من حروف المضارعة التي تعود على الإنسان الذي يشك في أن تجمع عظامه يوما ما، فيمضي قدما في ذنوبه، ويتساءل من موعد يوم القيامة الذي يكذّب بـ .

وأقلّ نسبة لأصوات المدّ واللّين فهي تعود إلى الواو بـ (10 %) و قد ورد في هذا المقطع صوت لين فقط، كما في قوله تعالى : ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَآ ۝١ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَ

﴿ [99] (-!) فدلّت الواو الأولى على " البعد إلى الأمام " [47 ص7! فيوم القيامة الذي يراه الإنسان بعيدا وهو يسوّف التوبة ويؤجّلها هو عند الله قريب، أمّا الواو الثانية فهي حرف عطف؛ جمعت بين جملتين من نوع واحد " [05 ص25! عطف الجملة الأولى على الثانية، أمّا الواو الثالثة وهي مدغمة فدلّت على " الشدّة و الفعالية [47] ص 7! بما يوافق شدّة لوم النّفس لصاحبها على التقصير وتأجيل التوب .

ثانيـ : الـــمقطع الثـــاني

مجموع الأصوات	أصوات المدّ واللّين	نسبتها
140	29	% !0.71

استمر صوت الألف في السيطرة على الـــمقطع الثاني بنسبة (7.93! % وقد ارتبط بالأسماء أكثر من الأفعال حاملا دلالة الامتداد في كلمتي (ألقى، معاذيره) فمهما امتدت أعذار الإنسان وطالت فلن تقبل منه ولن تنفعه يومئ .

أمّا في كلمة (وزر) فقد ساهم فيها الراء بدلالته على الخوف والفزع والزاي بقوّته وفعاليته ممّا جعل الواو يكسب قوّته منهما بما يوافق شدّة ذلك اليوم الذي لا مفرّ فيه ولا حصن يتحصّن بـ . أمّا الواو في (يومئذ) فقد أسهمت الهمزة بدلالتهـــا على الشّدة والبـــروز إلى الواو دلالات القوة والشدة بما يتوافق وشدة ذلك اليو .

آخر نسبة حروف المدّ عادت إلى صوت الياء فقدرت بـــ (7.58! % فقد وردت صوت لين ستّ مرات، فارتبطت بالفعلين (يقول، ينبؤ) وكلاهما فعل مضارع الأول مبني للمعلوم والثاني مبني للمجهول وكلاً من فاعل الأول ونائب الثاني هو الإنسار . كما ارتبطت الياء باسمين هم (يومئذ ، أين) فالأولى هي ظرف زمان، والثانية هي اسم استفهام للسؤال عن الـــمكان، فيتساءل الإنسان يوم القيامة محتارا هل من مكان يفـــرّ إليه .

وقد وردت الياء صوت مدّ في كلمتي (بصيرة، معاذيره) فدلّ على خصائص متأصلة في الإنسان؛ فجوارحه المتأصلة فيه ستشهد عليه يومئذ على كلّ أعماله، فلو شهد عليه أيّ إنسان لأنكر عليه لكن أن تشهد عليه جوارحه فيعجز عن الإنكار ولـــو حاول تقديم المعاذير .

ثالثا : الــمقطع الثــالث :

مجموع الأصوات	أصوات المدّ واللّين	نسبتها
76	13	% 7.10

تستمر أصوات الــمدّ واللّين في الانخفاض، واستمرّ صوت الألف في السيطرة على الصوتين الآخرين، فكانت نسبته (9.23 % فقد ارتبط بالأسماء حاملا دلالة الامتداد في الزمان كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾

يليه صوت الياء بنسبة (3.07 % وقد ورد صوت مدّ فقط في هذا المقطع، وارتبطت بالأسماء التالية (علينا، بيانه) فأسهم النون الذي حمل دلالة العلو في (علينا) ليعزّز الياء التي استمدت دلالتها منه، ليؤكد على قدرة الله سبحانه وتعالى على التكفل بكلّ ذلك، والأمر نفسه في (بيانه) حيث استمد الياء دلالتها من النون فدلّت على العلو .

رابــع : الــمقطع الــرابع

مجموع الأصوات	أصوات المدّ واللّين	نسبتها
316	76	% 24.05

تعود أصوات الــمدّ واللّين إلى الارتفاع في هذا المقطع، واستمر الألف في السيطرة على الصوتين الآخرين، وهذا وقد ارتبط بالأسماء التالية (العاجلة، نــاضرة، نــاظرة، باسرة، فاقرة، الفراق، راق، التراق، الســاق، المساق، الإنسان .

وقد حملت كلّها دلالات الامتداد إمّا في الزمان مثل : العاجلة والآخرة، أو المكان كالمساق والفراق .
وارتبط الألف أيضا بالأفعال وهي (صلّى، تولّ، يتمطى، كان) وكلّها تتعلق بالإنسان الذي يمتد في طغيانه وكفره وبعده وتوليه عن الإيمان، وناسيا أنّه مخلوق من نطفة ضعيف .
يلي الألف صوت الواو بنسبة (0.26 % وقد ورد صوت مدّ ارتبط بالفعلين (تحبّون، تذرون) الواو فيهما فاعل يدلّ على الجماعة " وهم كفار أهل مكة " [98] 0.26 % .

كما ورد الواو في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴿٢١﴾ ﴾ (وهو صوت لين دلّ على العطف، بعطف الجملة الأولى على الثاني .

وقد ورد الواو كذلك صوت مدّ وصوت لين في كلمة (وجوه) فساهم صوت الجيم بجهره وقوته وشدّته فأكسبها للواو ليدلّ على شدّة النضارة للمؤمنين وشدّة العبوسة للكافرين .

أمّا في لفظة (أولى) التي وردت أربع مرات فقد ساهم فيها صوت الهمزة بقوّته مع اللام بعلوه والألف لامتداده فاستمدّ الواو قوتّه منها جميعا ليدلّ على قوت التهديد و الوعيد لأبي جهل الذي آذى النبي عليه السلام " فأولى في كلام معناه مقاربة الهلاك كأنه يقول : قد وليت الهلاك، قد دانيت الهلاك . و أصله من الولي أي القرب [98] 0 /0 .

كما وردت الواو في لفظة (الموتى) فأسهم الميم بدلالتي الجمع والضم بما يناسب قدرة الله سبحانه وتعالى على جمع أشتات الموتى و لو انتشرت في أماكن متفرقة .

يلي صوت الواو الياء بنسبة (1.05 %) و قد ورد صوت لين وارتبط بالأفعال وهي (يُفعل ، يُترك، يُمنى) هذه الأفعال مبنية للمجهول ونائب فاعلها ضمير مستتر يعود على الإنسان، والياء فيها تدل على المضارعة، و في الآيات تدلّ على الـــمستقبل الذي لا يعلم موعده إلاّ الله وحد .

وارتبطت الياء بالأسماء كذلك مثل (التراقي، الزوجين) الياء الأولى دلّت على الجمع والثانية على المثنى، أمّا كلمة (منيّ) فالياء فيها مدغمة حملت دلالة " الاستقرار للـــماء " [47 ص19 ، فهو قطرة ماء تمنى في الرحم أي تراق فيه [98] 0 /76 . أمّا الفعل (يمنى) فقد قرأه عامة قراءة المدينة والكوفة (تُمنى) بالتاء بمعنى تمنى النطفة، وقرأ ذلك بعض قراء مكة والبصرة (يُمنى) بالياء بمعنى يمنى المني والصواب أنّهما قراءتان معروفتان صحيحا بالمعنى فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب [200] 2 /52 أمّا ورود الياء صوت مدّ فهو مرة واحدة في الفعل (قيل) من قوله تعالى : ﴿وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ ﴾ [99] (7) وهو فعل ماض مبني للمجهول وقائله إما الحاضرون حول الإنسان الذي سيموت فيقولون : " التمسوا له الأطباء، فلم يُغنو عنه من الله شيئا " وقال بعضهم : " بل هو قول الملائكة بعضهم لبعض، يقول بعضهم لبعض من يرقى بنفسه فيصعد بها [200] 2 /46 .

من خلال الــمقاطع الأربعة يتبيّن لنا بأنّ أصوات الــمدّ واللّين لم تسهم بشكل كبير في إثراء الدلالة؛ ذلك أنّ المعنى الرّئيسي للكلمات مرتبط بالأصوات الصامتة، أمّا الصائتة فعلى قلّتها فهي تستمدّ دلالتها من الصوامت .

غير أنّ دورها يكمن في منع اختناق الصوامت نتيجة لشدّ غالبيتها وقوّتها وجهره .
وبإحصائنا لنسبة أصوات الــمدّ واللّين في كامل السورة ومقارنتها بالصوامت الواردة في كامل السورة أيضا نتوصّل إلى ما يلي :

مجموع الأصوات	الصوائت الطويلة	نسبتها
651	148	% 22.73

مجموع الأصوات	الصوامت	نسبتها
651	503	% 77.26

يبيّن لنا من سيطرة الصوامت على الصوائت الطويلة في كامل السورة ما يلي :

– أنّ الصوامت (الحروف الصحاح) تعدّ مكونا أساسيا في بنية الكلمات، فتكون فاؤها أو عينها أو لامها (أي على صيغة فعل) فمثلا الكلمات التالية (اللّوامة، عظامــه، قادريــن، بصيــرة، معاذيره، تحبّون، تذرون، يتمطى) تعود بعد استبعاد الصوائت الطويلة إلى (لــوم، عظم، قدر، بصر، عذر، تحب، تذر، مــطّ) فتصبح بنيتها مؤلفة من الأصوات الصامتة فقط، ممّا يبيّن لنا بأنّ استبعــاد الصوائت الطويلة لــم يغيّر المعنى كلّيا بقدر مــا أثّر في كميّة الدلال .

– الأصوات الصامتة تقبل التحريك والإسكان، مثل كلمة (الــمفرّ) قرئت بفتح الميم فأصبحت مصدرا من (فــرَّ، يفــرُّ) أمّا بالكسر فيقصد بها المكان، كمــا جــاز لهــا أن تكون مصدرا كالمرجع وقرئ بهما معا [51/ ا ؛ 48/ ا ؛ فبتغيير الحركة يتغيّر معنى كلّ منهما، بينما الصوائت الطويلة لا تقبل التحريك إطلاقا .

– الأصوات الصامتة تكون بداية للكلمات أو المقاطع في كلّ آية بينما لا تبدأ الآيات بصائت فأول الآية في الــمقطع الأول مثلا هو صوت اللا .

– الأصوات الصوامت هي نواة الــمعنى أمّا الصوائت الطويلة فيتحدّد الــمعنى غالبا بما قبلها، فالألف تسبقها الفتحة مثل عظــَامه ، والواو تسبقها ضمة مثل (تحبُّــون) والياء تسبقها كسرة مثل

(يريـــد ، وهذا لا يقلّل من قيمة الحركات فهي تؤدي مهمتها في اللّغة العربية حيث تعتبر أساسا لقوة الأسمـــاع، فهي صوائت مـــجهورة ومنفتحة ومستفلة ومصمتة، أي يهتز الوتران الصوتيان عند النطق بها بسرعة وزيـــادة فيخرج الكلام عاليا جهير .

1.3. دلالة الصوت اللّغوي في فواصل الســـورة

من أروع صور التحدي التي تـــميّز بها القرآن الكريم فواصل الآيات، حيث تكون الفاصلة شاهدة في موقعها على أنّها من لدن خبير حكيم، و تدلّ بنفسها على أنّها ليست من تأليف مـــحمّد صلى الله عليه و سلم، كما تدلّ في الوقت نفسه على صدق نبوّتـــه [70 ص5 .

كما أنّ الفاصلة ظاهرة جمالية فنّـــية تقوم بوظيفتها و هي تماسك الخطاب القرآني مثلما تسهم القافية في تـــحقيق صفة النصيّة للنص الشعري، و يتحقق هذا التماسك عبر تـــحقيق الفاصلة الاستمرارية في الـــخطاب، وانطلاقا من كون الفاصلة حروفا متشاكلة في المقاطع نجد تنـــوعا في سورة القيامة من فاصلة الهـــاء إلى فاصلة الـــرّاء، إلى أن نصل إلى الألف المقصورة . يجسد هذا التنّوع في الفواصل قدرة الأصوات على التعبير عن رؤية جديدة فيها دلالة حرف من الحروف المنطوقة حتى يصبح لكلّ حرف ميزة خاصة و علامة ذات موقع خاص في الإطار العـــام للسورة، و سنناول فواصل السورة في المقاطع الأربع .

أو : المقطـــع الأوّل

يبدأ هذا المقطع بالقَسَم و ما يتصّل به، و هو يشمل ست آيات تنتهي بفاصلة واحدة هي فاصلة الهـــاء المسبوقة بالميم أو النون والمسبوقتين بدورهما بحرف مدّ وهي كالآتي (القيامه، اللّوامه، عظامه،بنانـــه، أمامه) فهذه الفواصل مقاطع صوتية مغرقة في المـــدّ و الطول و التشديد، و بالرغم من ندرة هذه الصيغ في اللّغة العربية فإنّ الخطاب القرآني قد استعمل أخوفها و أفخمها لفظا و أعظمها وقعا فيستوحي من دلالتها الصوتية مدى شدّتـــها و حدّتها لنتـــبيّن نحن مدى أهميتها و قيمتـــها .

و هذه الفواصل وردت في أغلبها على وزن ' فعالة ' فامتازت هذه الصيغ بتوجه الفكر نحوها في تساؤل و اصطكاك السمع بصداها القوي فينعكس هذا الأخيـــر بتأثيره على النّفس فتخشع لها القلوب و تدمع لها العيون فما هي دلالة هذه الأصوات في هذه الفواصل ؟

– القيـــامـــه : هي مصدر من الفعل الثلاثي قـــام يقوم قياما جاء على وزن فِعَالة، و " أصلها ما يكون من الإنسان من القيام دفعة واحدة ، أُدخِل فيها الهاء تنبيها على و قوعها دفعة " [06 ص46′ . فاجتمعت فيها أصوات قويّـــة كصوت الميـــم الذي دلّ على الجمع و الضّم، و القاف الذّي دلّ على الشّدة و القوة و الفاعلية، و اللاّم الذي دلّ على القوة و العلو، لتدلّ كلّها على شدّة ذلك اليوم الذّي يُجمع فيه كلّ الخلق منذ أن خلق الله سبحانه و تعالى آدم إلى أن يرث الأرض و من عليها ليُحاسبوا على أعمالهم فإمّا ثواب و إمّا عقاب، و بهذا نلحظ تناسبا بين الشدة الصوتية و الشّدة الدّلالية بين الصوت .

– اللّـــوّامـــه : هي اسم مشتق من لام يلـــوم لومًا و هي على وزن فعَّالـــة الذي يدل على تأكيد المعنى و تقويته و المبالغة فيه [07 ص7′ فالنفس يوم القيامة تبالغ صاحبها في اللّوم حيث تلومه على ترك الازدياد في الإحسان إن كانت مُحسِنة و على التفريط إنْ كانت مسيئة [1] 46/ فدلّ

صوت الميم على الشدّة و الغلظـــة، و اللاّم على العلو ، أمّا الواو فقد دلّ على الانفعال المُؤثر، أمّا التضعيف في الواو و الإدغام في اللاّم فقد أكسبها زيادة في المبنى مما أدّى إلى زيادة في المعنى .

- عظامـــه العظام جمع تكسير جمع كثرة) جاء على وزن فِعَالة مفـــردها عظْم وهو قصب الحيـــوان الدّي عليه اللّحم " [6ا ص08ز ، و الأمر نفسه بالنسبة للإنسان فهو الجزء الصلب من جسمه و الدّي يؤلف الهيكل العظمي له، و يصبح رفاتا بعد موته و يبقى أثره على مـــرّ السنين فضمت هذه الكلمة صوت العين الدّي دلّ على الشّدة إضافة إلى صوت الظاء فدلت و هي مجتمعة على معناها القوي في الآية؛ و هو جمعها بعد تفريقها و رجوعها رميما و رفاتا مختلطا بالتراب و بعدما سفتها الرياح و طيّرتها في أباعد الأرض .

- **بنـــانـــ** : و هو جمع تكسير (جمع كثرة) جـــاء على وزن فَعَالـــ مفرده بنـــانه، و البنان هو " الأصابع أو الأطراف و قيل سُميت بذلك لأنها بها صلاح الأحوال التي يمكن للإنسان أن يبِّـــنَ بها و يقال أبـــنَّ بالمكان يُبـــنّ به أي أقام به، و لذلك خصّه في قـــوله تعالى :

﴿ بَلَى قَـٰدِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾[99ا] (ا) و قدرة الله القدير جعلت البنان في كلّ إنسان متفاوتة عن غيره في الأحجام و الخطوط و التعاريج حتّى يميّز كلّ بنان عن الآخر " [06 ص36ا .

- أمـــامـــه : و هي ظرف مكان جاء على وزن فَعَاله و قيل في معناها ' يمضي قدما " [ز] ا / 77ز و قيل إنّها جاءت بمعنى ظرف زمان أي يدوم في ما بين يديه من الأوقات و فيما يستقبله من الزّمـــان لا ينتزع عنه فحمل صوت الميـــم الدّي تكـــرّر مرتين دلالة الامتداد و التوّسع، بينما حملت الهمزة دلالة الشّدة بما يوافق شدّة تمسّك الإنسان بحبّ الدنيا و امتداد ذنوبه مع الأيام و هو يسوّف التـــوبة و يـــؤجلها .

- القيـــامـــة : بدأ المقطع بهذه الفاصلة وانتهى بها، فأقسم الله تعالى بها بداية، ثمّ تكرر ذكرها لتدّل على التساؤل عنها و هو " سؤال معنّت مستبعد لقيام الساعة " [1ز] ا /47ز .

أمّا صوت الهاء الذي اشتركت فيه هذه الفواصل فقد حملت دلالة المقطع بما يوافق هذا اليوم الذي يشك الكفّار في وقوعه بأنه سيحدث قطعا و ثبتا و سيُحاسَب النّاس فيه على أعمالهم .

نوع هذه الفواصل هو المتمـــاثل فكلّها مختومة بهاء السكت مسبوقة بنون، أمّا من حيث التوازي و التوازن فهي فواصل متوازية لأنّها متفقة على وزن فعاله و متّفقة في الحرف الأخير .

ثانيا : المقطـــع الثـــانـــي

تتغير الفاصلة في المقطع الثاني بحسب تغير موضوع السورة فيتّم ذكر أهوال يوم القيامة، فانتقت الفاصلة من الهاء إلى الرّاء فنجد سبع آيات تنتهي بهذه الفاصلة و هي (البصر، القمر، المفـــرّ، وزر، المستقرّ، أخـــر) فهي مقاطع قصيرة إلاّ أنّ لها دالة قويّة تفيد شدّة أهوال ذلك اليوم .

أ – البصـــر : على وزن الفَعَل و هو " يقال للجارحة الناظرة ... و جمع البصر أبصار " [06 ص14 فهو ـ اسّة من حواس الإنسان الخمس، و قد دلّ صوت الباء فيها على القطع الصاد على الصفاء أمّا الرّاء فقد حمل دلالة الفزع فاجتمعت هذه الدلالات لتقطع الشّك باليقين بعد أن كان الإنسان يكذّب بذلك اليوم يـــراه رأي العين فينبهر بصره لشدّة الأهوال التي يـــراها و يلمع من شدّة شخوصه [1ذ] ا /74ذ .

ب – القمـــر جاء على وزن الفَعَل و هو " قمر السماء [06 ص738 و هو اسم مفرد جمعه أقمار فاجتمع فيه صوت الميـــم الذي يدلّ على الجمع و الضّم مع صوت الـــرّاء الذي يدلّ على الاختفاء بما يوافق اختفاء ضوء القمر في ذلك اليوم و جـــمعه مع الشّمس [ذ] ا /76ذ .

ج – المـــفـــرّ : جاء على وزن المفعل فأدغِمت فيه العين و اللاّم لأنّهما من جنس واحد هو الرّاء و هو اسم مكان من فـــرّ يفّـــر فرارا و هو " الرّوغان و الهرب [06 ص36' فدلّ فيها صوت الـــميم على السدّ و الانغلاق و الرّاء على التحريك ليدلّ كلّ ذلك على تحرّك الإنسان و هو يبحث عن ملجأ أو مهرب و هو عاجز عن فعل أي شئ ما لإنقاذ نفسه [ذ] ا /67ذ .

د – وزر : اسم مفرد جـــاء على وزن فَعَل و هو " الـــملجأ و كلّ ما التجأت إليه من جبل و غيره " [1ذ] ا /48ذ فصوت الـــزاي الذي دلّ على الشدّة مع الـــرّاء الذي حمل دلالة الخوف و الفزع اجتمعا مع الواو لتدلّ و هي مجتمعة على شدة الرّدع و الزجر للكفار بأنّه لا حصن لهم يلتجئون إليه أو يعتصمون فيه [ذ] ا /76ذ .

ه – المستـــقـــر : هو مصدر من أقـــرّ يُقـــرّ جاء على وزن المستفعل و هو ' المرجع و المصير [ذ] ا /76ذ فدلّ صوت الرّاء الضعف على الخوف و الفزع و القاف على الشدّة تؤكّد على أنّه لا مقـــر و لا وزر إلاّ لله ربّ العالمين .

و – أخّـــر : هو فعل ماض مضعّف العين على رزن فعّل الذي يدل على التكثير و المبالغ [' ص33 و التأخير مقابل التقديم و منه أخّر مقابل لقدّم، فحملت الهمزة دالة الشدّة و الخاء دلالة الخفاء و هي مضعّفة بما يوافق إخبار الإنسان بجميع أعماله قديمها و حديثها و أوّلها وآخرها و التي أظهرها و حتى التي أخفاها و ظنّ أنّه لن يطّلع عليها أحد سواه [ذ] ا / 76ذ .

و فواصل هذا المقطع هي فواصل متماثلة تنتهي بصوت الرّاء، كما أنّها مطرّفة فهي تختلف في الوزن من فَعَل إلى مفعل إلى مستفعل ثمّ إلى فعّل و لكنّها تتّفق في الحرف الأخير هو الرّا . ونجد في هذا المقطع فاصلتين تنتهيان بحرف الهاء المسبوقة بالرّاء وهم : بصيرة، معاذير .

– بصـــير : و هي على وزن فعيلـــه وهي اسم مفرد جاء بـــمعنى " الحجّة البيّنة، ووصفت بالبصيرة على المـــجاز " [1ذ] ا /648 فدلّ صوب الباء فيها على القطع والصّاد على الصّقاء، أمّا الرّاء فقد دلّ على الفزع فوافق ذلك ذعر الإنسان وفزعه وكلّ جوارحه شـــاهدة على أعمـــال .

ا – معاذيـــره : على وزن مفاعيله وهو اسم جمع للمعذرة التي جمعها معـــاذر [1ذ] ا /648 فحمل صوت العين دلالـــة الشّدّة والذال دلالة الاضطراب والرّاء للخوف والفزع، فالإنسان يفزع أمام ذلك ذلك الموقف وحتى " لو جاء بكلّ معذرة يعتذر بـــها عن نفسه ويجادل عنها .

فهاء السّكت أو الوقف لها ميـــزة صوتية رتيبة، وما زادها رنّة وتأثيرا وتناغما وسط شدّة مرعبة هو عمق مخرجها الذي يكون من أقصى الحلق، وبسبب ورود الـــميم والنون في المقطع الأول قربها والرّاء في المقطع الثاني قربها أيضا، وقربها في الصّفات فهذه الثلاثة مـــجهورة ومتوسطة في الشّدة والرّخاوة فأدّى كلّ منها دوره في تقوية الـــمعنى . وهـــتين الفاصلتين متماثلتين ينتهيان بهاء الوقف المسبوقة بالـــرّاء، كما أنّهما متطرفتان أنّهما مختلفتان في الوزن متّفقتان في الـــحرف الأخير .

ثالثـــ : المقطـــع الثـــالـــث

تتواصل في هذا الـــمقطع الفواصل المنتهية بصوت الـــهاء، غير الخلاف بينها وبين سابقتها هو أنّ الفاصلتين السّابقتين بصيـــره، معاذيره) الهاء فيها للوقف أصلها تاء مربوطة، بينما في هذا المقطع الـــهاء أصلية، ونجد في هذا الموضع أربع آيات تنتهي بفاصلة الـــهاء وهي : يـــه، قُرْآنـــَه، قَرَأناه، قُـــرْآنـــَه .

– يـــه : هذه الفاصلة لا وزن لها لأنّ الهاء ورد في ضميرا متّصلا بـــحرف جـــرّ هو الباء جاء بمعنى على، فكان الـــهاء ضميرا متّصلا في مـــحلّ جرّ اسم مـــجرور يعود على القرآن .

ا و 3 – قـــرآنـــ : على وزن فُعلانه، وهو مصدر من قرأ يقرأ قراءة " والقراءة ضمّ الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل " [06 ص714 فالهاء هنا ضمير متّصل مبني على الضّم في محلّ جـــرّ مضاف إليه وليس من أصل الكلمة، وقد حمل النون المـــجاور له دلالة الرّقة والاستكانة لتحمل بذلك هذه الفاصلة المتكرّرة دلالة الرّقة التي تنبع العناية الإلـــهية التي خصّ بها النبي عليه الصّلاة والسّلام بجمع القرآن في صدره وإثبات قراءته والاكتفاء بالاستماع إلى الـــملك .

– بياذ : هو مصدر من بان يبين بيانا جاء على وزن فعاله بمعنى " التوضيح وإلهام معانيا [ذ] ا /77ذ كما " سمي ما يُشرح به المـــجمل والمبهم من الكلام بيانا " [06 ص46 والهاء ضمير متّصل في مـــحلّ جرّ مضاف إليه، سُبق بحرف النون الذي حمل دلالة الرّقة والاستكانة لتحمل الكلمة بما فيها دلالة العناية الإلـــهية بإيضاح معناه وتفسيره لتدارسه والعمل بـــه [ذ] ا /77ذ .
أمّـــا عن نوع هذه الفواصل فهي من نوع المتّطرّف لأنّها تـــختلف في الوزن وتتّفق في الحرف الأخير، كما أنّها متماثلة لانتهائها بالـــحرف نفسه وهو الها .

المقطـــع الـــرّابع :

نجد في هذا المقطع ثلاثة أنواع من الفواصل وهي : فاصل الهاء ثمّ فاصلة القاف، تليهما فاصلة الألف المقصور .

– النّوع الأوّل : تتواصل فاصلة الهاء في هذا المقطع، وهي في هذه المواضع هاء الوقف حيث نجد سبع آيات تنتهي بها، وهذه الفواصل هي : العـــاجله، الآخره، ناضره، ناظرة، باسره، فاقره .

– – العـــاجلـــه : على وزن الفاعلة وهي اسم فاعل أضيفت إليها التّاء المربوطة لتدلّ في الآية على معنى " الدّار الدنيا فدلّ صوت العين على الظّهور والجيم على القوّة، أمّا الـــلاّم فقد دلّ على العلوّ بـــما يتوافق مع شدّة حبّ الإنسان للدنيا وتمسّكه بها والرّكض وراء ملذّاتـــه .

– – الآخـــره : على وزن الفاعلة وهي اسم فاعل أيضا أضيفت إليها التّاء المربوطة، ومعناها في الآية " يوم القيامة " [ذ] ا /78ز فحمل الخاء معنى الخفاء والرّاء معنى الخوف والفزع لتدّل على تمسّك الإنسان بالحياة الدّنيا ونسيانه الآخرة التي لا يعلم ميقاتها و موعدها إلاّ الله سبحانه عزّ وجـــل .

– – نـــاضره : اسم فـــاعل من نضر ينضر نضـــارة على وزن فاعلة وهي " الـــمشرقة البهية المسرورة [ذ] ا /578 فحمل صوت النّون دلالة الرّقة أمّا الضّاد فقد دلّ على الامتلاء والرّاء على الرّقة بـــما يوافق امتلاء وجوه المؤمنين بالإشراق والحسن جزاءً لها على عملها الصّالح، فتناسبت رخاوة هذه الأصوات ورقتها مع رقة دلالة معانيه .

– – نـــاظره : اسم فاعل من نظر ينظر على وزن فاعلة والمعنى في الآية " أي تراه عيانا " [ذ] ا /78ز ؛ فدلّ صوت الظّاء على التمكّن والرّاء والنون على الرّقة بما يتوافق ورؤية المؤمنين الصّالحين ربّهم يوم القيامة جزاء وثوابا لهم من الله عزّ وجل .

– – بـــاسره : اسم فاعل على وزن الفاعلة من بسر يبسر والبُسر هو " الاستعجال بالشيء قبل أوانه ... وخُصّ تنبيها على أنّ ذلك مع ما ينالهم من بُعد يجري مجرى التّكلّف ومجرى ما يُفعل قبل وقته و يدلّ على ذلك الآية التي تليه " [06 ص09 كما قيل في معناها ' عبس و كلح " [151] ص78 فحمل صوت الباء دالة القطع ، و السين دلالة الشّدة ،أمّا الـــرّاء فالخوف و الفزع بما يتناسب و فزع الكفار يومئذ و وجوههم عابسة و كالحة جـــزاء لها على أعمالهم الطالحة .

– – فاقـــرة : اسم فعل من فقُر يفقُر " و أصل الفقير هو المكسور، يقال فقرتـــه فاقرة أي داهية تكسر الفقار [06 ص79ز فيكون معناها في الآية " داهية تقصم فقار الظهر " [1ذ] ا /50ز فالقاف بدلالته على الشّدة و الفاء على الضعف و الوهن، و الرّاء غلى الخوف و الفزع تدلّ كلّها على تيقّن الكفار من أنّ داهية ستصيبهم فيشتدّ عليهم الأمر .

و نوع هذه الفواصل هو من النّوع المتماثل فهي تنتهي بصوت الهاء المسبوقة الرّاء، كما أنّها من النوع المتوازي لأنّها على وزن فاعلة أي أنّها متّفقة كلّها على وزن واحد .

ب – النّوع الثـــاني : تنتقل بنا السورة إلى فاصلة أخرى هي فاصلة القاف فنجد ستّ آيات نهي بفاصلة واحدة هي القاف المسبوقة بمد و هي : (التراقي، راق، الفراق، السّاق، المساق .

– راق : هي اسم فاعل من رقى يرقي فهو راقي حذفت ياؤه لأنّه سبق بـــ من، و معناه " طالب الشفاء بأسماء الله المقدّسة و آيات الله الكريمة [06 ص151 فحمل القاف دلالة الشدّة، و الرّاء الخوف و الفزع ليدلّ على شدّة هذا الموقف و فزع النّاس و هم يرون شخصا محتضرا أمامهم " و هم يقولون : أيّكم يرقيه مما فيه ؟ كما قيل هو كلام ملائكة الموت : أيّكم يرقى بروحه ؟ ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ " [ذ] ا /79 .

– الفـــراق : مصدر من فرّق يفرّق فراقا على وزن الفِعال و هو الانفصال فدلّ صوت الفاء على التفريق و التباعد و الرّاء على الاختفاء و القاف على الشدّة لتدّل كلّها على " أنّ هذا الذي نزل به هو فراق الدنيا المـــحبوبة [ذ]ا /51 فيبتعد عن أهله و لا يرونه مرّة أخرى .

– السّـــاق : اسم مفرد جمعه سيقان على وزن الفَعل و الألف أصلها واو أي السّوق و هي قدم الإنسان التي تسوقه أينما يريد، فدلّ فيها صوت السين على الحركة و المسير و القاف على الشدّة بما يتوافق مع تحرّك الساقين و التفافهما إحداهما على الأخرى عند علز الموت أي كالرعدة تصيب المريض فيكون شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة [ذ] ا /651 .

– المســـاق : اسم مكان على وزن المـــَفعل من الفعل ساق يسوق سوقا جاء بمعنى " المرجع و المآب [ذ] ا /80 فحمل صوت القاف دلالة الشدّة، و السين دلالة الاستقرار و الميم الجمع و الضم لتدل الكلمة على أن النّاس كلّهم بعد الـــموت يُجمعون و يُساقون إلى الله و حكمه [ذ] ا /51 .
و هذه الفواصل متماثلة في الحرف الأخير و هو القاف عدا الأولى التي يلي فيها القاف الياء، كما تنتمي إلى النوع المتطرف فهي تختلف في الوزن و تتّـــفق في الـــحرف الأخيـــر .

ج – النّوع الثـــالث : ننتقل إلى فاصلة أخرى هي فاصلة الألف المقصورة فند عشر آيات تنتهي بها، وهذه الفواصل هي : صلّى، تولـــىّ، يتمطى، أولى، سدى، تمنى، سوى، الأنثى، الـــموتى .

– صلـــّى : هو فعل مـــاض على وزن فعّل الذي يدلّ على التكثير والمبالغة [07 ص3 فدلّ صوت الصّاد على الصّقاء، واللاّم على العلو والقوّة ليدّل هذا الفعل على الصّقاء والنّقاء الذي يشعر به الـــمؤمن وهو يؤدي صلاته، ومنزلته تعلو وهو يتقرّب من المولى عزّ وجلّ، أمّـــا الكافر وهو أبو جهل فـــ " لم يكن ممّن يصلي أي يأتي بهيأتها فضلا عمّن يقيمها " [06 ص513 فلم يذق حلاوة الإيـــمان ولـــم يعرف طعم الإسلا .

- تولّى : فعل ماض على وزن تفعّل الذي يدلّ على التّجنب [07 ص9] بما يوافق تجنّب الكافر وإعراضه عن الإيمان، فالتّاء واللاّم المضاعفة من حروف الزيادة التي أدّت إلى تقوية المعنى، فدلّ صوت التماسك بما يوافق تمسّك الكافر بكفره وابتعاده عن الإيمان بالله .

- يتمطّى : فعل مضارع على وزن يتفعّل وهي صيغة تدلّ على التّكلّف [07 ص9] أي أنّ هذا الكافر يتكلّف المفاخرة بنفسه وهو يتبختر يمدّ خطاه فدلّ صوت الطّاء على الضّخامة والعلو، والميم دلّ على الامتداد والتّوسع بما يوافق تضخيم الكافر لمشيته وهو متوجّه إلى أهله .

- و - أولى : اسم تفضيل على وزن أفعل بمعنى ' أحرى " [06] 67] وقد حمل صوت اللاّم فيه دلالة العلو، والهمزة دلالة الشّدة بما يوافق شدّة التهديد والوعيد من الله سبحانه وتعالى للكافر الذي يريد علواً في الأرض، فالله أعلى منه ومن كلّ المخلوقات، فمعنى أولى) في الآية ويل لك وقد تكرّر التّهديد مرّتين للتأكيد .

- سدى : اسم على وزن فُعْلا ومعنا ' المهمل " [07 ص13] فدلّ صوت الدّال على المشي البطيء والسين على الرّقة واللّين بما يتناسب واعتقاد الإنسان أنّه خُلِق بدون فائدة مهملا لا يكلّف بالشّرائع وبأنّه لن يبعث [51] 78] .

- تُمنى : فعل ماض مبني للمجهول على وزن تُفعل من الفعل منى يمني أي " قدّر .. ومنه المنيّ للنُطف التي قُدِرت فيها الحياة أي ماء الرّجل وماء المرأة " [06 ص51] فحمل صوت الميم دلالة الجمع والضّم، والنون الرّقة والضّعف بما يتوافق مع ضعف الإنسان الذي كان مرّد نطفة ضعيفة تُصَبُ في الأرحام فتُجمع مع بويضة المرأة فيُخلق منها ما يشاؤه الله ويقدّر فيها الحيا .

- سوّى : فعل ماض على وزن فعّل بمعنى عدّل [51 ص78] والفعل منسوب إليه تعالى [06 ص55] فدلّ صوت السّين على التّسوية، والواو المشددّة على القوّة بما يوافق قدرة الله سبحانه وتعالى على أن يسوّي الخلق سليم الأعضاء [51 ص78] .

- الأنثى : اسم مفرد على وزن الفُعلى وهو خلاف الذكر من كلّ شيء وجمعه إناث فدلّ صوت الثاء على الأنوثة، والنون على الرّقة والاستكانة بما يوافق الضّعف فيها مقارنة بالذّكر لهذا قيل لمن يضعف عمله أنثى [06 ص5] كما دلّت في الآية على قدرة الله في الخلق فيجمع تارة النّوعين وينفرد كلّ منهما تارة أخرى [51 ص78] و يجعل من يشاء عقيم .

-0 - الموتى : جمع تكسير جمع كثر) على وزن الفَعْلى ، مفرده ميّت والميّت هو زوال القوّة النّامية الموجودة في الإنسان أو الحيوان أو النّبات " [06 ص53] فدلّ صوت التّاء على الضّعف، أمّا الميم فقد دلّ على الانقطاع، بما يوافق ضعف الإنسان عند انقطاعه عن الدنيا وإقباله على الآخرة فيصبح رميما تأكله الديدان تحت الأرض، فالله قادر على بعثه وإحيائه من جديد ليُحاسبَ على أعماله، وقارئ القرآن عند وصوله إلى هذه الفاصلة وجب عليه أن يقول ' سبحانك بلى " اقتداء برسول الله صلّى الله عليه وسلّ .

والفواصل العشرة الأخيرة متماثلة في الحرف الأخير وهو الألف المقصورة ، كما أنّها مطّرفة أي متّفقة في الحرف الأخير ومختلفة في الوزن .

من كلّ ما سبق يتــبيّن لنا بأنّ عدد فواصل سورة القيامة تسع وثلاثون فاصلة، أمّــا إذا عددنا المتكرّرة منها وهي : (القيامة، القمــر، قرآنه، أولى) مرّة واحدة يصبح العدد خمس وثلاثون فاصلة، وهذا التّكرار زاد من قوّة المعنى وتأكيد . وقد تنّوعت فواصل السورة ممّا أكسبها جرسا موسيقيا متنوّعا أمّا الفاصلة التي سيطرت فهي فاصلة الهاء التي كانت في المقطع الأوّل وفي جزء من المقطعين الثّاني والرّابع، مــمّا يحثّ على الوقف عند هذه الكلمات للتدبّر و الاتّــعاظ والتّأمل لخشية الله أكثر، خاصة عند قراءة هذه الأهوال في يوم لا ينفع فيه مــال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم، أمّا النّوع المسيطر فهو الــمتماثل الذي أضفى إيقاعا متميّزا، فننتقل من فواصل ذات إيقاع طويل في المقطع الأول إلى فواصل بإيقاع قصير في المقطع الثّاني، ثمّ العودة إلى الطّويل وهكذ ... ممّا يحدث نغما متنوعا تطرب له الآذان وتخشع له القلوب وتدمع له العيون .

من خلال تحليلنا الصوتي لسور القيامة نتوصّل إلى النتائج التاليـ :
– ارتفاع نسبة بعض الأصوات وانخفاض بعضها؛ فقد ارتفعت نسبة الأصوات الــمجهورة فقدّرت بــ (0.33 %) والبينية نسبة (5.97 %) والمنفتحة بنسبة (8.31 %) والمستفلة بــ (3.23 %) والمصمتة بــ (8.52 % ، بينما انخفضت أصواتها الــمتضادة لها فبلغت نسبة الأصوات الــمهموسة (9.66 %) والشديدة بنسبة (5.19 %) والرخوة (8.27 %) والمطبقة (68. %) والــمستعلية (75. %) والمذلقة (1.47 %).

– أمّا الصّفا ت غير الــمتضادة والتي يُطلق عليها بالمــحسّنة فقد ارتفعت فيها أصوات القلقلة بنسبة (2.28 % ،و صوتي الانحراف بـ (6.58 % ، في حين انخفضت أصوات الصّفير بـ (22. %) والصّوت المكرّر بــ (06. %) في حين يكاد ينعدم صوتي الاستطالة والتفشي بنسبتين متقاربتين هما على الترتيب (30. %) و (51. %).

– يمكننا إرجاع هذا الاختلاف في النسب إلى العلاقة الوطيدة بين الأصوات وبين الدلالة الكليّ للسورة؛ فكثرة ارتفاع الأصوات الــمجهورة مثلا يوافق شدّة أهوال يوم القيامة، مع ارتفاع لهجة التهديد والوعيد للإنسان الكافر الذي يتفرّد بحبّ الدنيا تاركا وراءه الآخرة، وانخفاض نسبة الصّوت الــمستطيل راجع إلى صفة الضّعف فيه ممّا يتعارض مع الــمعاني الكيّة للسورة، فالسورة في مــجملها تحمل معاني القوة والشّدة بما يتوافق مع الأصوات الــمجهورة والقويّة والمصمتة وغيرها من الصفات القويّة الأخرى .

– للصوت مكانة هامة ومنــزلة رفيعة فمعظم أصوات السورة تحمل دلالات خاصة تفيد في إبراز معاني الآيات، وبعضها يستمدّ معناه من تضــافره مع الأصوات الأخرى .

– الأصوات الصامتة هي نواة الــمعنى وأساس بنية الكلمة، أمّــا الصوائت فدورها يتمثّل في التأثير في كميّة الكلمة وفي منع اختناق الصوامت نتيجة لشدّة غالبيتها وقوّتها، كما أنّ الصوامت تقبل التحريك والتسكين بينما الصوائت الطويلة لا تقبل التحريك مطلقا، كما أنّ الصوامت تمتاز بصفات متنوعة بينما الصوائت لها صفات الــمدّ و اللّين و الــجهر و الانفتاح و الاستفال فقد .

· بلغ عدد فواصل السورة تسع وثلاثون (6؛) فاصلة، أربعة منها مكرّرة ممّا ساعد على تقوية المعنى وتأكيده،وقد أحدثت الفواصل جرسا موسيقيا عذبا ومتنوعا ممّا ساعد على استمرار وقوع الإيقاع العام في نسق صوتي متجانس، أحدث نغما متنوعا أطرب الآذان وأخشع القلوب .

الخـــاتمة

لقد ـ اولنا من خلال هذا البحث استنطاق البُنية الإيقاعية الصوتية من خلال دراسة المستوى الصوتي لسورة من سور القرآن الكريم و هي سورة القيامة، و التي كشفت لنا مواطن الإعجـــاز في السورة فأفضت هذه الدراسة إلى نتائج مختلفة تتمثل في ما يلي :

. – القرآن الكريم و هو المعجزة الخالدة على مـــرّ الزمن يحتاج منّا إلى دراسة لسوره وآياته و كلمـــاته و حروفه و أصواته لكشف مواطن الإعجاز اللّغوي و البلاغي فيه، فدراستنا هذه هي نقطة من بحر هذا الإعجاز في سورة من سوره، و نرجو أن نواصل مشوارنا في بحـــوث مستقبلية إن شاء الله تعالى مع المستويين الافرادي و التركيبي بشقيه النحوي و البلاغي مع دراسة الحقول الدلالية لها .

. – لا يمكننا نكران فكرة العلاقة بين الصوت و الدلالة، فاللّغة العربية تحوي كثيـــرا من مظاهر هذه الدلالة و هذا لاتصافها بعدة خصائص تميّزها عن اللّغات الأخرى؛ كسعة مدارجها الصوتية التي تتوزع على تسعة و عشرين حرفا، و ما يؤكد هذه الفكرة هو الخطاب القرآنـــي الذي يوحي كل صوت منه بدلالة معينة تؤكد على سمـــة الإعجاز فيه .

. – ترك التحليل البنيوي للغة مجالا واسعا لدراسة الخطاب من عدة مستويات تتمثل في المستوى الصوتي و الإفرادي و التركيبـــي، إضافة إلى المستوى الدلالي المرافق للمستويات الثلاثة، كما يعتبر المستوى الصوتي هو الأساس لبقية المستويات .

. – الخطاب القرآني هو الخطاب الموجّه من الله سبحانه و تعالى إلى النبي – صلّى الله عليه و سلـ – أولا و إلى البشرية قـــاطبة ثانيـــا، وهو يدعو إلى التدبر في آياته و سوره لاكتشاف أسراره التي لا تنتهي و عجائبه التي لا تنقضي .

. – عرفت الدراسات الصوتية محاولات جادة منذ نشأة علم القراءات الذي تصدّى للتحريف الذي طـــال القرآن الكريم و اللّغة العـــربية معا، إلى أن وصلت إلى المحدثيـــن بنضجها بفضل المخابـــر الصوتية الحديثـــة و وسائل التشريح الدقيقة .

. – أغفل علماء الأصوات المحدثون بعض المصطلحات التي عند العرب و استعانـــوا بمصطلحات مترجمـــة عن اللغات الأخرى، فتعددت بذلك المصطلحات بتعدد المترجمين مثل مصطلح الشد " الذي وضعه سيبويه أطلق عليه المحدثون مصطلح انفجاري " أو " انسدادي " ومصطلح الرّخـــو " الذي أطلقوا عليه الاحتكاكي " أو التسريـــبي " وغيره .

' – ضرورة التّفريق بين القيمة التّعبيرية للأصوات و بين دلالتها، فالأولى هي متغيرة تعـــود إلى طبيعة الأصوات نفسها و تتغير مع ما يتألف معها في البنية الصوتية للفظ كقولنا سطِ" و صطِ فصوتـــي السين و الصاد يتّحدان في الهمس و الرخـــاوة و الصفير غير أنهما لا يتّحدان في الإطباق أن الصاد مطبقة و السين غير مطبقة، أمّا دلالة الأصوات فهي ثابتة و ساكنة ينفرد بها كل صوت عن غيره كدلالة صوت الخاء في ينضخِ" على القوة و العنف، و دلالة الحاء في ينضحِ" على البطء و التؤدة .

: – كل زيادة في قوة الصوت و جهره تستلز زيادة في الدالة وارتقاء في المعنى كما أن اختلاف الأصوات قوة و ضعف و تباين أجراسها و رنّاتها يؤدي إلى اختلاف الألفاظ التي كون فيها من حيث وقعها على السمع ، ومن حيث دورهـــا في أداء الدلالة، فالأصوات القوية تناسب مواقع الشدة و الزجر والتعنيف و غيرها، بينما الأصوات الرخوة الهادئة تناسب حالات الرخاء والهدوء و الارتياح و غيرها .

' – ورد مصطلح صوت في القرآن الكريم عامّا و لم يختص بالإنسان فقط، ونظـــرا لأهميته البالغة فقد استفتحت بعض سوره بأصوات أو حروف هجاء يحمل كل منها دلالة معينة فقيل بأنها من الأسرار الإلهية التي استأثر الله بعلمها، و الواجب أن نؤمن بها و نقرأها كما هي، و ذكر بعضهم أنّها أتت على أحسن الوجوه وأبلغها حتى يُقبل عليها السامع بكل جوارحه متدبرا إياه و واعيا به و متعمقا في معانيه .

0 – الفاصلة القرآنية هي كلمة آخر الآية و تقع عند الاستراحة في الخطـــاب لتحسين الكلام بها، و لا يجوز إطلاق لفظ القافية عليها لأن الرد جاء في القرآن الكريم بأنه ليس بقول شاعر، و لكن يجوز إطـــلاق لفظ السجع عليها على سبـــيل المقاربة .

1 – تعتبر الفاصلة القرآنية ظاهرة صوتية يمكن دراستها ضمن علم الأصوات، فتصنيف أنواعها كان تبعا للأصوات التي تنتهي بها فنجد المتماثلة و المتوازية و الموازنة والمطرفة، و قد تتنوع الفواصل في السورة الواحدة ، فمن المتوازنة مثلا إلى المتوازية ثم إلى المطرفة و غيرها، كما تعد الفـــاصلة أهم عامل من عوامـــل تكوّن الدلالة و تشكّل الإيقاع المتناغم الذي ترتاح إليه النفس فالتوازي يحقق انسجام الكلام و اتّـــزانه، و التوازن يحقق الاعتدال في نصوصه .

2 – إنّ القارئ المتدبر للقرآن الكريم يلحظ ظواهر صوتية متنوعة تحدث في فواصله كزيادة حرف ما، أو تأخيره و هذا يدل دلالة واضحة على روائع الإعجاز في القرآن الكريم التي تحقق حسن النظم و عذوبة اللفظ .

3 – من خلال تحليلنا الصوتـــي لسورة القيامة توصّلنا إلى وجود علاقـــة وطـــيدة بين الأصوات و بين الدلالة الكلية للسورة، فكثرة الأصوات المـــجهورة و الشديدة مثلا تُوافق شدة أهوال يوم القيامة مع ارتفاع لهجة التهديد و الوعيد للإنسان الكافر الذي يحب الدنيا و يسعى لها تاركا و راءه الآخرة لا يعمل لها .

4 – الأصوات الصامتة هي نواة المعنى، و أساس بنية الكلمة أما الصوائت الطويلة فهي تؤثر في كمية الدلالة مع منع اختنـــاق الصوامت نتيجـــة لشدة غالبيتها و قوتـــها و جهرها،كمـــا أن الصوامت تقبل التحريك و التسكيـــن بينما لا تقبل الصوائت الطويلـــة التحريك مطلقا .

5 – بلغ عدد فواصل السورة تسع و ثلاثون (39) فاصلة، فتكررت منها أربع لتقوية المعنى و تأكيده كما تنوعت الفواصل في السورة ممّا أكسبها جرسا موسيقيا متنوعا، فساعد ذلك على استمرار وقوع الإيقاع العام للسورة في نسق صوتي متجـــانس أحدث نغما متنوعا تطرب له الآذان وتخشع له القلوب و تدمع له العيون .

و هكذا بعد انتهائنا من عرض هذه النتائج لابد أن نشير إلى أنّها ليست نهائية، فهي قابلة للمناقشة و المزيد من الإثراء ، إذ يمكن أن يظهر ما هو أجدر منها و أحق .
كما أننا لا نزعم بلوغ اليقين بهذه النتائج، فما هي إلا قطرة من بحر العلوم و المعارف و خطوة صغيرة في دروب العلم الطويلة، و بيننا و بين النتائج العلمية مجهودات كثير .

و تبقى هذه النتائج نسبية أما الحقيقية المطلقة فهي استأثر الله سبحانه و تعالى بعلمها، ويبقى فوق كل ذي علم عليم، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالميـــن .

قائمة المراجع

. . ابن منظور جمال الدين الإفريقي، " لسان العرب ، تحقيق يوسف خياط، دار لسان العرب، دون طبعة، بيروت، لبنان، (408 هـ - 988 . .

! . التهانوي محمد بن علي بن محمد " كشاف اصطلاحات الفنون ، تحقيق لطفي عبد البديع، الهيئة العامة للكتاب، دون طبعة، مصر، (972 . .

سورة ص

. الأصفهاني الراغب " المفردات في غريب القرآن ، طبع و مراجعة محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، طبعة ، بيروت، لبنان، ، (418 هـ - 998 .).

. ابن كثير الإمام الحافظ الدمشقي عماد الدين أبو الفداء " تفسير القرآن العظيم ، مرجعة أنس محمد الشامي ومحمد عيد، دار البيان اللّبناني، دون طبعة ، دون تاريخ .

6. سعيد يقطيـــن " تحليل الخطاب الروائي ، المركز الثقـــافي العربي، طبعة ، بيروت، (997 .).

. فردينا ن دي سوسور، دروس في الألسنية العامة " ، ترجمة صالح القرمادي ومحمد شاوش ومحمد عجينة،الدار العربية للكتاب،دون طبعة، تونس، دون تاريخ .

8. jean du bois , dictionnaire de linguistique, libraire La Rousse, Paris,1er édition, 1973 .

. إبراهيم صحراوي، الخطاب الأدبي لدى جرجي زيدان" تحليل رواية جهاد المحبين ، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، (993.) .

0. . ميخائيل باختين " الماركسية وفلسفة النّص " ، ترجمة محمد البكري ويمنى العيد، دار بوتقال، دون طبعة،الدار البيضاء، المغرب، (986. .

1. . محمد خطابي " مدخل إلى انسجام النّص " ، المركز الثقافي العربي، طبعة ، الدار البيضاء، المغرب، (991.).

2. . نور الدين السّد " الأسلوبية وتحليل الخطاب في النّقد العربي ، دار هومة للنشر والتوزيع ،دون طبعة ، الجزائر، دون تاريخ .

.3 . – رولان بارث " لذة النّص ، ترجمة فؤاد الصفا والحسين سبحان، دار بوتقال، دون طبعة، الدار البيضاء، المغرب (986).
4 . – تزفيتان تودوروف " نقد النقد ، ترجمة سامي السويدان، مركز الإنماء القومي، لبنان (986).
5 . محمد سمير نجيب اللّبيدي " معجم المصطلحات النّحوية والصّرفيا مؤسسة الرسالة، الطبعة! ، سوريا، (986).
6 . ابن هشا الأنصاري أبو محمد جمال الدين يوسف ، مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني،دون طبعة، القاهرة ، دون تاريخ .
7 . ابن يعيش موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي " شرح المفصل ' ، تحقيق يوسف حسن عمار، دار النهضة،دون طبعة، بيروت، لبنان، ، دون تاريخ .
8 الأسترابادي، " شرح الرضي على الكافية ".
9 ابن مالك محمد بن عبد الله الأندلسي، ألفية بن مالك، دار الكتب العلمية،دون طبعة، بيروت، ، دون تاريخ .

0! الجويني إمام الحرمين " الكافية في الجدل " ، تحقيق فوقية حسين محمد، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ،دون طبعة، مصر، ، (399 هـ – 979 . .
1! ـ ورة الملك .
2! . سورة المجادلة .
3! . محمد بخيت " سلم الوصول إلى نهاية السول ، المطبعة السلفية، دون طبعة، لبنان (982 .
4! . ســـورة التوبة .
5! . يمنى العيد " في القول الشعري ، دار بوتقال، دون طبعة، الدار البيضاء، المغرب (987).
6! . يمنى العيد " في معرفة النّــص " ، دار المعرفة، دون طبعة، بيــروت، لبنـــان (984).
7! . سعد مصلوح الأسلوب (دراسة لغوية إحصائية ، دار الفكر العربي، طبعة ،القاهرة (985).
8! . المعطي عرفة، " قضية الإعجاز القرآني ".
9! . سورة يـــونس .
0! . سورة هـــود .
1! . سورة الإسرا .
2! . جمال نصار " الخطاب القرآني المعاصر ، دار الإسراء للتوزيع والنشر، ط ،الأردن (000!).
3! . سليمان العشراتي " الخطاب القرآني ، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون،الجزائر،998 .
4! سورة القمر .
5! . سورة المائدة .
6! . سورة الحجر .
7! . سورة التحريم .
8! رشيد بن مالك، " قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص ، دار الحكمة، دون طبعة،الجزائر (000!) .
9! . حسني عبد الجليل يوسف " علم قراءة اللّغة العربية ، دار المعالم الثقافية،طبعة ، القاهرة،003! .

10 . فرحان بدري الحربي " الأسلوبية في النقد العربي الحديث (دراسة في تحليل الخطاب) ، دار الكتاب العربي،طبعة ، بيروت، ، (424 هـ – 003 .

11 . وليد النّجار " قضايا السّرد عند نجيب محفوظ ، دار الكتاب اللّبناني، طبعة ، بيروت (985).
12 محمد طول البنية السّردية في القصص القرآني ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، طبعة ، (991).

13 . جعفر دك الباب، " النظرية اللّغوية الحديث " ، اتّحاد الكتاب العرب،طبعة ، دمشق (999).

14 . عادل جابر وآخرون مستويات اللّغة العربية " ، دار صفاء للنشر والتوزيع، طبعة ،عمان،الأردن (420 هـ – 000 م .

15 . محمد شـــامية، في اللّغ – دراسة تمهيدية ومنهجية متخصّصة في مستويـــات اللّغا ، دار البلاغ للنشروالتوزيع، طبعة ،الجزائر، (002).

16 . محمد بن أبي بكر الرازي ' مختار الصحاح ، ضبط وتخريج وتعليق مصطفى ديب، دار الهدى، دون طبعة عين ميلة، الجزائر،، دون تاريخ .

17 الرازي الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين " التفسير الكبير ، دار إحياء التراث العربي، طبعة ، بيروت، لبنار ، دون تاريخ .

18 ابن سينا أبو علي الحسين ' أسباب حدوث الحروف ، مراجعة وتقديم طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكيات الأزهرية،دون طبعة، القاهرة، (398 هـ – 975 . .

19 أحمد مختار عمر ' دراسة الصوت اللّغوي ، عالم الكتب، دون طبعة ، القاهرة ، (411 هـ – 991 م .

20 . – تمام حسان،مناه البحث في اللّغة، دار الثقافة،دون طبعة، الدار البيضاء، المغرب (980).
21 . ابن جني ' سرّ صناعة الإعراب ، تحقيق حسن الهنداوي ، دار القلم،طبعة ، دمشق (413 هـ – 948 . .
22 . ســـورة الأنفال .
23 . إبراهيم أنيس " الأصوات اللّغوية ، مكتبة الأنجلو مصرية،دون طبعة، القاهرة ، 975 .
24 الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البيان والتبيين ، تحقيق وشرح هارون عبد السّلام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة،طبعة ، القاهرة، (368 هـ – 948 . .
25 . تمام حسان " اللغة العربية معناها و مبناها "، عالم الكتب، ط3، القاهرة، ، (1418هـ-1998م).
26 . كمـــال بشر، ' علم الأصوات ، دار غريب،دون طبعة، القاهرة ، مصر ، 000 .
27 . سورة الحج .
28 . سورة النسا .
29 . ابن فارس، " معجم مقاييس اللغة "، دار الفكر، دون طبعة، لبنان، 1997.
30 . سورة البقر .
31 . الزمخشري ، " تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل " ، دار الكتب العلمية، طبعة ، بيروت، لبنان، (415 هـ – 995 . .

2ز . الداني أبو عمرو عثمان بن سعيد ، ' المحكم في نقط المصحف "، تحقيق عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم ،طبعة1، دمشق، (1961).

3ز . الخليـــل بن أحمد الفراهيدي " معجم العين ، تحقيق عبد الله درويش، مطبعة العاني،دون طبعة، بغداد (976).

4ز . سيبويه أبو بشر عثمان بن عمرو بن قنبر ، الكتاب : تحقيق هارون عبد السلام، مكتبة الخانجي، طبعة1 ،القاهرة، د ت .

5ز . محمد داود " الصوائت والمعنى في العربية دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة (2001).

6ز . تمام حسان، اللغة بين المعيـــارية و الوصفية ، دار الثقافة، الدار البيضاء،المغرب (980).

7ز . أحمد مختـــار، " البحث اللغوي عند العرب عـــالم الكتب، طبعة1 ، القاهرة، (402 هـ – 982).

8ز . عمار ساسي اللسان العربي وقضايا العصر دار المعارف للإنتاج والتوزيع، دون طبعة، بوفاريك، الجزائر (2001).

9ز . كمال بشر، " دراسات عي علم اللغة دار غريب، دون طبعة، القاهرة (998).

0ر . محمد شحرور، " الكتاب والقرآن ،الأهـــالي، طبعة ، دمشق، سوريا، (990).

1ر . ابن جني، ' المنصف في شرح كتاب التعريف للمازني ، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، دار غريب،دون طبعة، القاهرة (954).

2ر . ســـورة آل عمران .

3ر . ســـورة طـــه .

4ر . ســـورة إبراهيـــم .

5ر . ســـورة الأعراف .

6ر . ســـورة الحجـــرات .

7ر . المبرد ' المقتضب تحقيق عبد الخالق عضـــيمة، المجلس الأعلى للشـــؤون الإسلامية،طبعة ، مصر (399).

8ر . الزمخشري، المفصل في علوم العربية ، دار الجيل ،طبعة1 ، بيروت، لبنان، ط1 ، دون تاريخ .

9ر . السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، تحقيق عبد العـــال ســـالم مكرم وهـــارون عبد السلام، عالم الكتب،دون طبعة، القاهرة ، (421 هـ – 2001) .

0ز . حلمي خليـــل، " الكلمة دراسة لغوية و معجمية ، الهيئة العامة للكتاب، الاسكندرية ، دون طبعة،مصر، (980).

1ز . خولة طالب الإبراهيمي مبادئ في اللسانيات ، دار القصبة للنشر، دون طبعة،الجزائر (2000).

2ز . محمد الماضي، " الشامل في اللغة العربي ، دار المستقبل، دون طبعة، عمان، الأردن (991).

3ز . صالح بلعيد، " دور المؤسسات الثقافية العربية في تنمية اللغة العربية ، (رسالة دكتورا) ، جامعة تيزي وزو، (992).

4ز . محمد أحمد أبو الفرج ، المعاجم اللغوية في ضوء علم اللغة الحديث ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، طبعة ، بيروت، لبنان، 966 .

35 . أحمد مختـــار، علم الدلال ، عـــالم الكتب ، طبعة1 ، القاهرة (993).
36 . عبد القادر أبو شريفة، علم الدلال والمعجم العربي ، دار الفكر للنشر، طبعة ، عمان، الأردن ، (989).
37 . عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز مؤسسة الرسالة، طبعة ، سوريا (426 هـ -005 .
38 . ابن جني، الخصائص تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت (986).
39 . القزويني ' الإيضاح في علوم البلاغ ، دار الكتاب الإسلامي طبعة ، دون بلد، دون تاريخ .
40 . تمام حسان، الأصول دراسة إبيستيمولوجية للفكر اللّغوي عند العرب " ، عالم الكتب،دون طبعة، القاهرة (420 هـ - 000 .
41 . سورة الفرقـــان .
42 . ابن عقيل بهاء الدين عبد الله " شرح ابن عقيل ، تحقيق محمد محي الدين، دار الكتب العلمية، طبعة ، بيروت (964).
43 . عبده الراجحي، التطبيـــق النحوي ، دار النهضة العربية، دون طبعة، بيروت، (405 هـ - 985 .
44 . برجستراسر، " التطبيق النحوي للغة العربية ' ، إخراج وتصحيح رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، دون طبعة،القاهرة (982).
45 . الزركشي " البرهان في علوم القرآن ، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ،دون طبعة، بيروت، دون تاريخ.
46 . السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ، عني به خـــالد العطار، دار الفكر العربي، طبعة ، لبنان، (425 هـ - 005 م .
47 . المهدي بوروبة، المصطلحات النحوية عند النحاة واللّغويين العرب" رسالة ماجستير ، جامعة حلب، سوريا (989).
48 . عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات ، دار الفكر اللّبناني، طبعة ، بيروت (992).
49 . محمد الحباس " المصطلحات بين النحاة العرب وعلماء القراءات ، المبرز (مجلة ، جامعة الجزائر، العدد6 (002)
50 . ابن الجزري، النشر في القراءات العشر ، تصحيح محمد علي الضباع، دار الكتاب العربي، دون طبعة، بيروت، دون تاريخ .
51 . مكي بن طالب القيسي ، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها و حججها"، تحقيق محي الدين رمضان، دار الكتب العلمية،طبعة2، بيروت ،(1981).
52 سـورة المـزمّل .
53 أحمد حساني، مباحث اللسانيات " ، ديوان المطبوعات الجامعية، دون طبعة،الجزائر،(1999).
54 عبد اللطيف الصوفي اللغة ومعاجمها في اللّغة العربية ، دار طلاس، طبعة ، دمشق، (1986).
55 رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللّغوي " ، مكتبة الخانجي، طبعة1 ، القاهرة، مصر، (417 هـ - 997 .

06. . السكاكي أبو يعقوب يوسف مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، دون طبعة، بيروت،دون تاريخ .
07. مصطفى الحجازي ' أمراض الكلام ، مدخل إلى علم اللّغة، دار قباء، دون طبعة،القاهرة، مصر، (988).

08. الرمـــاني " النكت في إعجاز القرآن – ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن - ، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغول سلام، دار المعارف،دون طبعة، القاهرة، مصر (976).
09. . الباقلاني، إعجاز القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، دون طبعة، القاهرة ، (945).
10. . ابن قيم الجوزية " بدائع الفوائد ، دار الكتاب العربي،دون طبعة، بيروت، دون تاريخ .
11. صالح سليم " الدلالة الصوتية ، في اللّغة العربية، منشورات جامعة سمبا، دون طبعة، دون بلد، (988).
12. أحمد فارس الشّدياق " السّاق على السّاق في ما هو الفرياق ، عني بنشره يوسف توما البستاني، مكتبة العرب،دون طبعة، مصر ،دون تاريخ .
13. . علي عبد الواحد " فقه اللغة ، ، دار النهضة للطباعة والنشر،دون طبعة، دون بلد (945).
15. . علي عبد الواحد وافي " علم اللّغة " ، دارالنهضة للطباعة والنشر، طبعة، دون بلد، (967).
15. . محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية ، دار الفكر العربي، طبعة ، بيروت، (972).
16. صبحي الصالح " دراسات في فقه اللغة ، دار العلم ، طبعة ، بيروت، (397 – 960 . .
17. محمد الأنطاكي، " الوجيـــز في فقه اللغة دار الشرق، طبعة ، بيروت،لبنان، (969).
18. عبده الراجحي، " فقه اللغة في الكتب العربية ، دار المعـــرفة الجـــامعية، طبعة ،بيروت، (397 هـ – 960 . .
19. محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العـــربي ، دار الفكر العربي، دون طبعة، القاهرة، مصر (420 هـ – 999 . .
20. الطيب دبه مبادئ اللسانيات البنوية ، دار القصبة للنشر،دون طبعة، حيدرة، الجزائر (001).
21. . عبد الرحمـــن الحاج صالح ' بحوث ودراسات في اللّسانيات العربية ، موفم للنشر، دون طبعة، الجزائر،007 .
22. . عبد الرحمـــن الحاج صالح ' السماع اللغوي عند العرب ومفهوم الفصاحة ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، دون طبعة، الجزائر، (007).
23. الصوتيات بين التراث والحداثة " (مجلة ، جامعة البليدة ، العدد (002).
24. . القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الأعشى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، د ون طبعة، دون بلد (963).
25. . هنري فليش " التفكير الصوتي عند العرب ، تحقيق وتعريب عبد الصبور شاهين، الهيئة العامة لشؤون المطبعة الأميرية، طبعة ، القاهرة ، (388 هـ – 986 . .
26. . مصطفى حركات " الصوتيات والفونولوجيا ، المكتبة العصرية، دون طبعة، بيروت، دون تاريخ .
27. . مسعود بودوخة ' الخصائص الصوتية والصرفية للغة العربية ، الصّوتيات (مجلة ، جامعة سعد دحلب بالبليدة، العدد ، (008).

28. . لبيب السعيد، ' الجمع الصوتي الأول للقرآن للمصحف المرتّل ، دار المعارف، طبعة، ، القاهرة، دون تاريخ .
29. . نعيم علوية ' نحو الصوت ونحو المعنى ، المركز الثقافي العربي، طبعة ، بيروت (992).
30. ابن الطحان أبو الأصبع السّماني الاشبيلي، مخارج الحروف و صفاتها ، تحقيق محمد يعقوب تركستاني، دار المعرفة، دون طبعة، بيروت، لبنان ، (984).

31. . برتيل مالمبرج، علم الأصوات " ، تعريب ودراسة عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، دون طبعة، القاهرة، مصر (984).
32. . أحمد محمد قدور، مبادئ في اللسانيات ، دار الفكر، طبعة ، سوريا (992).
33. . جان كانتينو، ' دروس في علم الأصوات ، ، ترجمة صالح القرمادي، نشريات مركز الدراسات و البحوث الاقتصادية و الاجتماعية، دون طبعة، جامعة تونس، (966).
34. فاندريس، " علم اللغة ، ترجمة عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص، مطبعة المدني، دون طبعة، القـــاهرة ، 950 .
35. . ماريو باي " أسس علم اللغة ، ترجمة وتعليق أحمد مختار عمر، عالم الكتب، طبعة، ، القـــاهرة، (419 هـ – 998 .
36. أبركرومبي دافيد ' مبادئ علم الأصوات العامة " ،ترجمة وتعليق محمد فتيح، دار العلوم، طبعة1، القاهرة، مصر، (1409هـ- 1988م) .
37. . ســـورة الإنشقاق .
38. . ســـورة مريـــ .
39. . ســـورة الرحمـــن .
40. . إبراهيم أنيس، " دلالة الألفاظ ، مكتبة الأنجلو مصرية، طبعة، ، القـــاهرة (991).
41. . ابن فارس أبو علي، " الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، تحقيق أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، دون طبعة، القاهرة، دون تاريخ .
42. . الخفاجي ابن سنان، ' سر الفصاحة " ، شرح و تصيح عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة محمد علي صبيح ، دون طبعة، القاهرة (969).
43. . السيوطي، " المزهر في علوم اللغة وأنواعها " ، تحقيق علي البجاوي وآخرون، دار الفكر، دون طبعة، بيروت، دون تاريخ .
44. . ابن سينا، " الشفـــاء ، تحقيق محمد الخيضري، دار الكتاب العربي، طبعة ، القاهرة، دون تاريخ .
45. . جعفر دك الباب، ' نحو نظرية جديدة إلى فقه اللّغة " ، الأهالي للطباعة والنشر، طبعة ، دمشق، ، دون تاريخ .
46. . محمود فهمي الحجازي، مدخل إلى علم اللغة ، دار قباء، دون طبعة، القاهرة، مصر، (988).
47. . عباس حسن ' خصائص الحروف العربية ومعانيها ، منشورات اتّحاد الكتاب العرب، دون طبعة ، دمشق، سوريا (998).
48. . ســـورة لقمـــان .
49. . سيد قطب، في ظلال القرآن ، دار الشرق، طبعة 5 ، بيـــروت (988).

50. ابن الملقن " تفسير غريب القرآن ، تحقيق سمير طه مجدوب، عالم الكتب، طبعة ، بيروت، لبنان، (408 هـ – 976 م) . 51. السيوطي والمحلي " تفسير الجلاليز ، تقديم ومراجعة عبد القادر يعرب، دار الكتاب الحديث، طبعة ، القاهرة ، (423 هـ – 2002 م) .
52. سورة ق .
53. يمينة مصطفاي ' قاموس المصطلحات الصوتية – محاولة إنجاز قاموس في الصّوتيات - " (رسالة ماجستير ، جامعة سعد دحلب، البليدة (2002).

54. أحمد محمد عمر، لغة القرآن مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، طبعة ، (1993).
55. الفراء، معاني القرآن، تحقيق محمد علي النجّار و أحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، طبعة ، بيروت، ط ، 1980 .
56. مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، دار المريخ للنشر، دون طبعة، القاهرة، دون تاريخ .
57. الباقلاني، النكت إعجاز القرآن ضمن ثلا ث رسائل في إعجاز القرآن، دار المعارف، دون طبعة، بيروت، دون تاريخ .
58. الجرجاني، شرح رسالة الرماني في إعجاز القرآن، تعليق سعيد علي، دار الفكر العربي، طبعة ، القاهرة، (417 هـ –1997 م) .
59. سورة فصلت .
60. سورة الأنعام .
61. حسين نصار " إعجاز القرآن الفواصل ، دار مصر للطباعة والنشر، طبعة (1999).
62. عائشة عبد الرحمن " الإعجاز البياني للقرآن " ، مطبعة دار المعارف، دون طبعة، القاهرة، دون تاريخ .
63. العسكري أبو هلال ' كتاب الصناعتين ، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية ، طبعة ، بيروت، (409 هـ – 1989 م) .
64. سورة الواقعة .
65. سورة يس .
66. طه حسين، ' من حديث الشعر والنثر "، دار المعارف، دون طبعة، بيروت، لبنان، (1975).
67. سورة التكاثر .
68. محمد حسين الصغير " تطور البحث الدلالي ، مطبعة العاني، دون طبعة، بغداد (1988).
69. أحمد فتحي عامر " فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ، المجس الأعلى للشؤون الإسلامية، طبعة ، مصر، (395 هـ – 1975 م) .
70. كمال الدين عبد الغني المرسي ' فواصل الآيات القرآنية " ، المكتب الجامعي الحديث، طبعة ، د ون بلد، (420 هـ – 1990 م) .
71. سورة المدثر .
72. سورة الحاقة .
73. سورة الأنبياء .
74. التنوخي، كتاب القوافي ، تحقيق عوني عبد الرؤوف، مكتبة الخانجي، دون طبعة، القاهرة، (1970).

75. . الأخفش الأوسط أبو الحسن سعيد بن مسعدة " كتاب القوافي ، تحقيق حسن عزة، وزارة الثقافة، دون طبعة، دمشق، (970).
76. . تمام حسان " البيان في روائع القرآن - دراسة لغوية وأسلوبية للنّص القرآني- "، عالم الكتب، طبعة 2، القاهرة، (420 هـ – 000! .
77. . ســـورة عبس .
78. . ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تعليق أحمد العوفي وبدوي طبانة، نهضة مصر للطباعة و النشر، دون طبعة ، دون تاريخ .
79. . منير سلطان، " الإيقـــاع الصوتي في شعر شوقي " ، منشأة المعارف، طبعة ،الإسكندرية، مصر (000!).

80. . توفيق الزيدي، " مفهوم الأدبية في النقد "، طبعة سراس، دون طبعة، تونس، (1984).
81. . محمد حرير، البنية الإيقاعية وجماليتها في القرآن ، التراث العربي (مجلة ، اتّحاد الكتاب العرب، العدد 9 – 00 ؛ دمشق، سوريا، دون تاريخ .
82. . محمد عبد المطلب ' البلاغة والأسلوب " ، الهيئة المصرية للكتاب، دون طبعة (984).
83. . محمد مفتاح " دينامية النص ، المركز الثقافي العربي، طبعة ، بيروت (987).
84. . محمد رشاد الحمزاوي ' المصطلحات اللّغوية الحديثة"، الدار التونسية للنشر، دون طبعة ، (1977).
85. . محمد مفتاح، دينامية النص، المركز الثقافي العربي، طبعة ، بيروت (987).
86. . السعيد ورقي، " في الأدب والنقد ، دار المعرفة الجامعية، دون طبعة، مصر (002!).
87. . أحمد نحلة محمود " لغة القرآن الكريم في جزء عمّ ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، دون طبعة، بيروت،لبنان (981).
88. . ســـورة الطـــور .
89. . ســـورة الفاتحة .
90. . ســـورة الغاشية .
91. . ســـورة نـــوح .
92. . ســـورة الأحزاب .
93. . ســـورة القارعة .
94. . ســـورة الفجر .
95. . ســـورة النمـــل .
96. . ســـورة المؤمنون .
97. . الرافعي مصطفى " إعجاز القرآن الكريم القرآن والبلاغة النبوية، دار الفكر العربي، طبعة3، القاهرة، (1416هـ - 1995 م .
98. . القرطبي أبو عبد الله " الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق ســـالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، طبعة ، بيروت، ط ، (420 هـ – 000! .
99. . ســـورة القيامـــة .
00! . الطبري أبو جعفر بن جرير " تفسير الطبري المسمى الجامع البيان في تأويل القرآن ، تحقيق محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، طبعة1 ، بيروت، لبنان (420 هـ – 000! .
01! . ســـورة النـــور .
02! . الصابوني محمد علي صفوة التفاسير "، دار القرآن الكريم، طبعة1، بيروت، لبنان،(981).

03! . الرماني " معاني القرآز "، تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق للتوزيع، طبعة3، جدّة ، (1404هـ- 1984م).
04! . محمد الدالي، " الوحدة الفنية في القصة القرآنية في القصة القرآنية"، دار رامون للطباعة والتجليد، طبعة1، القاهرة، مصر، (1414هـ- 1993م).
05! . إيمان بقاعي، معجم الحروف "، دار المنار الإسلامي، طبعة1، بيروت، لبنان،(002!).
06! . سميح عاطف ' معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الدار الإفريقية العربية ، طبعة 4، بيروت، (1422هـ-2001م) .
07! . عبده الراجحي ' التطبيــق الصرفي ، دار النهضة العربية، دون طبعة، بيروت، (1404هـ- 1984م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ
عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾
يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ
وَٱلۡقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ
﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ﴿١٤﴾ وَلَوۡ
أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ﴿١٧﴾
فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾
وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ
﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ
ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا
صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ﴿٣٤﴾
ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ
يُمۡنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيۡسَ
ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴿٤٠﴾